حادي الأرواح
إلى بلاد الأفراح

تأليف
الإمام الجليل أبي عبد الله محمد بن أبي بكر
ابن قيم الجوزية
(٦٩١ - ٧٥١هـ)

نسخة مضبوطة ومحققة ومخرجة الأحاديث

بإشراف / أ. علي سيد أحمد

دار العقيدة

رقم الإيداع ١٠٥٠٩ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولى I . S . B . N

977 - 347 - 048 - 2



مقدمة المحقق

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وأحسن الهدى، هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

نبذة عن المؤلف:

هو الإمام المحقق الحافظ الأصولى النحوى، صاحب السيَّال، والتصانيف النافعة، شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الدمشقى. المشهور بـ: ابن قيم الجوزية.

والجوزية مدرسة بدمشق، وكان والده قائماً عليها، قيماً لها.

ولد ابن القيم -رحمه الله- في السابع من صفر سنة 691 هـ في قرية زرع من قرى حوران تبعد عن دمشق خمسة وخمسين ميلاً جنوب شرقها.

قال عنه الحافظ ابن كثير -رحمه الله-:

برع في علوم متعددة لاسيما علم التفسير والحديث والأصلين، فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً، وكثرة الابتهال ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه.

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-:

كان جرئ الجنان، واسع العلم، عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف.

توفى رحمه الله وقت عشاء الآخرة في ليلة الخميس في الثالث والعشرين من شهر رجب سنة 751 هـ.

وعملنا فى الكتاب:

1- مطابقة الكتاب على نسخ حادي الأرواح المتداولة واختيار الأصوب من بينها.

2- تخريج أحاديث الكتاب مع بيان درجتها من كتب العلامة الألباني أو العلامة أحمد شاكر وغيرهما من علماء الحديث.

3- تخريج الآيات القرآنية.

4- تصحيح بعض أسماء الرواة من كتب الحديث مع عدم الإشارة في مواضعها وذلك لكثرتها.

5- التعريف بالمؤلف - ابن القيم - رحمه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الإعانة

الحمد لله الذى جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نُزلاً، ويسّرهم للأعمال الصالحة الموّصلة إليها، فلم يتخذوا سواها شُغلاً، وسهل لهم طُرقها فسلكوا السبيل الموّصلة إليها ذُللاً، خلقها لهم قبل أن يخلقهم، وأسكنهم إياها قبل أن يوُجدهم وحجبها بالمكاره، وأخرجهم إلى دار الامتحان ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه، وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلاً، وأودعها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وجلاّها لهم حتى عاينوها بعين البصيرة التى هى أنفذ من رؤية البصر، وبشرهم بما أعد لهم فيها على لسان رسوله فهى خير البُشَرِ، على لسان خير البَشَر، وكمّل لهم البشرى بكونهم خالدين فيها لا يبغون عنها حولا.

والحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رُسلاً، وباعث الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل،إذ لم يخلقهم عبثاً، ولم يتركهم سدىً، ولم يغفلهم هملاً، بل خلقهم لأمر عظيم، وهيأهم لخطب جسيم، وعمَّر لهم دارين، فهذه لمن أجاب الداعى، ولم يبغ سوى ربه الكريم بدلاً، وهذه لمن لم يجب دعوته ولم يرفع بها رأساً ولم يعلق بها أملاً.

والحمد لله الذى رضى من عباده باليسير من العمل، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، وأفاض عليهم النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وضمن الكتاب الذى كتبه أن رحمته سبقت غضبه، دعا عباده إلى دار السلام فعمهم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلاً، وخص بالهداية والتوفيق من شاء نعمة منه وفضلاً. فهذا عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم، ذلك فضله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته، ومن لا غنى له طرفة عين عن فضله ورحمته، ولا مطمع له فى الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه، أرسله رحمة للعالمين،

وقدوة للعاملين ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين، بعثه للإيمان منادياً، وإلى دار السلام داعياً، وللخليقة هادياً، ولكتابه تالياً، وفى مرضاته ساعياً، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، أرسله على حين فترة من الرسل، فهدى به إلى أقوم الطرق، وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته ومحبته. وتعزيزه وتوقيره والقيام بحقوقه، وسد إلى الجنة جميع الطرق فلم يفتحها لأحد إلا من طريقه فلو أتوا من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتح لهم حتى يكونوا خلفه من الداخلين، وعلى منهاجه وطريقته من السالكين.

فسبحان من شرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، فدعا إلى الله وإلى جنته سراً وجهاراً. وأذن بذلك بين أظهر الأمة ليلاً ونهاراً، إلى أن طلع فجر الإسلام، وأشرقت شمس الإيمان، وعلت كلمة الرحمن، وبطلت دعوة الشيطان، وأضاءت بنور رسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألفت به القلوب بعد تفرقها وشتاتها، فأشرق وجه الدهر حُسناً، وأصبح الظلام ضياء، واهتدى كل حيران، فلما أكمل الله به دينه وأتم به نعمته، ونشر به على الخلائق رحمته، فبلغ رسالات ربه ونصح عباده، وجاهد فى الله حق جهاده، خيَّره بين المقام فى الدنيا وبين لقائه والقدوم عليه، فاختار لقاء ربه محبة له وشوقاً إليه، فاستأثر به ونقله إلى الرفيق الأعلى والمحل الأرفع الأسنى وقد ترك أمته على الواضحة الغراء، والمحجة البيضاء. فسلك أصحابه وأتباعه على إثره إلى جنات النعيم، وعدل الراغبون عن هديه إلى طريق الجحيم ﴿ **لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (الأنفال: 42). فصلى الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وعباده المؤمنون عليه كما وحد الله وعَبَدَه، وعرفنا به، ودعا إليه.

أما بعد: فإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدىً، بل خلقهم لأمر عظيم وخطب جسيم، عُرض على السموات والأرض والجبال فأبين وأشفقن منه إشفاقاً ووجلاً، وقلن: ربنا إن أمرتنا فسمعاً وطاعة، وإن خيرتنا فعافيتك نريد لا نبغى بها بدلاً، وحمله الإنسان على ضعفه وعجزه عن حمله، وباء به على ظلمه وجهله، فألقى أكثر الناس الحمل عن ظهورهم لشدة مؤنته عليهم وثقله، فصحبوا الدنيا صحبة الأنعام السائمة، لا ينظرون فى معرفة مُوجدهم وحقه عليهم، ولا فى المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التى هى طريق ومعبر إلى دار القرار، فلا يتفكرون فى قلة مقامهم فى الدنيا الفانية، وسرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية، فقد ملكهم باعث الحس، وغاب عنهم داعى العقل، وشملتهم الغفلة، وغرتهم الأمانى

الباطلة، والخدع الكاذبة، فخدعهم طول الأمل، وران على قلوبهم سوء العمل، فهمّهم فى لذات الدنيا، وشهوات النفوس كيف حصلت حصلوها، ومن أى وجه لاحت أخذوها، إذا بدا لهم حظ من الدنيا بآخرتهم طاروا إليه زرافات ووحدانا، وإذا عرض لهم عرض عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثواباً من الله ولا رضواناً: ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾ (الروم:7)، ﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ (الحشر:19).

والعجب كل العجب منْ غفلة منْ لحظاته معدودة عليه، وكل نفَس من أنفاسه لا قيمة له وإذا ذهب لم يرجع إليه، فَمطايا اللَيل والنهار تسرع به ولا يتفكر إلى أين يحمل، ويُسار به أعظم من سير البريد، ولا يدرى إلى أى الدارين ينقل، فإذا نزل به الموت اشتد قلقه لخراب ذاته وذهاب لذاته. لا لما سبق من جناياته، وسلف من تفريطه، حيث لم يقدم لحياته. فإن خطرت له خطرة عارضة لما خلق له دفعها باعتماده على العفو، وقال: قد أُنبئنا أنه هو الغفور الرحيم، وكأنه لم يُنبأ أن عذابه هو العذاب الأليم.

فصل

أهل النعيم المقيم

ولما علم الموفَّقون ما خُلقوا له وما أُريد بإيجادهم رفعوا رؤوسهم، فإذا عَلَم الجنة قد رُفع لهم فشمروا إليه، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه، ورأوا من أعظم الغبن بيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فى أبد لا يزول ولا ينفد، بصبابة عيش، إنما هو كأضغاث أحلام، أو كطيف زار فى المنام، مَشُوب بالنغص، ممزوج بالغصص، إن أضحك قليلاً أبكى كثيراً، وإن سر يوماً أحزن شهوراً، آلامه تزيد على لذاته، وأحزانه أضعاف أضعاف مسراته، أوله مخاوف وآخره متالف، فيا عجباً من سفيه فى صورة حليم، ومعتوه فى مسْلاخ عاقل، آثر الحظ الفانى الخسيس، على الحظ الباقى النفيس، وباع جنة عرضها السموات والأرض، بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات، ومساكن طيبة فى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار، بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار، وأبكاراً عرباً أتراباً كأنهن الياقوت والمرجان، بقذرات دنسات سيئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان، وحوراً مقصورات فى الخيام بخبيثات سيئات بين الأنام، وأنهاراً من خمر لذة للشاربين، بشراب نجس مُذهب للعقل مُفسد للدنيا والدين، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدَميم، وسماع الخطاب من الرحمن، بسماع

المعازف والغناء والألحان، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد، بالجلوس فى مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد، ونداء المنادى يا أهل الجنة: إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا وتحيوا فلا تموتوا، وتقيموا فلا تظعنوا وتشبوا فلا تهرموا، بغناء المغنين.

وقَفَ الهَوى بى حَيْثُ أنتَ فليسَ لى
مُتَأخَّرٌ عَنْهُ ولا مُتَقَدَّمُ

أَجِدُ الملامَةَ فى هَواكَ لَذيذةً
حُبّاً لِذِكْرِكَ فلْيلُمنى اللُّوَّمُ

وإنما يظهر الغبن الفاحش فى هذا البيع يوم القيامة، وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة، إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفداً وسيق المجرمون إلى جهنم ورداً، ونادى المنادى على رؤوس الأشهاد: ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم من بين العباد، فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد لهم من الإكرام، وادخر لهم من الفضل والإنعام، وما أخفى لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر، ولا سمعته أذن، ولا خطر على قلب بشر، لعلم أى بضاعة أضاع، وأنه لا خير له فى حياته وهو معدود من سقط المتاع، وعلم أن القوم قد توسطوا ملكاً كبيراً لا تعتريه الآفات، ولا يلحقه الزوال، وفازوا بالنعيم المقيم فى جوار الكبير المتعال.

فهم فى روضات الجنة يتقلبون، وعلى أسرتها تحت الحجال يجلسون، وعلى الفرش التى بطائنها من إستبرق يتكئون، وبالحور العين يتمتعون، وبأنواع الثمار يتفكهون ﴿**يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (الواقعة:17-24)، ﴿**يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (الزخرف:71) تالله لقد نودى عليها فى سوق الكساد، فما قلّب ولا استام إلا أفراد من العباد، فواعجباً لها كيف نام طالبها؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها؟! وكيف طاب العيش فى هذه الدار بعد سماع أخبارها؟ وكيف قر للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها، وكيف قرت دونها أعين المشتاقين ؟ وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين؟ وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين ؟ وبأى شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين؟

شعر فى وصف الجنة

وَمَا ذَاكَ إلاَّ غَيْرُهُ أَنْ يَنَالَهَا ❋ سِوَى كُفْئِهَا والرَّبُّ بالخلق أعلمْ

وإِنْ حُجِبَتْ عناً بكُلِ كَرِيهَةِ ❋ وحُفَّتْ بما يُؤذي النُّفُوس ويُؤلِمْ

فَلِلَّهِ ما فى حَشْوِهَا مِنْ مَسَرَّةٍ ❋ وأَصْنَافِ لَذَّاتٍ بِهَا يَتَنعَّمْ

وَلِلَّهِ بَرْدُ العَيش بين خِيَامِهَا ❋ وروضاتها والثغر في الروض يبسمْ

وَلِلهِ وَادِيهَا الذَي هو مَوْعِدٌ المزِ ❋ يدِ لِوَفْدِ الحُبِّ لَوْ كُنْتَ مِنْهُمْ

بذيالك الوادي يَهِيمُ صَبَابَةً ❋ مُحِبٌّ يرى أنَّ الصَبَابة مغنمْ

ولله أفراحُ المُحِبِّينَ عِنْدَمَا ❋ يُخَاطِبُهم مِنْ فَوقِهِم ويُسلِّمْ

ولله أبصارٌ تَرَى اللهَ جَهْرَةً ❋ فلا الضَيْمُ يغْشَاها ولا هي تسأمْ

فيا نظرةً أهدت إلي الوجه نضرةً ❋ أَمِنْ بَعْدِهَا يسْلُو المحبُّ المتيَّمْ

ولله كم مِنْ خَيْرَةٍ إن تَبَسَّمتْ ❋ أضاءَ لها نورٌ من الفجر أعظَمْ

فَيَا لذَّةَ الأبصارِ إِنْ هي أَقْبَلَتْ ❋ ويا لذةَ الأسماع حِينَ تَكَلَّمْ

ويا خَجْلَةَ الغُصْنِ الرَّطيبِ إذا انثنتْ ❋ ويا خجلة الفجرين حين تَبَسَّمْ

فَإِنْ كنت ذا قلبٍ عليلٍ بِحُبِّهَا ❋ فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ وصلها لك مرهمْ

ولا سِيَّمَا فى لثمها عندَ ضَمِّهَا ❋ وقد صار منها تَحْتَ جِيدكَ معصمْ

تراه إذا أبدتْ له حُسْنَ وَجْهِهَا ❋ يلذُّ بِهِ قَبْلَ الوصال وَينْعمْ

تفكهُ فيها العينُ عند اجْتِلائِهَا ❋ فَواكهَ شتَّى طلعها ليس يُعْدَمْ

عَنَاقِيدُ مِنْ كَرْمٍ وتُفَّاحُ جَنَّةٍ ❋ ورُمَّانُ أغصان به القلبُ مُغْرَمْ

وللورد ما قَدْ أَلْبَسْتُهُ خُدُودُها ❋ وللخمر ما قد ضَمَّهُ الريقُ والفمْ

تَقَسَّمَ فيها الحُسْنُ فى جَمعٍ واحدٍ ❋ فَيَا عجباً من واحد يتقسَّمْ

لها فِرَقٌ شتَّى من الحُسْنِ أجمعتْ ❋ بجُملتها إنَّ السُّلُوَّ مُحرَّمْ

تُذكِّرُ بالرَّحمن من هو ناظرٌ ❋ فينطقُ بالتَّسبيحَ لا يَتَلعْثمْ

إذا قابلتْ جيشَ الهُمُوم بِوَجْهِهَا ❋ تولَّى على أعقابه الجَيشُ يُهْزَمْ

ولما جرى مَاءُ الشَّبابِ بغُصنِهَا ❋ تَيَقَّنَ حقًّا أَنَّه ليس يَهْرَمْ

فيا خاطبَ الحسناءِ إن كُنْتَ رَاغِباً ❋ فهذا زمانُ المهرِ فهو المقدَّمْ

وكُنْ مُبْغضاً للخائنات بحُبّها ❊ فتحظى بها من دونهنَّ وتنعمُ

وكُنْ أيِّماً ممن سواها فإنَّها ❊ لمثلك في جنَّات عدن تأيَّمُ

وصُمْ يومك الأدنى لعلَّك في غدٍ ❊ تفوزُ بعيد الفطر والنَّاسُ صُوَّمُ

واقدمْ ولا تقنعْ بعيشٍ مُنغَّصٍ ❊ فَما فاز باللَّذاتِ من ليس يُقدمُ

وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها ❊ ولم يك فيها منزل لك يعلم

فحيَّ على جنات عدن فإنها ❊ منازلك الأولى وفيها المخيمُ

ولكنَّنا سبيُ العدوُ فهل ترى ❊ نعودُ إلى أوطاننا ونُسلِّمُ

وقد زَعَمُوا أنَّ الغريبَ إذا نَأى ❊ وشَطَّتْ به أوطانُهُ فهو مُغرمُ

وأيُّ اغتراب فوق غُربتِنَا التي ❊ لها أضحت الأعداءُ فينا تحكَّمُ

وحيَّ علي السُّوقَ الذي فيه يلتقى المحبُّونَ ❊ ذاك السُّوقُ للقوم يعلمُ

فما شئتَ خُذْ منه بلا ثمنٍ له ❊ فقد أسلف التُّجَّارُ فيه وأسلموا

وحيَّ على يوم المزيد الذي به ❊ زيارة رب العرش فاليوم موسمُ

وحيَّ على وادٍ هنالك أفيح ❊ وتُربتُه من أذفر المسك أعظمُ

منابرُ مِنْ نور هناك وفضَّةٍ ❊ ومن خالص العقْبان لا يَتَقصَّمُ

وكثبان مسك قدْ جعلنَ مقاعداً ❊ لمنْ دونَ أصحاب المنابر تعلمُ

فَبيْنَا هُمُو في عيشهم وسرورهم ❊ وأرزاقُهُم تَجْري عَلَيْهم وتُقْسَمُ

إذا هم بنورٍ ساطع أشرقتْ لهُ ❊ بأقطارها الجنَّاتُ لا يُتَوهمُ

تَجلى لهم رَبُّ السَّموات جَهْرَةً ❊ فيضحكُ فَوْقَ العرش ثم يُكلِّمُ

سلامٌ عليكم يسمعُون جَميعُهم ❊ بآذانهم تَسليمَهُ إذ يُسلِّمُ

يَقولُ سَلُوني ما اشْتَهَيْتُم فكلُّ ما ❊ تُريدُونَ عندي إنَّني أنا أرحَمُ

فقالوا جميعاً نحنُ نسألك الرِّضا ❊ فأنْتَ الذَّي تُولي الجميلَ وتَرْحَمُ

فيُعطيهُمُ هذا ويَشْهَدُ جَمْعُهم ❊ عليه تعالى الله فاللهُ أكرَمُ

فيا بائعاً هذا ببخسٍ معجلٍ ❊ كأنَّك لا تدري، بلى سوف تعْلَمُ

فإنْ كُنْتَ لا تدري فتلك مصيبةٌ ❊ وإنْ كنت تدري فالمصيبةُ أعظمُ

فصل

الباعث على تأليف الكتاب

وهذا كتاب اجتهدت في جمعه وترتيبه، وتفصيله وتبويبه، فهو للمحزون سلوة، وللمشتاق إلى تلك العرائس جلوة، محرك للقلوب، إلى أجلّ مطلوب، وحاد للنفوس، إلى مجاورة الملك القدوس، ممتع لقارئه، ومشوق للناظر فيه، لا يسأمه الجليس، ولا يمله الأنيس، مشتمل من بدائع الفوائد، وفرائد القلائد، على ما لعل المجتهد في الطلب، لا يظفر به فيما سواه من الكتب، مع تضمينه لجملة كثيرة من الأحاديث المرفوعات، والآثار الموقوفات، والأسرار المودعة في كثير من الآيات، والنكت البديعات، وإيضاح كثير من المشكلات، والتنبيه على أصول من الأسماء والصفات، إذا نظر فيه الناظر زاده إيماناً، وجلى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عياناً، فهو مثير ساكن العزمات إلى روضات الجنات، وباعث الهمم العليات، إلى العيش الهني في تلك الغرفات.

وسميته **«حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»** فإنه اسم يطابق مسماه،ولفظ يوافق معناه والله يعلم ما قصدت. وما بجمعه أردت؛ فهو عند لسان كل عبد وقلبه، وهو المطلع على نيته وكسبه، وكان جل المقصود منه بشارة أهل السنة، بما أعد الله لهم في الجنة، فإنهم المستحقون للبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ونعم الله عليهم باطنة وظاهرة، وهم أولياء الرسول وحزبه، ومن خرج عن سنته فهم أعداؤه وحربه. لا تأخذهم في نصرة سنته ملامة اللوام ؛ ولا يتركون ما صح عنه لقول أحد من الأنام، والسنة أجل في صدورهم من أن يقدموا عليها رأياً فقهياً، أو بحثاً جدلياً، أو خيالاً صوفياً، أو تناقضاً كلامياً، أو قياساً فلسفياً، أو حكماً سياسياً، فمن قدم عليها شيئاً من ذلك، فباب الصواب عليه مسدود، وهو عن طريق الرشاد مصدود.

فيا أيها الناظر فيه لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه، ولك صفوه، وعليه كدره. وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك، وبنات أفكاره تزف إليك، فإن صادفت كفؤاً كريماً فلن تعدم منه إمساكاً بمعروف أو تسريحاً بإحسان. وإن كان غيره فالله المستعان، فما كان من صواب فمن الواحد المنان، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان. والله بريء منه ورسوله.

وقد قسمت الكتاب سبعين باباً.

الباب الأول
فى بيـان وجـود الجنـة الآن

لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته، مستندين فى ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون الآن مخلوقة. وقالت: بل الله ينشئها يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذى وضعوا به شريعة فيما يفعله الله، وأنه ينبغى أن يفعل كذا ولا ينبغى له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه فى أفعالهم فهم مشبهة فى الأفعال، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة فى الصفات، وقالوا خلق الجنة قبل الجزاء عبث، فإنها تصير معطلة مدداً متطاولة ليس فيها سكانها.

وقالوا: ومن المعلوم أن ملكاً لو اتخذ داراً وأعد فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح وعطلها من الناس ولم يمكنهم من دخولها قروناً متطاولة لم يكن ما فعله واقعاً على وجه الحكمة،ووجد العقلاء سبيلاً إلى الاعتراض عليه!! فحجروا على الرب تبارك وتعالى بعقولهم الفاسدة، وآرائهم الباطلة !! وشبهوا أفعاله بأفعالهم وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التى وضعوها للرب أو حرفوها عن مواضعها وضللوا وبدّعوا من خالفهم فيها، والتزموا لها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء.

ولهذا يذكر السلف فى عقائدهم: أن الجنة والنار مخلوقتان، ويذكر من صنف فى المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها.

قال الإمام أبو الحسن الأشعرى[1] فى كتاب «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»: جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئاً وأن الله تعالى إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً. وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور، وأن الله تعالى على عرشه، كما

(1) ينتهى نسبه إلى أبو موسى الأشعرى رضي الله عنه، ولد سنة 260 هجرية وطلب العلم وتفقه على يد أبي إسحاق المروزي والساجى وتعلم علم الكلام على يد الجبائي المعتزلى واتبعه فترة على مذهب المعتزلة المبتدعة، ثم رجع عن هذا المذهب وأعلن أنه على عقيدة ومنهج الإمام أحمد بن حنبل، وتنسب إليه زوراً طائفة الأشاعرة.

قال: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ (طه: 5)، وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ (ص:75)، وكما قال: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ (المائدة:64)، وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ (القمر:14)، وأن له وجهاً كما قال: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن:27) وأن أسماء الله تعالى لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج، وأقروا أن لله علماً كما قال: ﴿ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ (النساء:166)، وكما قال: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ (فاطر:11) وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة، وأثبتوا لله القوة كما قال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ (فصلت:15)، وقالوا: إنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله وأن الأشياء تكون بمشيئة الله، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (الإنسان:30) وكما قال المسلمون: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

وقالوا: إن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله، أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن علم الله أو أن يفعل شيئاً علم الله أنه لا يفعله، وأقروا أنه لا خالق إلا الله تعالى، وأن أعمال العباد يخلقها الله تعالى وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً، وأن الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته، وخذل الكافرين ولطف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم، ولم يلطف بالكافرين ولا أصلحهم ولا هداهم، ولو أصلحهم لكانوا صالحين، ولو هداهم لكانوا مهتدين، وأن الله تعالى يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم، وخذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم، وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره.

ويؤمنون بقضاء الله وقدره، خيره وشره، وحلوه ومره، ويؤمنون أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله كما قال، ويُلجئون أمرهم إلى الله، ويثبتون الحاجة إلى الله في كل وقت، والفقر إلى الله في كل حال.

ويقولون: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في الوقف واللفظ، فمن قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق. ويقولون: إن الله تعالى يُرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر، ويراه المؤمنون ولا يراه الكافرون؛ لأنهم عن الله تعالى محجوبون، قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ (المطففين:15) وأن موسى عليه السلام سأل الله سبحانه وتعالى الرؤية في الدنيا، وأن الله تعالى تجلى للجبل فجعله دكاً، فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة، ولا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه، كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر.

وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر، والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، والإسلام هو أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله كما جاء فى الحديث، والإسلام عندهم غير الإيمان، ويقرون بأن الله مقلب القلوب، يقرون بشفاعة رسول الله ﷺ ، وأنها لأهل الكبائر من أمته، وبعذاب القبر وأن الحوض حق، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق، والمحاسبة من الله للعباد حق، والوقوف بين يدى الله تعالى حق، ويقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق.

ويقولون: أسماء الله هى الله تعالى، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار، ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله تعالى نزلهم حيث شاء. ويقولون: أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قوما من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ ، وينكرون الجدل والمراء فى الدين، والخصومة فى القدر والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة، ولما جاءت به الآثار التى رواها الثقات عدلاً عن عدل، حتى ينتهى ذلك إلى رسول الله ﷺ ، ولا يقولون كيف ولا لِمَ ؟ لأن ذلك بدعة.

ويقولون: إن الله تعالى لم يأمر بالشر، بل نهى عنه وأمر بالخير، ولم يرض بالشرك وإن كان مريداً له، ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ ، ويأخذون بفضائلهم ويسكتون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم، ويقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً ﷺ ، ويقرون بأنهم الخلفاء الراشدون المهديون، وأنهم أفضل الناس كلهم بعد رسول الله ﷺ ويصدقون بالأحاديث التى جاءت عن رسول الله ﷺ : «**أن الله ينزل من السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر ؟**»(1) كما جاء فى الحديث عن رسول الله ﷺ ، ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ** ﴾ (النساء:59).

ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين وأن لا يتبعوا فى دينهم ما لم يأذن به الله ؛ ويقرون أن

---

(1) **صحيح:** أخرجه البخارى (6321) الدعوات، (7494) التوحيد، ومسلم (758) صلاة المسافرين، عن أبى هريرة رضى الله عنه.

الله تعالى يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (الفجر:22). وأن الله تعالى يقرب من خلقه كيف شاء، كما قال: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (ق:16).

ويرون العيدين والجمعة والجماعة خلف كل إمام بر أو فاجر، ويثبتون المسح على الخفين سنة، ويرون ذلك فى الحضر والسفر. ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه ﷺ إلى آخر عصابة تقاتل الدجال.

ويرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح وأن لا يخرج عليهم بالسيف وأن لا يقاتلوا فى الفتنة، ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله، ويؤمنون بمنكر ونكير، والمعراج والرؤيا فى المنام، وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم، ويصدقون أن فى الدنيا سحرة، وأن الساحر كافر كما قال الله تعالى، وأن السحر كائن موجود فى الدنيا.

ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم، ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان وأن من مات مات بأجله، وكذلك من قتل قتل بأجله، وأن الأرزاق من قبل الله تعالى يرزقها عباده حلالاً كانت أم حراماً، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه، وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم، وأن السنة لا تنسخ بالقرآن، وأن الأطفال أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم، وإن شاء فعل بهم ما أراد، وأن الله تعالى عالم ما العباد عاملون، وكتب أن ذلك يكون، وأن الأمور بيد الله تعالى.

ويرون الصبر على حكم الله، والأخذ بما أمر الله تعالى به والانتهاء عما نهى الله عنه، وإخلاص العمل لله والنصيحة للمسلمين، ويدينون بعبادة الله فى العابدين، والنصيحة لجماعة المسلمين، واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والمعصية والفجور والكبر والازدراء على الناس والعجب.

ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار، والنظر فى الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المأكل والمشرب، فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب.

وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل، وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير.

والمقصود حكايته عن جميع أهل السنة والحديث: أن الجنة والنار مخلوقتان، وسقنا جملة كلامه ليكون الكتاب مؤسَّساً على معرفة من يستحق البشارة المذكورة، وأن أهل هذه المقالة هم أهلها، وبالله التوفيق.

وقد دل على ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ**﴾ (النجم:13-15)، وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهي، ورأى عندها الجنة، كما في الصحيحين من حديث أنس في قصة الإسراء، وفي آخره: «**ثم انطلق جبريل حتى انتهى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدرى ما هي؟ قال: ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك**». (1)

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى يوم القيامة**». (2)

وفي المسند وصحيح الحاكم وابن حبان وغيرهم من حديث البراء بن عازب قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ـ فذكر الحديث بطوله، وفيه: فينادى مناد من السماء إن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها»، وذكر الحديث. (3)

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم. قال: فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ قال: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، قال: فيقولان له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً في الجنة، قال نبي الله ﷺ: فيراهما جميعاً**». (4)

وفي صحيح أبي عوانة الإسفراييني وسنن أبي داود من حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الروح: «**ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار، فيقال: هذا كان منزلك لو عصيت الله تعالى أبدلك الله**

(1) صحيح: أخرجه البخاري (3342) أحاديث الأنبياء، مسلم (163) الإيمان، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(2) صحيح: أخرجه البخاري (1379) الجنائز، (3240) بدء الخلق، ومسلم (2866) الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(3) صحيح: أخرجه أحمد (18443)، وأبو داود (4753)، والحاكم (1/ 93) والطيالسي (753)، وابن أبي شيبة (3/ 54)، عن الأعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ. وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

(4) صحيح: أخرجه البخاري (1374) الجنائز، ومسلم (2870) الجنة ونعيمها، والنسائي (2050) الجنائز.

به هذا، فإذا رأى ما فى الجنة قال: رب عَجِّل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلي ومالي، فيقال: اسكن». (1)

وفى مسند البزار وغيره من حديث أبى سعيد الخدرى قال: «شهدنا مع النبى ﷺ جنازة، فقال رسول الله ﷺ : **أيها الناس، إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها، فإذا دفن الإنسان وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك فى يده مطراق فأقعده فقال: ما تقول فى هذا الرجل ؟ ـ يعنى محمداً ﷺ ـ فإن كان مؤمناً قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولون له: صدقت، ثم يفتح له باب إلى النار فيقولون: هذا كان منْزلك لو كفرت بربك، فأما إذ آمنت به فهذا منزلك، فيفتح له باب إلى الجنة فيريد أن ينهض إلى الجنة فيقولون له: اسكن»** وذكر الحديث. (2)

وفى صحيح مسلم عن عائشة قالت: «خسفت الشمس فى حياة رسول الله ﷺ ، فذكرت الحديث إلى أن قالت: ثم قام فخطب الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: **إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة».** (3)

وقال رسول الله ﷺ : **«رأيت فى مقامى هذا كل شيء وعُدتم حتى لقد رأيتنى آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتمونى أُقدِّم ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتمونى تأخرت».**

وفى الصحيحين واللفظ للبخارى عن عبد الله بن عباس قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ ...، فذكر الحديث وما فيه فقال: **إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله،** فقالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً فى مقامك ثم رأيناك تكعكعت، فقال: إنى رأيت الجنة وتناولت عنقوداً ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، وأريت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء قالوا: بم يا رسول الله؟ قال بكفرهن. قيل: أيكفرون بالله؟ **قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان. ولو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط».** (4)

(1) أخرجه عبد الرزاق (3/ 580) حديث رقم (6737)، ومن طريقه أحمد (18521)، وفى إسناده يونس بن خباب قال فيه البخارى: منكر الحديث، وقال أحمد بن حنبل: خبيث الرأى، وقال يحيي بن معين: رجل سوء يشتم عثمان. وقال الساجى: صدوق فى الحديث تكلموا فيه من جهة الرأى والحاكم (1/ 37-40). وانظر أحكام الجنائز ص (198).

(2) **صحيح:** أخرجه أحمد (10942)، وإسناده رجاله ثقات، وقال الهيثمى (3/ 48): «رواه أحمد والبزار، ورجاله رجال الصحيح»، وصححه الألبانى كما فى ظلال الجنة (865) عن أبى نضرة عن أبى سعيد.

(3) **صحيح:** أخرجه مسلم (901) الكسوف.

(4) **صحيح:** أخرجه البخارى (1052) الجمعة، ومسلم (907) الكسوف.

وفى صحيح البخارى عن أسماء بنت أبى بكر عن النبى ﷺ فى صلاة الكسوف قال: «**قد دنت منى الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها، ودنت منى النار حتى قلت: أى رب وأنا معهم. فإذا امرأة حسبت أنه قال: تخدشها هرة. قلت: ما شأن هذه ؟ قالوا:** حبستها حتى ماتت جوعاً لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكل». [1]

وفى صحيح مسلم من حديث جابر فى هذه القصة قال: «**عرض علىّ كل شىء تولجونه، فعرضت على الجنة حتى تناولت منها قطفاً فقصرت يدى عنه، وعرضت علىّ النار فرأيت فيها امرأة من بنى إسرائيل تعذب فى هرة لها....**»[2] وذكر الحديث.

وفى صحيح مسلم عنه فى هذا الحديث: «**ما من شىء توعدونه إلا قد رأيته فى صلاتى هذه، لقد جىء بالنار وذلك حين رأيتمونى تأخرت مخافة أن يصيبنى من لفحها، وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه فى النار، وكان يسرق الحاج بمحجنه، فإذا فطن له قال إنما تعلق بمحجنى وإن غفل عنه ذهب به، وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التى ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعاً، ثم جىء بالجنة وذلكم حين رأيتمونى تقدمت حتى قمت فى مقامى، ولقد مددت يدى وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه، ثم بدا لى أن لا أفعل فما من شىء توعدونه إلا قد رأيته فى صلاتى هذه**».[3]

وفى مسند الإمام أحمد وسنن أبى داود والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو فى هذه القصة: «**والذى نفس محمد بيده لقد أدنيت الجنة منى حتى لو بسطت يدى لتعاطيت من قطوفها، ولقد أدنيت النار منى حتى لقد جعلت أتقيها خشية أن تغشاكم**»[4] وذكر الحديث.

وفى صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك قال: «بينما رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ أقيمت الصلاة فقال: **يا أيها الناس، إنى إمامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود ولا ترفعوا**

---

(1) صحيح: أخرجه البخارى (745) الأذان، وأحمد (26423)، وابن ماجه (1265) إقامة الصلاة والسنة فيها.

(2، 3) صحيح: أخرجه مسلم (904) الكسوف.

(4) صحيح: أخرجه أحمد (6483) من طريق ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو، وقال العلامة أحمد شاكر: «إسناده حسن، ثم يكون صحيحاً لغيره» ورواه النسائى (1482)، من طريق عبد العزيز بن عبد الصمد، ورواه أبو داود (1194)، من طريق حماد بن سلمة عن عطاء مختصراً بنحوه. وصححه الألبانى فى صحيح النسائى.

رؤوسكم فإني أراكم من أمامي ومن خلفي، وايم الذى نفسى بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وقالوا: وما رأيت يا رسول الله ؟ قال: رأيت الجنة والنار». [1]

وفى الموطأ والسنن من حديث كعب بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : «**إنما نسمة المؤمن طير تعلق فى شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة**»[2] وهذا صريح فى دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة. ومثله حديث كعب بن مالك أيضاً عن النبى ﷺ : «**إن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تعلق فى ثمر الجنة، أو شجر الجنة**»[3] رواه أهل السنن وصححه الترمذي.

وسيأتى فى آخر هذا الكتاب فى الباب الذى يذكر فيه دخول أرواح المؤمنين الجنة قبل يوم القيامة تمام هذه الأحاديث إن شاء الله تعالى، وذكر دلالة القرآن على ما دلت عليه السنة من ذلك.

وفى صحيح مسلم والسنن والمسند من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لما خلق الله تعالى الجنة والنار، أرسل جبريل إلى الجنة فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، فرجع، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة فحفت بالمكاره، فقال: فارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فقال: فنظر إليها ثم رجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال: ثم أرسله إلى النار قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها فإذا هى يركب بعضها بعضاً، ثم رجع فقال: وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات ثم قال: اذهب فانظر الى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها».** [4] قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح.

(1) **صحيح**: أخرجه مسلم (426) الصلاة.

(2) **صحيح**: أخرجه مالك فى الموطأ (566)، وأحمد (15727)، والنسائى (2073) الجنائز، وابن ماجه (4271) الزهد، وصحيح ابن حبان (607) موارد، وصححه الألبانى فى صحيح النسائى، وانظر الصحيحة (995).

(3) **صحيح**: أخرجه الترمذى (1641) فضائل الجهاد، وقال أبو عيسى: «حسن صحيح». وأحمد (26625) من طريق سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن الزهرى عن ابن كعب بن مالك عن أبيه، وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى.

(4) **حسن صحيح**: أخرجه أحمد (8847) وحسن إسناده العلامة أحمد شاكر، وأخرجه الترمذى (2560) باب ما جاء «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» ورواه أبو داود (4744)، والنسائى (3763)، الأيمان والنذور، كلهم من طريق محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة، وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى.

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة: «**حجبت الجنة بالمكاره، وحجبت النار بالشهوات**». (1)

وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال: «**اختصمت الجنة والنار، فقالت الجنة: يا رب ما لها إنما يدخلها ضعفاء الناس وسقطهم؟ وقالت النار: يا رب ما لها يدخلها الجبارون والمتكبرون ؟ فقال: أنت رحمتى أصيب بك من أشاء، وأنت عذابى أصيب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها**». (2)

وفى الصحيحين من حديث ابن عمر، عن النبى ﷺ أنه قال: «**اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضى بعضاً، فأذن لها بنفسين: نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف**». (3)

وروى الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن عبد الملك بن أبي بشير ورفع الحديث قال: «**ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان، تقول الجنة: يا رب قد طابت ثمارى، واطردت أنهارى، واشتقت إلى أوليائي، فعجل إلىّ بأهلى. وتقول النار: اشتد حرى، وبعد قعرى، وعظم جمرى، فعجل إلىّ بأهلى**». (4)

وفى صحيح البخارى من حديث أنس عن النبى ﷺ أنه قال: «**بينما أنا أسير فى الجنة وإذا بنهر فى الجنة حافتاه قباب الدر المجوف. قال: قلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاك ربك، فضرب الملك بيده فإذا طينه المسك الأذفر**». (5)

وفى صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً وداراً فقلت: لمن هذا ؟ فقيل: لرجل من قريش فرجوت أن أكون أنا**

---

(1) صحيح: أخرجه البخارى (6487) الرقاق، ومسلم (2823) الجنة وصفة نعيمها.

(2) صحيح: أخرجه البخارى (7449) التوحيد، ومسلم (2846) الجنة وصفة نعيمها عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى ﷺ، وأخرجه مسلم (2847) عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد الخدرى.

(3) صحيح: أخرجه البخارى (3260) بدء الخلق، ومسلم (617) مواضع الصلاة عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(4) معاوية بن صالح بن حدير، وقيل ابن عثمان بن سعيد بن سعد بن فهر الحضرمى، أبو عمرو، وقيل أبو عبد الرحمن، الحمصى. قال فيه ابن حجر: «صدوق له أوهام»، وقال الذهبى: «صدوق إمام». وهذا الحديث لم نصل إليه. وعبد الله بن بشير هو عبد الملك بن أبى بشير. وقد صوبناه بالأصل.

(5) صحيح: أخرجه البخارى (6581) الرقاق، وأحمد (12924) عن همام عن قتادة عن أنس رضى الله عنه.

هو، فقيل لعمر بن الخطاب. فلولا غيرتك يا أبا حفص لدخلته، قال: فبكى عمر، قال: أوَ يغار عليك يا رسول الله ؟»(1) وسيأتى حديث بلال وقول النبى ﷺ : «ما دخلت الجنة إلا سمعت خشخشتك بين يدي»، وغير ذلك من الأحاديث التى تأتى إن شاء الله تعالى.

وقال عبد الله بن وهب: حدثنا معاوية بن صالح عن عيسى بن عاصم عن زر بن حبيش عن أنس بن مالك قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم صلاة الصبح، ثم مد يده ثم أخرها، فلما سلم قيل له: يا رسول الله لقد صنعت فى صلاتك شيئاً لم تصنعه فى غيرها، قال: إنى أرُيت الجنة، فرأيت فيها دالية قطوفها دانية، حبها كالدباء، فأردت أن أتناول منها، فأوحى إليها أن استأخرى فاستأخرت ثم أرُيت النار فيما بينى وبينكم حتى لقد رأيت ظلى وظلكم، فأومأت إليكم أن استأخروا فأوحى إلى أقرهم، فإنك أسلمت وأسلموا وهاجرت وهاجروا وجاهدت وجاهدوا، فلم أر لى عليكم فضلاً إلا بالنبوة». (2)

فإن قيل: فما منعكم من الاحتجاج على وجودها الآن بقصة آدم ودخوله الجنة وإخراجه منها بأكله من الشجرة، والاستدلال بها فى غاية الظهور.

قيل: الاستدلال بذلك وإن كان عند العامة فى غاية الظهور، فهو فى غاية الغموض لاختلاف الناس فى الجنة، التى أُسكنها آدم هل كانت جنة الخلد التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة، أو كانت جنة فى الأرض فى شرفها ؟ ونحن نذكر من قال بهذا ومن قال بهذا، وما احتج به كل فريق على قولهم، وما رد به الفريق الآخر عليهم بحول الله وقوته.

---

(1) صحيح: أخرجه مسلم (2394) فضائل الصحابة، وأحمد (13909).

(2) صحيح: أخرجه ابن خزيمة (2/ 50) حديث رقم (892)، وفى مسند الشاميين (3/ 203) رقم (2087) من طريق معاوية بن صالح عن عيسى بن عاصم عن زر بن حبيش عن أنس بن مالك، وزر بن حبيش قال الدارقطنى لم يلق أنس بن مالك، ولا يصح له عنه رواية. وصححه الألبانى كما فى صحيح ابن خزيمة (رقم:2).

الباب الثانى

فى اختلاف الناس فى الجنة التى أُسكنها آدم عليه الصلاة والسلام وأهبط منها هل هى جنة الخلد أم جنة أخرى غيرها فى موضع عال من الأرض ؟

قال منذر بن سعيد فى تفسيره: وأما قوله تعالى لآدم: ﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ (البقرة: 35) فقالت طائفة: أسكن الله آدم جنة الخلد التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة. وقال آخرون: هى جنة غيرها جعلها الله له وأسكنه إياها ليست جنة الخلد،قال: وهذا قول تكثر الدلائل الشاهدة له والموجبة للقول به.

وقال أبو الحسن الماوردى فى تفسيره: واختلف الناس فى الجنة التى أسكناها على قولين.

أحدهما: إنما هى جنة الخلد.

الثاني: أنها جنة أعدها الله تعالى لهما وجعلها دار ابتلاء، وليست هى جنة الخلد التى جعلها دار جزاء، ومن قال بهذا اختلفوا فيه على قولين.

أحدهما: أنها فى السماء، لأنه أهبطهما منها، وهذا قول الحسن.

الثانى: أنها فى الأرض، لأنه امتحنهما فيها بالنهى عن الشجرة التى نهيا عنها دون غيرها من الثمار، وهذا قول ابن بحر، وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام، والله أعلم بصواب ذلك، هذا كلامه.

وقال ابن الخطيب فى تفسيره المشهور:.واختلفوا فى الجنة المذكورة فى هذه الآية هل كانت فى الأرض أم فى السماء ! وبتقدير أنها كانت فى السماء، فهل هى الجنة التى هى دار الثواب وجنة الخلد أو جنة أخرى ؟

فقال أبو القاسم البلخى وأبو مسلم الأصبهاني: هذه الجنة فى الأرض، وحملا الإهباط على الانتقال من بقعة إلى بقعة كما فى قوله: ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ (البقرة: 61)، واحتجا عليه بوجوه.

القول الثانى: وهو قول الجبائي: أن تلك الجنة كانت فى السماء السابعة.

والقول الثالث: وهو قول جمهور أصحابنا: أن هذه الجنة هى دار الثواب.

وقال أبو القاسم الراغب فى تفسيره: واختلف فى الجنة التى أسكنها آدم، فقال بعض

المتكلمين: كان بستاناً جعله اللّه تعالى له امتحاناً ولم تكن جنة المأوى، وذكر بعض الاستدلال على القولين.

وممن ذكر الخلاف أيضاً أبو عيسى الرمانى فى تفسيره واختار أنها جنة الخلد، ثم قال: والمذهب الذى اخترناه قول الحسن وعمرو، وواصل وأكثر أصحابنا، وهو قول أبى على وشيخنا أبى بكر وعليه أهل التفسير، واختار ابن الخطيب التوقف فى المسألة وجعله قولاً رابعاً فقال:

والقول الرابع: أن الكل ممكن، والأدلة متعارضة، فوجب التوقف وترك القطع. قال منذر بن سعيد: والقول بأنها جنة فى الأرض ليست جنة الخلد قول أبى حنيفة وأصحابه، قال: وقد رأيت أقواماً نهضوا لمخالفتنا فى جنة آدم عليه السلام،و بتصويب مذهبهم من غير حجة إلا الدعاوى والأماني، ما أتوا بحجة من كتاب ولا سنة ولا أثر عن صاحب ولا تابع ولا تابع التابع ولا موصولاً ولا شاذاً مشهوراً.

وقد أوجدناهم أن فقيه العراق ومن قال بقوله، قالوا: إن جنة آدم ليست جنة الخلد، وهذه الدواوين مشحونة من علومهم، ليسوا عند أحد من الشاذين بل من رؤساء المخالفين. وإنما قلت هذا ليعلم أنى لم أنصر مذهب أبى حنيفة، وإنما أنصر ما قام لى عليه الدليل من القرآن والسنة. هذا ابن مزين المالكى يقول فى تفسيره. سألت ابن نافع عن الجنة أمخلوقة هى ؟ فقال: السكوت عن الكلام فى هذا أفضل، وهذا ابن عيينة يقول فى قوله عز وجل: ﴿ **إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ** ﴾ (طه:118) قال: يعنى فى الأرض وابن نافع إمام وابن عيينة إمام، وهم لا يأتوننا بمثلهما ولا من يضاد قوله قولهما.

وهذا ابن قتيبة ذكر فى كتاب المعارف بعد ذكره خلق اللّه لآدم وزوجه، قال: ثم تركهما، وقال: أثمروا وأكثروا، واملئوا الأرض، وتسلطوا على أنوان البحور، وطير السماء، والأنعام وعشب الأرض وشجرها وثمرها، فأخبر أن فى الأرض خلقه وفيها أمره، ثم قال: ونصب الفردوس فانقسم على أربعة أنهار: سيحون وجيحون، ودجلة، والفرات، ثم ذكر الحية فقال: وكانت أعظم دواب البر، فقالت للمرأة: إنكما لا تموتان إن أكلتما من هذه الشجرة.

ثم قال بعد كلام: ثم أخرجه من مشرق جنة عدن إلى الأرض، التى منها أخذ، ثم قال: قال وهب: وكان مهبطه حين أهبط من جنة عدن فى شرقى أرض الهند. قال: واحتمل قابيل أخاه

حتى أتى به وادياً من أودية اليمن فى شرقى عدن فكمن فيه. وقال غيره فيما نقل أبو صالح عن ابن عباس فى قوله: اهبطوا، هو كما يقول: اهبط فلان أرض كذا وكذا.

قال منذر بن سعيد: فهذا وهب بن منبه يحكى أن آدم عليه السلام خلق فى الأرض، وفيما سكن، وفيها نصب له الفردوس، وأنه كان بعدن، وأن الأربعة أنهار انقسمت من ذلك النهر الذى كان يسمى فردوس آدم، وتلك الأنهار بقيت فى الأرض لا اختلاف بين المسلمين فى ذلك، فاعتبروا يا أولى الألباب. وأخبر أن الحية التى كلمت آدم كانت من أعظم دواب البر، ولم يقل: من أعظم دواب السماء، فهم يقولون: إن الجنة لم تكن فى الأرض وإنما كانت فوق السماء السابعة.

ثم قال: وأخرجه من مشرق جنة عدن وليس فى جنة المأوى مشرق ولا مغرب لأنه لا شمس فيها.

ثم قال: وأخرجه إلى الأرض التى أخذ منها، يعنى أخرجه من الفردوس الذى نصب له فى عدن فى شرقى أرض الهند.

وهذه الأخبار التى حكى ابن قتيبة، إنما تنبئ عن أرض اليمن وعن عدن وهى من أرض اليمن، وأخبر أن الله نصب الفردوس لآدم عليه الصلاة والسلام بعدن، ثم أكد ذلك بأن قال: الأربعة أنهار التى ذكرنا منقسمة عن النهر الذى كان يسمى فردوس آدم.

قال منذر: وقال ابن قتيبة عن ابن منبه عن أبى قال: واشتهى آدم عند موته قطفاً من الجنة التى كان فيها بزعمهم على ظهر السماء السابعة، وهو فى الأرض، فخرج أولاده. يطلبون ذلك له حتى بلغتهم الملائكة موته، فأولاد آدم كانوا مجانين عندكم إن كان ما نقله ابن قتيبة حقاً، يطلبون لأبيهم ثمرة جنة الخلد فى الأرض.

قال: ونحن لم ننقل عشر ما قال هؤلاء، ولو كانت جنة الخلد، لخلد فيها، ونحن استدللنا من القرآن وغيرنا قطع وادعى ما ليس له عليه برهان.

فهذا ذكر بعض أقوال من حكى الخلاف فى هذه المسألة، ونحن نشرح حجج الفريقين إن شاء الله تعالى، ونبين ما لهم وما عليهم.

الباب الثالث

فى سياق حجج من اختار أنها جنة الخلد التى يدخلها الناس يوم القيامة

قالوا: قولنا هذا هو الذى فطر الله عليه الناس صغيرهم وكبيرهم ولم يخطر بقلوبهم سواه، وأكثرهم لا يعلم فى ذلك نزاعاً.

قالوا: وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى مالك عن أبى حازم عن أبى هريرة وأبى مالك عن ربعى عن حذيفة قالا: قال رسول الله ﷺ: «**يجمع الله تعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة. فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم**» وذكر الحديث.[1]

قالوا: وهذا يدل على أن الجنة التى أخرج منها هى بعينها التى يطلب منه أن يستفتحها.

وفى الصحيحين حديث احتجاج آدم وموسى[2] وقول موسى: أخرجتنا ونفسك[3] من الجنة، ولو كانت فى الأرض فهم قد خرجوا من بساتين، فلم يخرجوا من الجنة. وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم؟ وخطيئته لم تخرجهم من جنات الدنيا.

قالوا: وقد قال تعالى فى سورة البقرة: ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** ﴾ (البقرة: 35، 36).

فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة إلى الأرض من وجهين:

أحدهما: من لفظة ﴿ **اهْبِطُوا** ﴾، فإنه نزول من علو إلى سفل.

---

(1) صحيح: أخرجه مسلم (195) الإيمان.

(2) صحيح: أخرجه البخارى (6614) القدر، ومسلم (2652) القدر، عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(3) حسن: أخرجه أبو داود (4702) السنة، وحسنه الألبانى وانظر الصحيحة (1702).

والثانى: قوله ﴿ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ عقيب قوله: ﴿ اهْبِطُوا ﴾ . فدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك فى الأرض، ثم أكد هذا بقوله فى سورة الأعراف: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ (الأعراف:25)، ولو كانت الجنة فى الأرض لكانت حياتهم فيها قبل الإخراج وبعده.

قالوا: وقد وصف سبحانه وتعالى جنة آدم بصفات لا تكون إلا فى جنة الخلد فقال: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ (118) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ ﴾ (طه: 118، 119) وهذا لا يكون فى الدنيا أصلاً، فإن الرجل ولو كان فى أطيب منازلها فلابد أن يعرض له شىء من ذلك، وقابل سبحانه بين الجوع والعرى والظمأ، والضحى،وذلك أحسن من المقابلة بين الجوع والعطش، والعرى والضحى. فإن الجوع ذل الباطن، والعرى ذل الظاهر، والظمأ حر الباطن، والضحى حر الظاهر. فنفى عن ساكنها ذل الظاهر والباطن، وحر الظاهر والباطن، وهذا شأن ساكن جنة الخلد.

قالوا: وأيضاً فلو كانت تلك الجنة فى الدنيا لعلم آدم كذب إبليس فى قوله: ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ ﴾ (طه: 120) فإن آدم كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية، وأن ملكها يبلى.

قالوا: وأيضاً هذه القصة فى سورة البقرة ظاهرة جداً فى أن الجنة التى أخرج منها فوق السماء فإنه سبحانه قال: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (36) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: 34 ـ 37) فهذا إهباط آدم وحواء وإبليس من الجنة، ولهذا أتى فيه بضمير الجمع، وقد قيل: إن الخطاب لهما وللحية وهذا ضعيف جداً، إذ لا ذكر للحية فى شىء من قصة آدم، ولا فى السياق ما يدل عليها، وقيل: الخطاب لآدم وحواء وأتى فيه بضمير الجمع كقوله: ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ (الأنبياء:78)، وهما داود وسليمان، وقيل لآدم وحواء وذريتهما وهذه الأقوال ضعيفة غير الأول، لأنها بين قول لا دليل عليه، وبين ما يدل اللفظ على خلافه، فثبت أن إبليس داخل فى هذا الخطاب وأنه من المهبطين، فإذا تقرر هذا، فقد كرر سبحانه الإهباط ثانياً بقوله: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة:38)، والظاهر أن هذا الإهباط الثانى غير الأول، وهو إهباط من

السماء إلى الأرض، والأول إهباط من الجنة، وحينئذ فتكون الجنة التى أهبط منها أولاً فوق السماء جنة الخلد.

وقد ظن الزمخشرى أن قوله: ﴿ اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ خطاب لآدم وحواء خاصةً، وعبر عنهما بالجمع لاستتباعهما ذرياتهما قال: والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ (طه: 123) قال: ويدل على ذلك قوله: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: 38، 39) وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم. ومعنى قوله: ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾، ما عليه الناس من التعادى والتباغى وتضليل بعضهم بعضاً.

وهذا الذى اختاره أضعف الأقوال فى الآية، فإن العداوة التى ذكرها الله تعالى إنما هى بين آدم وإبليس وذريتهما، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ (فاطر: 6) وهو سبحانه قد أكد أمر العداوة بين الشيطان والإنسان، وأعاد وأبدى ذكرها فى القرآن لشدة الحاجة إلى التحرز من هذا العدو، وأما آدم وزوجه فإنه إنما أخبر فى كتابه أنه خلقها ليسكن إليها، وجعل بينهما مودة ورحمة، فالمودة والرحمة بين الرجل وامرأته، والعداوة بين الإنسان والشيطان.

وقد تقدم ذكر آدم وزوجه وإبليس وهم ثلاثة، فلماذا يعود الضمير على بعض المذكور مع منافرته لطريق الكلام دون جميعه، مع أن اللفظ والمعنى يقتضيه، فلم يصنع الزمخشرى شيئاً ؟

وأما قوله تعالى فى سورة طه: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ (طه: 123) وهذا خطاب لآدم وحواء: وقد جعل بعضهم عدواً لبعض: فالضمير فى قوله ﴿ اهْبِطَا مِنْهَا ﴾، إما أن يرجع إلى آدم وزوجه، أو إلى آدم وإبليس، ولم يذكر الزوجة، لأنها تبع له، وعلى هذا، فالعداوة المذكورة للمخاطبين بالإهباط وهما آدم وابليس فالأمر ظاهر، وأما على الأول فتكون الآية قد اشتملت على أمرين:

أحدهما: أمره تعالى لآدم وزوجه بالهبوط.

والثانى: إخباره بالعداوة بين آدم وزوجه وبين إبليس، ولهذا أتى بضمير الجمع فى الثانى دون الأول، ولابد أن يكون إبليس داخلاً فى حكم هذه العداوة قطعاً، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا

﴿عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ (طه: 117) وقال للذرية: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (فاطر: 6).

وتأمل كيف اتفقت المواضع التي فيها ذكر العداوة على ضمير الجمع دون التثنية؟ وأما الإهباط فتارة يذكره بلفظ الجمع، وتارة بلفظ التثنية، وتارة بلفظ الإفراد، كقوله في سورة الأعراف: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ وكذلك في سورة ص وهذا لإبليس وحده، وحيث ورد بصيغة الجمع فهو لآدم وزوجه وإبليس، إذ مدار القصة عليهم، وحيث ورد بلفظ التثنية، فإما أن يكون لآدم وزوجه، إذ هما اللذان باشرا الأكل من الشجرة وأقدما على المعصية، وإما أن يكون لآدم وإبليس إذ هما أَبَوَا الثقلين وأصلا الذرية، فذكر حالهما ومآل أمرهما ليكون عظة وعبرة لأولادهما، وقد حكيت القولين في ذلك.

والذي يوضح أن الضمير في قوله: ﴿اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ لآدم وإبليس، أن الله سبحانه لما ذكر المعصية أفرد بها آدم دون زوجه فقال: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ (طه: 121 ـ 123) وهذا يدل على أن المخاطب بالإهباط هو آدم ومن زين له المعصية ودخلت الزوجة تبعاً، فإن المقصود إخبار الله تعالى للثقلين، بما جرى على أبويهما من شؤم المعصية ومخالفة الأمر، فذكر أبويهما أبلغ في حصول هذا المعنى، من ذكر أبوي الإنس فقط.

وقد أخبر سبحانه عن الزوجة أنها أكلت مع آدم، وأخبر أنه أهبطه وأخرجه من الجنة بتلك الأكلة، فعلم أن حكم الزوجة كذلك، وأنها صارت إلى ما صار إليه آدم، وكان تجريد العناية إلى ذكر حال أبوي الثقلين أولى من تجريده إلى ذكر أبي الإنس وأمهم، فتأمله.

وبالجملة فقوله: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: ظاهر في الجمع، فلا يسوغ حمله على الاثنين في قوله: ﴿اهْبِطَا﴾ من خير موجب.

قالوا: وأيضاً فالجنة جاءت معرفة بلام التعريف في جميع المواضع كقوله: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة: 35) ونظائره، ولا جنة يعهدها المخاطبون ويعرفونها إلا جنة الخلد التي وعد الرحمن عباده بالغيب، فقد صار هذا الاسم علماً عليها بالغلبة كالمدينة والنجم والبيت والكتاب ونظائرها، فحيث ورد لفظها معرفاً انصرف إلى الجنة المعهودة المعلومة في قلوب

المؤمنين، وأما إن أريد به جنة غيرها فإنها تجيء منكرة أو مقيدة بالإضافة، أو مقيدة من السياق بما يدل على أنها جنة في الأرض.

فالأول: كقوله: ﴿ **جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ** ﴾ (الكهف:32).

والثاني: كقوله: ﴿ **وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ** ﴾ (الكهف:39)، والثالث: كقوله: ﴿ **إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ** ﴾ (القلم:17).

قالوا: ومما يدل على أن جنة آدم هى جنة المأوى، ما روى هوذة بن خليفة عن عوف عن قسامة ابن زهير عن أبى موسى الأشعرى قال: «إن اللّه تعالى لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شيء، فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير».

قالوا: وقد ضمن اللّه سبحانه وتعالى له إن تاب إليه وأناب أن يعيده إليها، كما روى المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿ **فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ** ﴾ (البقرة:37) قال: **«يا رب ألم تخلقنى بيدك ! قال: بلى، قال: أى رب ألم تنفخ فىّ من روحك! قال: بلى، قال: أى رب ألم تسكنى جنتك ؟ قال: بلى، قال: أى رب ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلى، قال: أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعى أنت إلى الجنة ؟ قال: بلى. قال: فهو قوله تعالى:** ﴿ **فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ** ﴾ »[1] وله طرق عن ابن عباس وفى بعضها: **«كأن آدم قال لربه إذ عصاه: رب إن أنا تبت وأصلحت فقال له ربه: إنى راجعك إلى الجنة»** فهذا بعض ما احتج به القائلون بأنها جنة الخلد، ونحن نسوق حجج الآخرين.

---

(1) صحيح: أخرجه الحاكم وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبى، وأقرهم الألبانى وقال: وهذا فى حكم المرفوع، وانظر ذلك فى «التوسل» للألبانى ص (115).

الباب الرابع

فى سياق حجج الطائفة التى قالت:
ليست جنة الخلد وإنما هى جنة فى الأرض

قالوا: هذا قول تكثر الدلائل الموجبة للقول به فنذكر بعضها. قالوا: قد أخبر الله سبحانه على لسان جميع رسله: أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة، ولم يأت زمن دخولها بعد، وقد وصفها الله سبحانه وتعالى لنا فى كتابه بصفاتها، ومحال أن يصف الله سبحانه وتعالى شيئاً بصفة، ثم يكون ذلك الشىء بغير تلك الصفة التى وصفها.

قالوا: فوجدنا الله تعالى وصف الجنة التى أعدت للمتقين بأنها ﴿ دَارَ الْمُقَامَةِ ﴾، فمن دخلها أقام بها ولم يقم آدم بالجنة التى دخلها، ووصفها بأنها ﴿ جَنَّةُ الْخُلْدِ ﴾ وآدم لم يخلد فيها، ووصفها بأنها دار ثواب وجزاء لا دار تكليف وأمر ونهي، ووصفها بأنها دار سلامة مطلقة لا دار ابتلاء وامتحان، وقد ابتلى فيها آدم بأعظم الابتلاء، ووصفها بأنها دار لا يعصى الله فيها أبداً، وقد عصى آدم ربه فى جنته التى دخلها، ووصفها بأنها ليست دار خوف ولا حزن، وقد حصل للأبوين فيها من الخوف والحزن ما حصل، وسماها ﴿ دَارُ السَّلامِ ﴾ ولم يَسْلَم فيها الأبوان من الفتنة، ودار ﴿ الْقَرَارِ ﴾ ولم يستقرا فيها، وقال فى داخليها: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ (الحجر:48)، وقال: ﴿ لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾ (الحجر:48) وقد ند فيها آدم هارباً فاراً، وطفق يخصف ورق الجنة على نفسه، وهذا النصب بعينه، وأخبر أنه ﴿ لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ ﴾، وقد سمع فيها آدم لغو إبليس وإثمه، وأخبر أنه لا يسمع فيها لغو ولا كذاب، وقد سمع فيها آدم عليه السلام كذب إبليس، وقد سماها الله سبحانه وتعالى ﴿ مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾، وقد كذب فيها إبليس وحلف على كذبه.

وقال تعالى للملائكة: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة:30)، ولم يقل: إنى جاعل فى جنة المأوى فقالت الملائكة: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ (البقرة:30)، ومحال أن يكون هذا فى جنة المأوى.

وقد أخبر الله تعالى عن إبليس أنه قال لآدم: ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى ﴾ (طه:120)، فإن كان الله سبحانه وتعالى قد أسكن آدم جنة الخلد والملك الذى لا يبلى، فكيف

لم يرد عليه ويقول له: كيف تدلني على شيء أنا فيه وقد أعطيته، ولم يكن الله سبحانه وتعالى قد أخبر آدم إذ أسكنه الجنة أنه فيها من الخالدين، ولو علم أنها دار الخلد لما ركن إلى قول إبليس ولا مال إلى نصيحته، ولكنه لما كان في غير دار خلود غره بما أطمعه فيه من الخلد.

قالوا: ولو كان آدم أسكن جنة الخلد وهي دار القدس التي لا يسكنها إلا طاهر مقدس، فكيف توصل إليها إبليس الرجس والنجس المذموم المدحور، حتى فتن فيها آدم عليه السلام ووسوس له؟ وهذه الوسوسة إما أن تكون في قلبه، وإما أن تكون في أذنه، وعلى التقديرين فكيف توصل اللعين إلى دخول دار المتقين، وأيضاً فبعد أن قيل له: ﴿ فَاهْبِطْ مِنْهَا ﴾ فما يكون لك أن تتكبر فيها، أيفسح له أن يرقى إلى جنة المأوى فوق السماء السابعة بعد السخط عليه والإبعاد له والزجر والطرد بعتوه واستكباره، وهل هذا يلائم قوله: ﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ (الأعراف:13) فإن كانت مخاطبته لآدم بما خاطبه به وقاسمه عليه ليست تكبراً فما التكبر بعد هذا ؟!

فإن قلتم: فلعل وسوسته وصلت إلى الأبوين وهو في الأرض وهما فوق السماء في عليين، فهذا غير معقول لغة ولا حساً ولا عرفاً، وإن زعمتم أنه دخل في بطن الحية حتى أوصل إليهما الوسوسة فأبطل وأبطل، إذ كيف يرتقي بعد الإهباط له إلى أن يدخل الجنة ولو في بطن الحية ؟!

وإذا قلتم: إنه دخل في قلوبهما ووسوس إليهما، فالمحذور قائم، وأيضاً فإن الله سبحانه وتعالى حكى مخاطبته لهما كلاماً سمعاه شفاهاً فقال: ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ﴾ (الأعراف:20) وهذا دليل على مشاهدته لهما وللشجرة، ولما كان آدم خارجاً من الجنة وغير ساكن فيها قال الله تعالى له: ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ﴾ (الأعراف:22)، ولم يقل عن هذه الشجرة، فعندما قال لهما: ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ﴾ لما أطمعهما في ملكها والخلود في مقرها أتى باسم الإشارة بلفظ الحضور تقريباً لها وإحضاراً لها عندهما، وربهما تعالى قال لهما: ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ﴾ ولما أراد إخراجهما منها، فأتى باسم الإشارة بلفظ البعد والغيبة، كأنهما لم يبق لهما من الجنة حتى ولا مشاهدة الشجرة التي نُهيا عنها، وأيضاً فإنه سبحانه قال: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ (فاطر:10)، ووسوسة اللعين من أخبث الكلم فلا تصعد إلى محل القدس.

قال منذر: وقد روى عن النبي ﷺ: «أن آدم عليه السلام نام في جنته» وجنة الخلد لا نوم فيها بالنص وإجماع المسلمين، فإن النبي ﷺ سئل: «أينام أهل الجنة»؟ قال: «**لا. النوم أخو الموت**

والنوم وفاة»[1] وقد نطق به القرآن، والوفاة تقلب حال ودار السلام مسلمة من تقلب الأحوال والنائم ميت أو كالميت.

قلت: الحديث الذى أشار إليه المعروف أنه موقوف من رواية ابن أبى نجيح عن مجاهد قال: «خلقت حواء من قصيرى آدم وهو نائم».

وقال أسباط عن السدي: «أسكن آدم عليه السلام الجنة، وكان يمشى فيها وحشاً ليس له زوج يسكن إليها، فنام نومة فاستيقظ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه، فسألها ما أنت؟ قالت: امرأة، قال: ولم خلقت! قالت: لتسكن إلىّ».

وقال ابن إسحاق عن ابن عباس: «ألقى الله على آدم عليه السلام السِّنَة ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر ولأم مكانه لحماً وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء، فسواها امرأة يسكن إليها، فلما كشف عنه السِّنَةَ وهبَّ من نومته رآها إلى جنبه فقال: لحمى ودمى وزوجى، فسكن إليها».

قالوا: ولا نزاع أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم فى الأرض ولم يذكر فى موضع واحد أصلاً أنه نقله إلى السماء بعد ذلك، ولو كان قد نقله بعد ذلك إلى السماء لكان هذا أولى بالذكر، لأنه من أعظم الآيات ومن أعظم النعم عليه، فإنه كان معراجاً ببدنه وروحه من الأرض إلى فوق السموات.

قالوا: وكيف ينقله سبحانه ويسكنه فوق السماء، وقد أخبر ملائكته أنه جاعله فى الأرض خليفة؟ وكيف يسكنه دار الخلد التى من دخلها يخلد فيها لا يخرج منها؟ قال تعالى: ﴿**وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾ (الحجر:48)، قالوا: ولو لم يكن معنا فى المسألة إلا أن الله سبحانه أهبط إبليس من السماء حين امتنع من السجود لآدم عليه السلام، وهذا أمر تكوين لا يمكن وقوع خلافه، ثم أدخل آدم عليه السلام الجنة بعد هذا، فإن الأمر بالسجود كان عقب خلقه من غير فصل، فلو كانت الجنة فوق السموات لم يكن لإبليس سبيل إلى صعوده إليها وقد أهبط منها.

وأما تلك التقادير التى قدرتموها فتكلفات ظاهرة، كقول من قال: يجوز أن يصعد إليها صعوداً عارضاً لا مستقراً، وقول من قال: أدخلته الحية، وقول من قال: دخل فى أجوافها، وقول من قال: يجوز أن تصل وسوسته إليهما وهو فى الأرض وهما فوق السماء، ولا يخفى ما فى

(1) صحيح: أخرجه البيهقى فى «شعب الإيمان»، والبزار فى «مسنده» عن جابر، وأخرجه عبد الله بن المبارك «الزهد» (279) مرسلاً، وله طرق أخرى ذكرها الألبانى فى «السلسلة الصحيحة» (74) وقال هناك: «الصواب القول بصحته مسنداً ومرسلاً».

ذلك من التعسف الشديد والتكلف البعيد، وهذا بخلاف قولنا. فإنه سبحانه لما أهبطه من ملكوت السماء حيث لم يسجد لآدم عليه السلام أشرب عداوته، فلما أسكنه جنته حسده عدوه وسعى بكيده وغروره في إخراجه منها. والله أعلم.

قالوا: ومما يدل على أن جنة آدم لم تكن جنة الخلد التي وعد المتقون: أن الله سبحانه لما خلقه أعلمه أن لعمره أجلاً ينتهي إليه. وأنه لم يخلقه للبقاء كما روى الترمذي في جامعه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما خلق الله آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح عطس، فقال: الحمد لله فحمد الله بإذنه. فقال ربه: يرحمك الله يا آدم، اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس فقل: السلام عليكم. قالوا: وعليك السلام ... ثم رجع إلى ربه فقال: إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم. فقال الله له ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت، فقال: اخترت يمين ربي -وكلتا يديه يمين مباركة- ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته، فقال: يا رب ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه، فإذا فيهم رجل أضوؤهم قال: يا رب من هذا ؟ قال: هذا ابنك داود وقد كتبت له عمر أربعين سنة. قال: يا رب زد في عمره، قال ذلك الذي كتبت له. قال: أي رب فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة. قال: أنت وذاك، قال: ثم أسكن الجنة ما شاء الله ثم أهبط منها. فكان آدم عليه السلام يعد لنفسه، فأتاه ملك الموت فقال له آدم: قد عجلت قد كتبت لي ألف سنة. قال: بلى، ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة، فجحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته، قال فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود»**[1] قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة.

قالوا: فهذا صريح في أن آدم عليه السلام لم يخلق في دار البقاء التي لا يموت من دخلها، وإنما خلق في دار الفناء التي جعل الله تعالى لها ولسكانها أجلاً معلوماً، وفيها أسكن.

فإن قيل: فإذا كان آدم عليه السلام قد علم أن له عمراً مقدراً وأجلاً ينتهي إليه، وأنه ليس من الخالدين، فكيف لم يعلم كذب إبليس في قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾؟ وقوله: ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾؟

---

(1) **حسن صحيح:** أخرجه الترمذي (3368)، تفسير القرآن من طريق الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذُباب، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، وقال الألباني: «حسن صحيح» وانظر صحيح الترمذي.

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن الخلد لا يستلزم الدوام والبقاء، بل هو المكث الطويل كما سيأتي.

الثاني: أن إبليس لما حلف له وغره وأطمعه فى الخلود نسى ما قد قدر له من عمره.

قالوا: وأيضاً فمن المعلوم الذى لا ينازع فيه مسلم أن الله سبحانه خلق آدم عليه السلام من تربة هذه الأرض، وأخبر أنه خلقه ﴿ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾، وأنه خلقه ﴿ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾. فقيل: هو الذى له صلصلة ليبسه. وقيل: هو الذى قد تغيرت رائحته من قولهم: صلَّ اللحم إذا تغير. والحمأ: الطين الأسود المتغير،والمسنون: المصبوب، وهذه كلها أطوار للتراب الذى هو مبدؤه الأول. كما أخبر عن أطوار خلق الذرية ﴿ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ ﴾ ولم يخبر سبحانه وتعالى أنه رفعه من الأرض إلى فوق السموات لا قبل التخليق ولا بعده، فأين الدليل الدال على إصعاد مادته أو إصعاده هو بعد خلقه، وهذا ما لا دليل لكم عليه، ولا هو لازم من لوازم ما أخبر الله به !

قالوا: ومن المعلوم أن ما فوق السموات ليس بمكان للطين الأرضى المتغير الرائحة الذى قد أنتن من تغيره، وإنما محل هذا الأرض التى هى محل المتغيرات الفاسدات، وأما ما فوق الأفلاك فلا يلحقه تغير ولا نتن ولا فساد ولا استحالة، فهذا أمر لا يرتاب فيه العقلاء.

قالوا: وقد قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ (هود: 108). فأخبر سبحانه أن عطاء جنة الخلد غير مجذوذ. قالوا: فإذا جميع ما أخبر الله سبحانه به من أنه خلقه من الأرض، وجعله خليفة فى الأرض، وأن إبليس وسوس إليه فى مكانه الذى أسكنه فيه، بعد أن أهبطه من السماء بامتناعه من السجود له، وأنه أخبر ملائكته أنه ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾، وأن دار الخلد دار جزاء وثواب على الامتحان والتكاليف، وأنها لا لغو فيها ولا تأثيم ولا كذاب، وأن من دخلها لا يخرج منها ولا يبأس ولا يحزن ولا يخاف ولا ينام، وأن الله حرمها على الكافرين، وإبليس رأس الكفر، فإذا جمع ذلك بعضه إلى بعض، وفكر فيه المنصف الذى رفع له علم الدليل، فشمر إليه وربأ بنفسه عن حضيض التقليد، تبين له الصواب. والله الموفق.

قالوا: ولو لم يكن فى المسألة إلا أن الجنة ليست دار تكليف، وقد كلف الله سبحانه الأبوين بنهيهما عن الأكل من الشجرة، فدل على أنها دار تكليف لا دار جزاء وخلد. فهذا أيضاً بعض ما احتجت به هذه الفرقة على قولها، والله أعلم.

الباب الخامس

فى جـواب أربـاب هـذا القـول لأصحاب القـول الأول

قالوا: أما قولكم: إن قولنا هو الذى فطر الله عليه عباده بحيث لا يعرفون سواه، فالمسألة سمعية لا تُعرف إلا بأخبار الرسل، ونحن وأنتم إنما تلقينا هذا من القرآن لا من المعقول ولا من الفطرة، فالمتبع فيه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله، ونحن نطالبكم بصاحب واحد أو تابع أو أثر صحيح أو حسن، يصرح بأنها جنة الخلد التى أعدها الله للمؤمنين بعينها ولن تجدوا إلى ذلك سبيلاً، وقد وجدنا من كلام السلف ما يدل على خلافه، ولكن لما وردت الجنة مطلقة فى هذه القصة، ووافقت اسم الجنة التى أعدها الله لعباده فى إطلاقها وبعض أوصافها، فذهب كثير من الأوهام إلى أنها بعينها، فإن أردتم بالفطرة هذا القدر لم يفدكم شيئاً، وإن أردتم أن الله فطر الخلق على ذلك كما فطرهم على حسن العدل وقبح الظلم وغير ذلك من الأمور الفطرية فدعوى باطلة، ونحن إذا رجعنا إلى فطرنا لم نجد علمها بذلك كعلمها بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات.

وأما استدلالكم بحديث أبى هريرة ﷺ، وقول آدم: «**وهل أخرجكم منها إلا خطيئة أبيكم**»(1) فإنما يدل على تأخر آدم عليه السلام عن الاستقباح للخطيئة التى قد تقدمت منه فى دار الدنيا، وأنه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنة، كما فى اللفظ الآخر: إنى نهيت عن أكل الشجرة فأكلت منها، فأين فى هذا ما يدل على أنها جنة المأوى بمطابقة أو تضمن أو استلزام، وكذلك قول موسى له: أخرجتنا ونفسك من الجنة، فإنه لم يقل له: أخرجتنا من جنة الخلد.

وقولكم: إنهم خرجوا من بساتين من جنس الجنة التى فى الأرض، فاسم الجنة وإن أطلق على تلك البساتين، فبينها وبين جنة آدم ما لا يعلمه إلا الله، وهى كالسجن بالنسبة إليها. واشتراكهما فى كونها فى الأرض لا ينفى تفاوتهما أعظم تفاوت فى جميع الأشياء.

وأما استدلالكم بقوله تعالى: ﴿**وَقُلْنَا اهْبِطُوا**﴾(البقرة:38)، عقيب إخراجهم من الجنة، فلفظ الهبوط لا يستلزم النزول من السماء إلى الأرض وغايته أن يدل على النزول من مكان عال إلى أسفل منه وهذا غير منكر، فإنها كانت جنة فى أعلى الأرض فأهبطوا منها إلى الأرض.

وقد بيّنا أن الأمر كان لآدم عليه السلام وزوجه وعدوهما، فلو كانت الجنة فى السماء لما كان

---

(1) صحيح: أخرجه مسلم (195).

عدوهما متمكناً منها بعد إهباطه الأول لما أبى السجود لآدم عليه السلام. فالآية إذاً من أظهر الحجج عليكم؛ ولا تغني عنكم وجوه التعسفات والتكلفات التي قدرتموها، وقد تقدمت.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾(البقرة:36) فهذا لا يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض، فإن الأرض اسم جنس، وكانوا في أعلاها وأطيبها وأفضلها في محل لا يدركهم فيه جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا ضحى، فأهبطوا إلى أرض يعرض فيها ذلك كله، وفيها حياتهم وموتهم، وخروجهم من القبور، والجنة التي أسكناهم لم تكن دار نصب ولا تعب ولا أذى، والأرض التي أهبطوا إليها هي محل التعب والنصب والأذى وأنواع المكاره.

وأما قولكم: إنه سبحانه وتعالى وصفها بصفات لا تكون في الدنيا، فجوابه أن تلك الصفات لا تكون في الأرض التي أهبطوا إليها منها، وأما قولكم: إن آدم عليه السلام كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية، فلو كانت الجنة فيها لعلم كذب إبليس في قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾(طه:120) فجوابه من وجهين:

أحدهما: أن اللفظ إنما يدل على الخلد وهو أعم من الدوام الذي لا انقطاع له، فإنه في اللغة: المكث الطويل، ومكث كل شيء بحسبه، ومنه قولهم: رجل مخلد إذا أسن وكبر، ومنه قولهم لأثافي الصخور: خوالد؛ لطول بقائها بعد دروس الأطلال. قال:

إلاَّ رَمَاداً هَامِداً دَفَعَتْ عَنْهُ الرِّيَاحَ خَوَالِدٌ سُحْمُ

ونظير هذا إطلاقهم القديم على ما تقدم عهده وإن كان له أول، كما قال تعالى: ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (يس:39)، ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ (يوسف:95)، ﴿إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ (الأحقاف:11)، وقد أطلق تعالى الخلود في النار على عذاب بعض العصاة، كقاتل النفس، وأطلقه النبي ﷺ على قاتل نفسه.

الوجه الثاني: أن العلم بانقطاع الدنيا ومجيء الآخرة إنما يعلم بالوحي، ولم يتقدم لآدم عليه الصلاة والسلام نبوة يعلم بها ذلك، وهو وإن نبأه الله سبحانه وتعالى وأوحى إليه وأنزل عليه منها صحفاً كما في حديث أبي ذر، لكن هذا بعد إهباطه إلى الأرض بنص القرآن، قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾(طه: 123). وكذلك في سورة البقرة: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾(البقرة:38).

وأما قولكم: إن الجنة وردت معرفة باللام غير مراد بها جنة الخلد قطعاً، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ (القلم:17) وقولكم: إن السياق ههنا دل على أنها جنة فى الأرض.

قلنا: والأدلة التى ذكرناها دلت على أن جنة آدم عليه السلام فى الأرض، فلذلك صرنا إلى موجبها؛ إذ لا يجوز تعطيل دلالة الدليل الصحيح.

وأما استدلالكم بأثر أبى موسى: «إن الله أخرج آدم عليه السلام من الجنة، وزوده من ثمارها» فليس فيه زيادة على ما دل عليه القرآن إلا تزوده منها، وهذا لا يقتضى أن تكون جنة الخلد.

وقولكم: إن هذه تتغير، وتلك لا تتغير، فمن أين لكم أن الجنة التى أسكنها آدم، كان التغير يعرض لثمارها كما يعرض لهذه الثمار، وقد ثبت فى الحديث الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: «**لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم**»[1] أى لم يتغير ولم ينتن وقد أبقى الله سبحانه وتعالى فى هذا العالم طعام العزير وشرابه مائة سنة لم يتغير.

وأما قولكم: إن الله سبحانه وتعالى ضمن لآدم عليه السلام إن تاب أن يعيده إلى الجنة ؛ فلا ريب أن الأمر كذلك. ولكن ليس تعلم أن الضمان إنما يتناول عوده إلى تلك الجنة بعينها، بل إذا أعاده إلى جنة الخلد فقد وفى سبحانه بضمانه حق الوفاء، ولفظ العود لا يستلزم الرجوع إلى عين الحالة الأولى ولا زمانها ولا مكانها بل ولا إلى نظيرها. كما قال شعيب لقومه: ﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ﴾ (الأعراف:89)، وقد جعل الله سبحانه المظاهر عائداً بإرادته الوطء ثانياً أو بنفس الوطء أو بالإمساك وكل منها غير الأول عينه، فهذا ما أجابت به هذه الطائفة لمن نازعها.

---

(1) صحيح: أخرجه البخارى (3330)، ومسلم (1470) عن أبى هريرة.

الباب السادس

فى جواب من زعم أنها جنة الخلد عما احتج به منازعوهم

قالوا: وأما قولكم: إن اللّه سبحانه أخبر أن جنة الخلد إنما يقع الدخول إليها يوم القيامة، ولم يأت زمن دخولها بعد، فهذا حق فى الدخول المطلق الذى هو دخول استقرار ودوام، وأما الدخول العارض فيقع قبل يوم القيامة.

وقد دخل النبى ﷺ الجنة ليلة الإسراء وأرواح المؤمنين والشهداء فى البرزخ فى الجنة، وهذا غير الدخول الذى أخبر اللّه به فى يوم القيامة، فدخول الخلود إنما يكون يوم القيامة، فمن أين لكم أن مطلق الدخول لا يكون فى الدنيا؟! وبهذا خرج الجواب عن استدلالكم بكونها دار المقامة ودار الخلد.

قالوا: وأما احتجاجكم بسائر الوجوه التى ذكرتموها فى الجنة. وأنها لم توجد فى جنة آدم عليه السلام من العرى والنصب والحزن واللغو والكذب وغيرها. فهذا كله حق لا ننكره نحن ولا أحد من أهل الإسلام. ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة كما يدل عليه سياق الآيات كلها، فإن نَفْى ذلك مقرونٌ بدخول المؤمنين إياها، وهذا لا ينفى أن يكون فيها بين أبوى الثقلين ما حكاه اللّه سبحانه وتعالى من ذلك، ثم يصير الأمر عند دخول المؤمنين إياها إلى ما أخبر اللّه عنها فلا تنافِ بين الأمرين.

وأما قولكم: إنها دار جزاء وثواب لا دار تكليف، وقد كلف اللّه سبحانه آدم بالنهى عن الأكل من تلك الشجرة، فدل على أن تلك الجنة دار تكليف، لا دار خلود. فجوابه من وجهين:

أحدهما: أنه إنما تمتنع أن تكون دار تكليف إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة فحينئذ ينقطع التكليف. وأما وقوع التكليف فيها فى دار الدنيا فلا دليل على امتناعه البتة، كيف وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «**دخلت البارحة الجنة فرأيت امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن أنت**» الحديث. (1)

(1) صحيح: أخرجه ابن أبى عاصم فى «السنة» (1270)، وصححه الألبانى كما فى صحيح الجامع (2862) عن أبى هريرة.

وغير ممتنع أن يكون فيها من يعمل بأمر الله ويعبد الله قبل يوم القيامة، بل هذا هو الواقع، فإن من فيها الآن مؤتمرون بأوامر من قبل ربهم لا يتعدونها سواء سمى ذلك تكليفاً أو لم يسم.

الوجه الثانى: أن التكليف فيها لم يكن بالأعمال التى يكلف بها الناس فى الدنيا من الصيام والصلاة والجهاد ونحوها، وإنما كان حجراً عليهما فى شجرة واحدة من جملة أشجارها، إما واحدة بالعين أو بالنوع، وهذا القدر لا يمتنع وقوعه فى دار الخلد، كما أن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها، فإن أردتم بكونها ليست دار تكليف امتناع وقوع مثل هذا فيها فى وقت من الأوقات فلا دليل عليه، وإن أردتم أن تكاليف الدنيا منتفية عنها، فهو حق ولكن لا يدل على مطلوبكم.

وأما استدلالكم بنوم آدم فيها والجنة لا ينام أهلها، فهذا إن ثبت النقل بنوم آدم فإنما ينفى النوم عن أهلها يوم دخول الخلود حيث لا يموتون وأما قبل ذلك فلا.

وأما استدلالكم بقصة وسوسة إبليس له بعد إهباطه وإخراجه من السماء، فلعمر الله إنه لمن أقوى الأدلة وأظهرها على صحة قولكم وتلك التعسفات لدخوله الجنة وصعوده إلى السماء بعد إهباط الله له منها لا يرتضيها منصف، ولكن لا يمتنع أن يصعد إلى هناك صعوداً عارضاً لتمام الابتلاء والامتحان الذى قدره الله تعالى وقدر أسبابه. وإن لم يكن ذلك المكان مقعداً له مستقراً كما كان، وقد أخبر الله سبحانه عن الشياطين أنهم كانوا قبل مبعث رسول الله ﷺ يقعدون من السماء ﴿مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ فيستمعون الشىء من الوحى وهذا صعود إلى هناك ولكنه صعود عارض لا يستقرون فى المكان الذى يصعدون إليه مع قوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ فلا تناف بين هذا الصعود وبين الأمر بالهبوط فهذا محتمل والله أعلم.

وأما استدلالكم بأن الله سبحانه أعلم آدم عليه السلام مقدار أجله وما ذكرتم من الحديث وتقرير الدلالة منه.

فجوابه: أن إعلامه بذلك لا ينافى إدخاله جنة الخلد وإسكانه فيها مدة.

وأما إخباره سبحانه أن داخلها لا يموت وأنه لا يخرج منها، فهذا يوم القيامة.

وأما احتجاجكم بكونه خلق من الأرض فلا ريب في ذلك، ولكن من أين لكم أنه كمل خلقه فيها، وقد جاء في بعض الآثار: «أن الله سبحانه ألقاه على باب الجنة أربعين صباحاً، فجعل إبليس يطيف به ويقول: لأمر ما خلقت، فلما رآه أجوف علم أنه خلق لا يتمالك، فقال: لئن سلطت عليه لأهلكنه، ولئن سلط عليّ لأعصينه»[1] ؟ مع أن قوله سبحانه: **﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾** (البقرة: 31 ـ 33).

يدل على أنه كان في السماء معهم بحيث أنبأهم بتلك الأسماء، وإلا فهم لم ينزلوا كلهم إلى الأرض حتى سمعوا منه ذلك، ولو كان خلقه قد كمل في الأرض لم يمتنع أن يصعده سبحانه إلى السماء لأمر دبره وقدره، ثم يعيده إلى الأرض فقد أصعد المسيح عليه السلام إلى السماء ثم ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، وقد أسرى ببدن رسول الله ﷺ وروحه إلى فوق السموات. فهذا جواب القائلين بأنها جنة الخلد لمنازعيهم. والله أعلم.

---

(1) أخرج مسلم في «صحيحه» (2611) عن أنس مرفوعاً: «لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقاً لا يتمالك».

الباب السابع

فى ذكـر شبـه من زعم أن الجنة لم تـخلق بعد

قـالوا: لـو كـانت الجنة مـخلوقـة الآن لوجب اضطراراً إلـى أن تفنى يوم القيـامـة وأن يهلك كل ما فيها ويموت لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ (القصص:88) و ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آل عمران: 185)، فتموت الحور العين التى فيها والولدان. وقد أخبر اللّه سبحانه أن الدار خلود ومن فيهـا مخلدون لا يموتون فيها وخبره سبحـانه لا يجوز عليه خلف ولا نسخ.

قـالوا: وقـد روى الترمـذى فى جـامعـه من حـديث ابن مسعـود رضى الله عنه قـال: قـال رسـول اللّه ﷺ : «**لقـيت إبراهيم ليلة أسرى بى فـقـال: يا مـحـمـد أقرئ أمـتك منى السـلام وأخبـرهم أن الجنة طيبة التربة عـذبة الماء، وأنها قيـعان، وأن غراسهـا سبحان اللّه، والحمد لله، ولا إله إلا اللّه، واللّه أكبر**»[1] قال: هذا حديث حسن غريب.

وفيـه أيضـاً مـن حـديث أبى الزبيـر عن جـابـر عن النبى ﷺ أنه قـال: «**من قـال سبـحـان اللّه وبحمده غرست له نخلة فى الجنة**»[2] قال: هذا حديث حسن صحيح.

قـالوا: فلو كانت الجنة مخلوقـة مفروغـاً منهـا لم تكن قيـعـانـاً، ولم يكن لهـذا الغرس معنى. قالوا: وقد قال تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ (التحريم:11)، ومحال أن يقول قائل لمن نسج له ثوباً أو بنى له بيتاً: انسج لى ثوباً وابن لى بيتاً. وأصرح من هذا قول النبى ﷺ : «**من بنى لله مسجداً بنى اللّه له بيتاً فى الجنة**»[3] متفق عليه.

---

(1) **حسن:** أخرجه الترمذى (3462)، من طريق عبد الواحد بن زياد عن عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم ابن عبد الرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود رضى الله عنه، وحسنه الألبانى وانظر الصحيحة (106).

(2) **صحيح:** أخرجه الترمذى (3464)، من طريق روح بن عبادة، عن حجاج الصواف عن أبى الزبير، عن جابر عن النبى ﷺ . وصححه الألبانى وانظر الصحيحة (64).

(3) **صحيح:** أخرجه البخارى (450) الصلاة، ومسلم (533) المساجد ومواضع الصلاة، وشرطه فى الحديث أن يبتغى به وجه الله.

وهذه جملة مركبة من شرط وجزاء تقتضى وقوع الجزاء بعد الشرط بإجماع أهل العربية، وهذا ثابت عن النبى ﷺ من رواية عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعمرو بن عبسة.

قالوا: وقد جاءت آثار بأن الملائكة تغرس فيها وتبنى للعبد ما دام يعمل، فإذا فتر الملك عن العمل.

قالوا: وقد روى ابن حبان فى صحيحه والإمام أحمد فى مسنده من حديث أبى موسى الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا قبض الله ولد العبد، قال: يا ملك الموت قبضت ولد عبدي، قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده ! قال: نعم، قال: فما قال ؟ قال: حمدك واسترجع. قال: ابنوا له بيتاً فى الجنة وسموه: بيت الحمد**». (1)

وفى المسند من حديثه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ : «**من صلى فى يوم وليلة ثنتى عشرة ركعة سوى الفريضة بنى الله له بيتاً فى الجنة**» (2)

قالوا: وليس هذا من أقوال أهل البدع والاعتزال كما زعمتم، فهذا ابن مزين قد ذكر فى تفسيره عن ابن نافع وهو من أئمة السنة. أنه سئل عن الجنة أمخلوقة هى ؟ فقال: السكوت عن هذا أفضل. والله أعلم.

---

(1) **حسن لغيره**: أخرجه الترمذى (1021) الجنائز، وأحمد (19226)، وابن حبان فى صحيحه (726) موارد، وقال الألبانى: «حسن لغيره» وانظر الصحيحة (1408).

(2) **صحيح**: أخرجه أحمد (19597)، ورواته ثقات عن أبى موسى الأشعرى ورواه الترمذى (415)، والنسائى (1806)، وابن ماجه (1141)، عن أم حبيبة رضى الله عنها وصححه الألبانى.

الباب الثامن

فـى الجـواب عـمـا احتـجـت بـه هـذه الطـائـفـة

قد تقدم فى الباب الأول ذكر الأدلة الدالة على وجود الجنة الآن ما فيه كفاية، فنقول: ما تعنون بقولكم: إن الجنة لم تخلق بعد، أتريدون أنها الآن عدم محض لم تدخل إلى الوجود بعد، بل هى بمنزلة النفخ فى الصور وقيام الناس من القبور ؟ فهذا قول باطل يرده المعلوم بالضرورة من الأحاديث الصريحة الصحيحة التى تقدم بعضها وسيأتى بعضها، وهذا قول لم يقله أحد من السلف ولا أهل السنة وهو باطل قطعاً. أم تريدون أنها لم تخلق بكمالها، وجميع ما أعد اللّه فيها لأهلها، وأنها لا يزال اللّه يحدث فيها شيئاً بعد شىء، وإذا دخلها المؤمنون أحدث اللّه فيها عند دخولهم أموراً أخر، فهذا حق لا يمكن رده.

وأدلتكم هذه إنما دلت على هذا القدر، وحديث ابن مسعود الذى ذكرتموه، وحديث أبى الزبير عن جابر صريحان فى أن أرضها مخلوقة، وأن الذكر الذى ينشئ اللّه سبحانه لقائله منه غراساً فى تلك الأرض، وكذا بناء البيوت فيها بالأعمال المذكورة، والعبد كلما وسع فى أعمال البر وسع الله له فى الجنة، وكلما عمل خيراً غرس له به هناك غراس وبنى له بناء، وأنشئ له من عمله أنواع مما يتمتع به، فهذا القدر لا يدل على أن الجنة لم تخلق بعد ولا يسوغ إطلاق ذلك.

وأما احتجاجكم بقوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ (القصص:88)، فإنما أتيتم من عدم فهمكم معنى الآية، واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن نظير احتجاج إخوانكم بها على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما، فلا أنتم وفقتم لفهم معناها ولا إخوانكم، وإنما وفق لفهم معناها السلف وأئمة الإسلام، ونحن نذكر بعض كلامهم فى الآية.

قال البخارى فى صحيحه: يقال كل شىء هالك إلا وجهه: إلا ملكه، ويقال: إلا ما أريد به وجهه.

وقال الإمام أحمد فى رواية ابنه عبد اللّه: فأما السماء والأرض فقد زالتا لأن أهلهما صاروا إلى الجنة وإلى النار، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب، لأنه سقف الجنة، واللّه سبحانه وتعالى عليه فلا يهلك ولا يبيد.

وأما قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ ذلك أن الله سبحانه وتعالى أنزل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن:26)، فقالت الملائكة: هلك أهل الأرض وطمعوا فى البقاء، فأخبر الله تعالى عن أهل السموات وأهل الأرض أنهم يموتون فقال: كل شىء هالك ـ يعنى ميت ـ إلا وجهه، لأنه حى لا يموت، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت. انتهى كلامه.

وقال فى رواية أبى العباس أحمد بن جعفر بن يعقوب الأصطخرى ذكره أبو الحسين فى (كتاب الطبقات) قال: قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروتها المعروفين بها المقتدى بهم فيها، من لدن أصحاب نبينا ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق.

وساق أقوالهم إلى أن قال: وقد خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها، خلقهما الله عز وجل وخلق الخلق لهما، وخلق كل شىء انخلق لهما ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً.

فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ وبنحو هذا من متشابه القرآن قيل له: كل شىء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك، وهما من الآخرة لا من الدنيا، والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة، ولا عند النفخة ولا أبداً، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء، ولم يكتب عليهن الموت.

فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع، وقد ضل عن سواء السبيل وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام، والماء فوق السماء السابعة، وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء، وأن الله عز وجل على العرش والكرسى موضع قدميه، وهو يعلم ما فى السموات والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى، وما فى قعر البحر ومنبت كل شعرة وشجرة، وكل زرع وكل نبات وسقطة كل ورقة وعدد كل كلمة وعدد الحصا والتراب والرمل ومثاقيل الجبال وأعمال العباد واثارهم وكلامهم وأنفاسهم، ويعلم كل شىء لا

يخفى عليه من ذلك شيء وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمة، وما هو أعلم بها، فإن احتج مبتدع ومخالف بقول الله عز وجل: ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾(ق:16)، وقوله: ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** ﴾(الحديد:4)، وقوله: ﴿ **إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا** ﴾ (المجادلة:7) وقوله: ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ** ﴾ (المجادلة:7) ونحو هذا من متشابه القرآن فقل: إنما يعنى بذلك العلم، لأن الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا، يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه، لا يخلو من علمه مكان.

وقال فى رواية ابن أبى جعفر الطائى محمد بن عوف بن سفيان الحمصي، قال: الخلال حافظ إمام فى زمانه معروف بالتقدم فى العلم والمعرفة، كان أحمد بن حنبل يعرف له ذلك ويقبل منه، ويسأله عن الرجال من أهل بلده.

قال: أملى على أحمد بن حنبل فذكر رسالة فى السنة ثم قال فى أثنائها: وإن الجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا كما جاء الخبر. قال النبى ﷺ: «**دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً ورأيت الكوثر، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا**» فمن زعم أنهما لم يخلقا فهو مكذب برسول الله ﷺ وبالقرآن، كافر بالجنة والنار، يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

وقال فى رواية عبدوس بن مالك العطار، وذكر رسالة السنة قال فيها: والجنة والنار مخلوقتان، قد خلقتا كما جاء عن رسول الله ﷺ: «**اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا**».

فمن زعم أنهما لم تخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ، ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار.

فتأمل هذه الأبواب وما تضمنته من النقول والمباحث والنكت والفوائد التى لا تظفر بها فى غير هذا الكتاب ألبتة. ونحن اختصرنا الكلام فى ذلك ولو بسطناه لقام منه سِفْر ضخم. والله المستعان وعليه التكلان. وهو الموفق للصواب.

الباب التاسع

فى ذكــر عــدد أبــواب الجنـــة

قال اللّه تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (الزمر:73) وقال فى صفة النار: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ (الزمر:71) بغير واو، فقالت طائفة: هذه واو الثمانية دخلت فى أبواب الجنة لكونها ثمانية، وأبواب النار سبعة فلم تدخل الواو.

وهذا قول ضعيف لا دليل عليه ولا تعرفه العرب ولا أئمة العربية، وإنما هذا من استنباط بعض المتأخرين.

وقالت طائفة أخرى: الواو زائدة، والجواب الفعل الذى بعدها كما هو فى الآية الثانية وهذا أيضاً ضعيف، فإن زيادة الواو غير معروف فى كلامهم، ولا يليق بأفصح الكلام أن يكون فيه حرف زائد بغير معنى ولا فائدة.

وقالت طائفة ثالثة: الجواب محذوف وقوله: وفتحت أبوابها عطف على قوله: جاؤوها. وهذا اختيار أبى عبيدة والمبرد والزجاج وغيرهم.

قال المبرد: وحذف الجواب أبلغ عند أهل العلم.

قال أبو الفتح ابن جني: وأصحابنا يدفعون زيادة الواو ولا يجيزونه ويرون أن الجواب محذوف للعلم به.

بقى أن يقال: فما السر فى حذف الجواب فى آية أهل الجنة، وذكره فى آية أهل النار ؟ فيقال: هذا أبلغ فى الموضعين، فإن الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة، حتى إذا وصلوا إليها فتحت فى وجوههم ففجأهم العذاب بغتة، فحين انتهوا إليها فتحت أبوابها بلا مهلة، فإن هذا شأن الجزاء المرتب على الشرط أن يكون عقيبه فإنها دار الإهانة والخزى فلم يستأذن لهم فى دخولها ويطلب إلى خزنتها أن يمكنوهم من الدخول، وأما الجنة فإنها دار اللّه ودار كرامته ومحل خواصه وأوليائه، فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة، فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم ويستشفعون إليه بأولى العزم من رسله، وكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة

على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم، فيقول: أنا لها، فيأتى إلى تحت العرش ويخر ساجداً لربه فيدعه ما شاء أن يدعه، ثم يأذن له فى رفع رأسه وأن يسأل حاجته، فيشفع إليه سبحانه فى فتح أبوابها فيشفعه ويفتحها تعظيماً لخطرها، وإظهاراً لمنزلة رسوله وكرامته عليه. وإن مثل هذه الدار التى هى دار ملك الملوك رب العالمين، إنما يدخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التى أولها من حين عقل العبد فى هذه الدار إلى أن انتهى إليها، وما ركبه من الأطباق طبقاً بعد طبق، وقاساه من الشدائد شدة بعد شدة حتى أذن الله تعالى لخاتم أنبيائه ورسله وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه فى فتحها لهم. وهذا أبلغ وأعظم فى تمام النعمة وحصول الفرح والسرور، مما يقدر عليه بخلاف ذلك ولئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان الذى يدخله من شاء فجنة الله عالية غالية، بين الناس وبينها من العقبات والمفاوز والأخطار ما لا تنال إلا به، فما لمن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى ولهذه الدار؟ فليعد عنها إلى ما هو أولى به، وقد خلق له وهيئ له.

وتأمل ما فى سَوْق الفريقين إلى الدارين زمراً من فرحة هؤلاء بإخوانهم وسيرهم معهم كل زمرة على حدة، مشتركين فى عمل متصاحبين فيه على زمرتهم وجماعتهم، مستبشرين أقوياء القلوب، كما كانوا فى الدنيا وقت اجتماعهم على الخير. كذلك يؤنس بعضهم بعضاً ويفرح بعضهم ببعض.

وكذلك أصحاب الدار الأخرى يساقون إليها زمراً، يلعن بعضهم بعضاً، ويتأذى بعضهم ببعض، وذلك أبلغ فى الخزى والفضيحة والهتيكة، من أن يساقوا واحداً واحداً فلا تهمل تدبر قوله ﴿ **زُمَرًا** ﴾.

وقال خزنة أهل الجنة لأهلها: سلام عليكم، فبدأوهم بالسلام المتضمن للسلامة من كل شر ومكروه، أى سلمتم فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون، ثم قالوا لهم: ﴿ **طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** ﴾أى سلامتكم ودخولها بطيبكم، فإن الله حرمها إلا على الطيبين فبشروهم بالسلامة والطيب والدخول والخلود.

وأما أهل النار فإنهم لما انتهوا إليها على تلك الحال من الهم والغم والحزن وفتحت لهم أبوابها ووقفوا عليها وزيدوا على ما هم عليه توبيخ خزنتها وتبكيتهم لهم بقولهم: ﴿ **أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا** ﴾(الزمر:٧١) فاعترفوا وقالوا: بلى، فبشروهم بدخولها والخلود فيها وأنها بئس المثوى لهم.

وتأمل قـول خـزنة الجنة لأهلهـا: ﴿ ادْخُلُوهَا ﴾. وقـول خزنـة النار لأهلهـا: ﴿ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ﴾، تجد تحته سراً لطيفاً ومعنى بديعاً لا يخفى على المتأمل وهو: أنهـا لما كانت دار العقوبة وأبوابهـا أفظع شيء، وأشده حراً وأعظمه غماً، يستقبل فيهـا الداخل من العـذاب ما هو أشد منهـا، ويدنو من الغم والخـزى والكرب بدخـول الأبواب. فـقيل: ادخلوا أبـوابهـا صَغـاراً لهم وإذلالاً وخزياً، ثم قيل لهم: لا يقتصر بكم على مجرد دخول الأبواب الفظيعة، ولكن وراءها الخلود في النار. وأمـا الجنة فـهي دار الكرامـة والمنزل الـذي أعده الله لأوليائه، فـبشـروا من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها.

وتأمل قـوله سبحـانه: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ۝٥٠ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾(ص:50-51) كيف تجد تحته معنى بديعـاً، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هي.

وأما النار فإذا دخلهـا أهلها أغلقت عليهم أبوابها، كمـا قال تعالى: ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ (الهمزة:8) أي مطبقة مغلقة، ومنه سمي البـاب وصيداً وهي: ﴿ مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ قد جعلت العمد ممسكة للأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذي يجعل خلف الباب.

قال مقاتل: يعني أبوابها عليهم مطبقة، فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد.

وأيضاً فإن في تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم وذهـابهم وإيابهم وتبـوئهم من الجنة حيث شاؤوا، ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم ودخـول ما يسرهم عليهم كل وقت.

وأيضاً أشـار إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيهـا إلى غلق الأبواب، كما كـانوا يحتـاجون إلى ذلك في الدنيا.

وقد اختلف أهل العربية في الضمير العائد من الصفة على الموصوف في هذه الجملة.

فقال الكوفيون: التقدير مفتحة لهم أبوابها، والعرب تعـاقب بين الألف واللام والإضافة فيـقـولون: مررت برجل حسن العين أي عـينه. ومنه قـوله تعـالى: ﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (النازعات:39) أي مأواه.

وقال بعض البصريين: التقدير مفتحة لهم الأبواب منها فحذف الضمير وما اتصل به، قال: وهذا التقدير فى العربية أجود من أن يجعل الألف واللام بدلاً من الهاء والألف، لأن معنى الألف واللام ليس من معنى الهاء والألف فى شيء، لأن الهاء والألف اسم، والألف واللام دخلتا للتعريف، ولا يبدل حرف من اسم ولا ينوب عنه.

قالوا: وأيضاً لو كانت الألف واللام بدلاً من الضمير لوجب أن يكون فى ﴿ مُفَتَّحَةً ﴾ ضمير الجنات، ويكون المعنى مفتحة هى ثم أبدل منها الأبواب، ولو كان كذلك لوجب نصب الأبواب لكون مفتحة قد رفع ضمير الفاعل فلا يجوز أن يرفع به اسم آخر لامتناع ارتفاع فاعلين بفعل واحد، فلما ارتفع الأبواب دل على أن مفتحة خال من ضمير والأبواب مرتفعة به. وإذا كان فى الصفة ضمير تعين نصب الثانى كما تقول: مررت برجل حسن الوجه. ولو رفعت الوجه ونونت حسناً لم يجز، فالألف واللام إذاً للتعريف ليس إلا، فلابد من ضمير يعود على الموصوف الذى هو جنات عدن، ولا ضمير فى اللفظ فهو محذوف تقديره الأبواب منها.

وعندى أن هذا غير مبطل لقول الكوفيين، فإنهم لم يريدوا بالبدل إلا أن الألف واللام خلف وعوض عن الضمير تغنى عنه. وإجماع العرب على قولهم: حسن الوجه وحسن وجهه شاهد بذلك، وقد قالوا: إن التنوين بدل من الألف واللام بمعنى أنهما لا يجتمعان، وكذلك المضاف إليه يكون بدلاً من التنوين والتنوين بدل من الإضافة، بمعنى التعاقب والتوارد ولا يريدون بقولهم هذا بدل من هذا، أن معنى البدل معنى المبدل منه، بل قد يكون فى كل منهما معنى لا يكون فى الآخر.

فالكوفيون أرادوا أن الألف واللام فى الأبواب أغنت عن الضمير. لو قيل أبوابها وهذا صحيح، فإن المقصود الربط بين الصفة والموصوف بأمر يجعلها له لا مستقلة، فلما كان الضمير عائداً على الموصوف نفى توهم الاستقلال، وكذلك لام التعريف فإن كلاً من الضمير واللام يعين صاحبه هذا بعين مفسدة، وهذا بعين ما دخل عليه. وقد قالوا فى زيد نعم الرجل: إن الألف واللام أغنت عن الضمير. والله أعلم.

وقد أعرب الزمخشرى هذه الآية إعراباً اعترض عليه فيه فقال: جنات عدن معرفة كقوله: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ (مريم:61) وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب، ومفتحة حال، والعامل فيها ما فى المتقين من معنى الفعل وفى مفتحة ضمير الجنات،

والأبواب بدل من الضمير تقديره مفتحة، هى الأبواب، كقولهم: ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال، هذا إعرابه. فاعترض عليه بأن جنات عدن ليس فيها ما يقتضى تعريفها. وأما قوله: ﴿ **الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ** ﴾(مريم:61) فبدل لاصفة، وبأن جنات عدن لا يسهل أن تكون عطف بيان لحسن مآب على قوله، لأن جريان المعرفة على النكرة عطف بيان لا قائل به، فإن القائل قائلان:

أحدهما: لا يكون إلا فى المعارف كقول البصريين.

والثاني: أنه يكون فى المعارف والنكرات بشرط المطابقة، كقول الكوفيين وأبى على الفارسى.

وقوله: إن فى مفتحة ضمير الجنات، فالظاهر خلافه، وأن الأبواب مرتفع به ولا ضمير فيه.

وقوله: إن الأبواب بدل اشتمال فبدل الاشتمال قد صرح هو وغيره أنه لابد فيه من الضمير، وإن نازعهم فيه آخرون، ولكن يجوز أن يكون الضمير ملفوظاً به، وأن يكون مقدراً وهنا لم يلفظ به فلابد من تقديره أى الأبواب منها، فإذا كان التقدير مفتحة لهم هى الأبواب منها، كان فيه تكثير للإضمار وتقليله أولى.

وفى الصحيحين من حديث أبى حازم عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**فى الجنة ثمانية أبواب، باب منها يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون**».(1)

وفى الصحيحين من حديث الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أنفق زوجين من شيء من الأشياء فى سبيل الله، دعى من أبواب الجنة، يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان**»، فقال أبو بكر: بأبى أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها، فقال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**». (2)

---

(1) **صحيح:** أخرجه البخارى (1896) الصوم، ومسلم (1152) الصوم.

(2) **صحيح:** أخرجه البخارى (1897) الصوم، ومسلم (1027) الزكاة.

وفى صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ قال: «**ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**» زاد الترمذى بعد التشهد: «**اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين**». [1]

زاد أبو داود والإمام أحمد: **ثم رفع نظره إلى السماء فقال** -وعند الإمام أحمد من رواية أنس يرفعه-: «**من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال ثلاث مرات: أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فتح له أبواب الجنة الثمانية، من أيها شاء دخل**». [2]

وعن عتبة بن عبد اللّه السلمى قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث، إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية، من أيها شاء دخل**»[3] رواه ابن ماجه وعبد اللّه بن أحمد عن ابن نمير ثنا إسحق بن سليمان ثنا جرير بن عثمان عن شرحبيل بن شفعة عن عتبة.

---

(1) **صحيح**: أخرجه مسلم (234) الطهارة، عن أبى إدريس الخولانى عن عتبة بن عامر. وزيادة الترمذى برقم (55) عن أبى إدريس الخولانى وأبى عثمان عن عمر بن الخطاب. وقال أبو عيسى وهذا حديث في إسناده اضطراب، ولا يصح عن النبى ﷺ فى هذا الباب كثير شيء، قال محمد -يعنى البخارى-: «وأبو إدريس لم يسمع من عمر شيئاً» وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى.

(2) **ضعيف**: أخرجه أبو داود (170)، وأحمد (121) من طريق عبد الله بن يزيد المقرى، عن حيوة -وهو ابن شريح- عن أبى عقيل، عن ابن عمه عن عقبة بن عامر الجهنى عن النبى ﷺ وقال العلامة أحمد شاكر: «إسناده ضعيف، لجهالة ابن عم أبى عقيل ... والحديث فى أصله صحيح» وضعفه أيضاً الألبانى فى صحيح أبى داود.

حديث أنس: أخرجه أحمد (13381)، وابن ماجه (469)، فى الطهارة وسننها من طريق عمرو بن عبد الله ابن وهب عن زيد العمى عن أنس بن مالك به.

(3) **حسن**: أخرجه أحمد (17187)، وابن ماجه (1604) ما جاء فى الجنائز. وحسنه الألبانى فى صحيح ابن ماجه.

الباب العاشر

فى ذكر سعة أبوابها

عن أبى هريرة قال: «وضعت بين يدى رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع -وكان أحب الشاة إليه- فنهش نهشة وقال: **أنا سيد الناس يوم القيامة**، ثم نهش أخرى وقال: **أنا سيد الناس يوم القيامة**، فلما رأى أصحابه لا يسألونه. قال: **ألا تقولون كيف؟** قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: **يقوم الناس لرب العالمين فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر**...، فذكر حديث الشفاعة بطوله. وقال فى آخره: **فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربي، فيقيمنى رب العالمين مقاماً لم يقمه أحداً قبلى ولن يقيمه أحداً بعدي، فأقول: يارب. أمتى أمتى فيقول: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر. أو هجر ومكة**». [1]

وفى لفظ: «لكما بين مكة وهاجر، أو كما بين مكة وبصرى» متفق على صحته.

وفى لفظ خارج الصحيح بإسناده «**إن ما بين عضادتى الباب لكما بين مكة وهجر**»[2]. وعن خالد بن عمير العدوى[3] قال: خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يصبها صاحبها، وإنكم منقلبون منها إلى دار لا زوال لها، فانطلقوا بخير ما بحضرتكم، ولقد ذكر لنا أن مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام. فهذا موقوف والذى قبله مرفوع، فإن كان رسول الله ﷺ هو الذاكر لهم ذلك كان هذا سعة بين باب من أبوابها ولعله الباب الأعظم، وإن كان الذاكر ذلك غير رسول الله ﷺ لم يقدم على حديث أبى هريرة المتقدم.

ولكن قد روى الإمام أحمد فى مسنده من حديث حماد بن سلمة قال: سمعت الجريرى يحدث عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**أنتم توفون سبعين أمة أنتم**

(1) **متفق عليه**: أخرجه البخارى (4712) تفسير القرآن، مسلم (194) الإيمان. وأحمد (9340).

(2) فى صحيح ابن حبان (6465).

(3) أخرجه مسلم (2967) الزهد والرقائق، والحاكم (3/ 292)، وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وابن حبان فى «صحيحه» (7121)، وابن أبى شيبة (7/ 138) فى «مصنفه» عن خالد بن عمير العدوى.

خيرها وأكرمها على الله، وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وإنه كظيظ»[1] وقد رواه ابن أبى داود أنبأنا إسحاق بن شاهين، أنبأنا خالد عن الجريرى عن حكيم بن معاوية عن أبيه يرفعه «**ما بين كل مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة سبع سنين**».

وروينا فى مسند عبد بن حميد أنبأنا الحسن بن موسى أنبأنا ابن لهيعة أنبأنا دراج أبو السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال: «**إن ما بين مصراعين فى الجنة لمسيرة أربعين سنة**»[2] وحديث أبى هريرة أصح وهذه النسخة ضعيفة. والله أعلم.

وروى أبو الشيخ، أنبأنا جعفر بن أحمد بن فارس، أنبأنا يعقوب بن حميد[3]، أنبأنا معن حدثنا خالد بن أبى بكر عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن النبى ﷺ قال: «**الباب الذى يدخل منه أهل الجنة مسيرة الراكب المجود ثلاثاً، ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول**»[4] رواه أبو نعيم عنه وهذا مطابق للحديث المتفق عليه: «**إن ما بين المصراعين كما بين مكة وبصرى**» فإن الراكب المجود غاية الإجادة على أسرع هجين لا يفتر ليلاً ولا نهاراً، يقطع هذه المسافة فى هذا القدر أو قريب منه.

وأما حديث حكيم بن معاوية فقد اضطرب رواته، فحماد بن سلمة ذكر عن الجريرى التقدير بأربعين عاماً، وخالد ذكر عنه التقدير بسبع سنين، وحديث أبى سعيد المرفوع فيه التقدير بأربعين عاماً على طريقة دراج عن أبى الهيثم. قال الإمام أحمد: أحاديث دراج مناكير. وقال أبو حاتم الرازى: ضعيف. وقال النسائي: ليس بالقوى.

فالصحيح المرفوع السالم عن الاضطراب والشذوذ والعلة حديث أبى هريرة المتفق على صحته. على أن حديث حكيم بن معاوية ليس التقدير فيه بظاهر الرفع، ويحتمل أنه مدرج فى الحديث موقوف، فيكون كحديث عتبة بن غزوان، والله أعلم.

---

(1) **حسن**: أخرجه أحمد (19900) وإسناده صحيح، وأخرجه الترمذى (3001) وحسنه، وأخرجه ابن ماجه (4288) فى الزهد، عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وحسنه الألبانى فى صحيح الترمذى.

(2) **ضعيف**: أخرجه عبد بن حميد فى «مسنده» (2/ 459) برقم (1275)، وأبو يعلى (926) وفى كنز العمال برقم (39233)، وفى إسناده ابن لهيعة ودراج أبو السمح عن أبى الهيثم ضعيف.

(3) **ضعيف**: أورده ابن الجوزى فى «العلل المتناهية» (2/ 1550) وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (2313).

(4) **ضعيف**: وسيأتى تخريجه.

الباب الحادى عشر

فـى صـفـة أبـوابـهـا وأنـهـا ذات حـلـق

روى الوليد بن مسلم عن خليد عن الحسن: ﴿مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ﴾ قال: أبواب ترى. وذكر أيضاً عن خليد عن قتادة قال: أبواب يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها تتكلم وتكلم، وتفهم ما يقال لها، انفتحى انغلقى، وقال أبو الشيخ أنبأنا محمد بن عبد الله بن محمد القيسى أنبأنا محمد بن إسحاق أنبأنا أحمد بن أبى الحوارى أنبأنا عبد الله بن غياث عن الفزارى قال: «لكل مؤمن فى الجنة أربعة أبواب، فباب يدخل عليه زواره من الملائكة، وباب يدخل عليه أزواجه من الحور العين، وباب مقفل فيما بينه وبين أهل النار يفتحه إذا شاء ينظر إليهم لتعظم النعمة عليه، وباب فيما بينه وبين دار السلام يدخل منه على ربه إذا شاء». وقد روى سهيل بن أبى صالح عن زياد النميرى عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر**». (1)

وفى حديث الشفاعة الطويل من رواية ابن عيينة عن على بن زيد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**فآخذ بحلقة باب الجنة فأُقَعْقِعُهَا**»(2) وهذا صريح فى أنها حلقة حسية تقعقع وتحرك. وروى سهيل عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لى**»(3) ويذكر عن على رضي الله عنه: «من قال لا إله إلا الله الملك الحق المبين فى كل يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر وأمان من وحشة القبر، واستجلب به الغنى، واستقرع به باب الجنة». (4)

---

(1) **صحيح بشواهده:** أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (82) من رواية زياد النميرى عن أنس وقال الألبانى: «وزياد ضعيف». وللحديث شواهد وانظر الصحيحة (1570).

(2) **صحيح:** أخرجه الترمذى (3148)، عن أبى سعيد الخدرى وبه حديث ابن جدعان عن أنس وعلى بن زيد وابن جدعان وهو ضعيف والحديث حسنه الترمذى والألبانى بشواهده وانظر الصحيحة (1570).

(3) صفة الجنة لأبى نعيم.

(4) ضعيف: حديث مرسل ضعفه الألبانى فى كتاب «العلم».

فصل
أبواب الجنان بعضها أعلى من بعض

ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض، كانت أبوابها كذلك، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التى تحتها، وكلما علت الجنة اتسعت، فعاليها أوسع مما دونه، وسعة الباب بحسب وسع الجنة، ولعل هذا وجه الاختلاف الذى جاء فى مسافة ما بين مصراعى الباب، فإن أبوابها بعضها أعلى من بعض.

ولهذه الأمة باب مختص بهم يدخلون منه سائر الأمم، كما فى المسند من حديث ابن عمر عن النبى ﷺ قال: «**باب أمتى الذى يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب ثلاثاً، ثم إنهم ليضغطون حتى تكاد مناكبهم تزول**»[1]. وفيه من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ: «**أتانى جبريل فأخذ بيدى فأرانى باب الجنة الذى تدخل منه أمتى**» الحديث. وسيأتى بتمامه إن شاء الله تعالى.

وقال خلف بن هشام البزار: ثنا أبو شهاب عن عمرو بن قيس الملائى عن أبى إسحاق عن عاصم عن حمزة عن على بن أبى طالب قال: «إن أبواب الجنة هكذا بعضها فوق بعض ثم قرأ: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**﴾(الزمر:73) إذا هم عندها بشجرة فى أصلها عينان تجريان فيشربون من إحداهما فلا تترك فى بطونهم قذى ولا أذى إلا رمته، ويغتسلون من الأخرى فتجرى عليهم نضرة النعيم فلا تشعث رؤوسهم ولا تغير أبشارهم بعد هذا أبداً، ثم قرأ: ﴿**طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾(الزمر:73) فيدخل الرجل وهو يعرف منزله ويتلقاهم الولدان فيستبشرون برؤيتهم كما يستبشر الأهل بالحميم يقدم من الغيبة فينطلقون إلى أزواجهم فيخبرونهم بمعاينتهم فتقول: أنت رأيته؟ فتقوم إلى الباب فيدخل إلى بيته فيتكئ على سريره فينظر إلى أساس بيته فإذا هو قد أسس على اللؤلؤ، ثم ينظر فى أخضر وأحمر وأصفر، ثم يرفع رأسه إلى سماء بيته، ولولا أنه خلق له لالتمع بصره فيقول: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾(الأعراف:43) والله أعلم.

---

(1) ضعيف: انفرد به الترمذى (2548) عن خالد بن أبى بكر عن سالم بن عبد الله عن أبيه، وقال الترمذى: «هذا حديث غريب». قال سألت محمداً (يعنى البخارى) عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال: «لخالد بن أبى بكر مناكير عن سالم بن عبد الله». والحديث ضعفه الألبانى فى ضعيف الترمذى.

الباب الثانى عشر

فى ذكـر مسافـة مـا بـيـن الـبـاب والـبـاب

روينا فى معجم الطبرانى أنبأنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيرى وعبد الله بن الصقر العسكرى، قالا: ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى، ثنا عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن حزام، حدثنى عبد الرحمن بن عياش الأنصارى، ثنا دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن المنتفق - قال دلهم: وحدثنيه أيضاً أبو الأسود- عن عاصم بن لقيط، أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ قال: قلت: يا رسول الله فما الجنة والنار ؟ قال: «**لعمر إلهك، إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً، وإن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً**»[1] وذكر الحديث بطوله.

وهذا الظاهر منه أن هذه المسافة بين الباب والباب، لأن ما بين مكة وبصرى لا يحتمل التقدير بسبعين عاماً، ولا يمكن حمله على باب معين، لقوله: ما منهن بابان. والله أعلم.

---

(1) إسناده ضعيف : أخرجه الطبرانى (477) «المعجم الكبير» (19/ 211)، وأبو داود مختصراً (3266)، وعبد الله بن أحمد فى زيادات المسند (15773) (4/ 13)، والحاكم فى «المستدرك» (4/ 605) وقال الحاكم: «صحيح الإسناد».

وقال الألبانى ح: «إسناده ضعيف، لجهالة دلهم وجده عبد الله بن حاجب، ولأن عبد الرحمن بن عياش لم يوثقه غير ابن حبان»، وانظر «السنة» لابن أبى عاصم بتخريج الألبانى وضعيف أبى داود.

الباب الثالث عشر

فــي مكــان الجنــة وأيــن هــي ؟

قــال الله تعــالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴾ (النجم:13-15) وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء، وسميت بذلك لأنها ينتهى إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها وما يصعد إليه فيقبض منها، وقال تعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات:22) قال ابن أبى نجيح عن مجاهد: هو الجنة، وكذلك تلقاه الناس عنه، وقد ذكر ابن المنذر فى تفسيره وغيره أيضاً عن مجاهد قال: هو الجنة والنار، وهذا يحتاج إلى تفسير، فإن النار فى أسفل سافلين ليست فى السماء، ومعنى هذا ما قاله فى رواية ابن أبى نجيح عنه، وقال أبو صالح عن ابن عباس: الخير والشر كلاهما يأتى من السماء.

وعلى هذا، المعنى أسباب الجنة والنار بقدر ثابت فى السماء من عند الله.

وقال الحارث بن أبى أسامة، حدثنا عبد العزيز بن أبان، حدثنا مهدى بن ميمون، حدثنا محمد بن عبد الله بن أبى يعقوب عن بشر بن شغاف قال: سمعت عبد الله بن سلام يقول: «إن أكرم خليقة الله أبو القاسم ﷺ، وإن الجنة فى السماء» رواه أبو نعيم عنه. وقال: ورواه معمر بن راشد عن محمد بن أبى يعقوب مرفوعاً، ثم ساقه من طريق ابن منيع قال: ثنا عمرو الناقد ثنا عمرو بن عثمان، ثنا موسى بن أعين عن معمر به مرفوعاً. ثم ساق من طريق محمد بن فضيل، ثنا محمد بن عبيد الله عن عطية عن ابن عباس أنه قال: «الجنة فى السماء السابعة ويجعلها الله حيث شاء يوم القيامة، وجهنم فى الأرض السابعة».

وقال ابن منده: ثنا أحمد بن إسحاق قال: ثنا أبو أحمد الزبيرى، ثنا محمد بن عبد الله عن سلمة بن كهيل عن أبى الزعراء عن عبد الله قال: «الجنة فوق السماء الرابعة، فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء، والنار فى الأرض السابعة، فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء»، وقال مجاهد: «قلت لابن عباس أين الجنة ؟ قال: فوق سبع سموات، قلت: فأين النار ؟

قال: **تحت سبعة أبحر مطبقة**» رواه ابن منده عن أحمد بن إسحاق عن الزبيرى عن إسرائيل عن ابن أبى يحيى عن مجاهد.

وأما الأثر الذى رواه أبو بكر ابن أبى شيبة، ثنا عيسى بن يونس عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن عمرو، قال: «الجنة مطوية معلقة بقرون الشمس تنتشر فى كل عام مرة، وأرواح المؤمنين فى طير كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة». (1)

فهذا قد يظهر منه التناقض بين أول كلامه وآخره ولا تناقض فيه، فإن الجنة المعلقة بقرون الشمس ما يحدثه الله سبحانه وتعالى بالشمس فى كل سنة مرة من أنواع الثمار والفواكه والنبات جعله الله تعالى مذكِّراً بتلك الجنة وآية دالة عليها كما جعل هذه النار مذكرة بتلك، وإلا فالجنة التى عرضها السموات والأرض ليست معلقة بقرون الشمس وهى فوق الشمس وأكبر منها.

وقد ثبت فى الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**»(2) وهذا يدل على أنها فى غاية العلو والارتفاع. والله أعلم.

والحديث له لفظان هذا أحدهما. والثانى: «**إن فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين فى سبيله**»(3) وشيخنا يرجح هذا اللفظ، وهو لا ينفى أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك. ونظير هذا قوله فى الحديث الصحيح: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة**»(4) أى من جملة أسمائه هذا العدد، فيكون الكلام جملة واحدة فى الموضعين.

---

(1) أخرجه ابن أبى شيبة (33978) (7/ 31).

(2) أخرجه البخارى (2790) الجهاد والسير عن أبى هريرة، ومسلم (1884) الإمارة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما.

(3) **صحيح**: أخرجه البخارى (7423) التوحيد، عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(4) **صحيح**: أخرجه البخارى (2736) الشروط، ومسلم (2677) الذكر والدعاء، عن أبى هريرة رضى الله عنه.

ويدل على صحة هذا أن منزلة نبينا ﷺ فوق هذا كله فى درجة فى الجنة ليس فوقها درجة، وتلك المائة ينالها آحاد أمته بالجهاد، والجنة مقببة أعلاها أوسعها ووسطها هو الفردوس وسقفه العرش، كما قال ﷺ فى الحديث الصحيح: «**إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**». (1)

قال شيخنا أبو الحجاج المزى: والصواب رواية من رواه (وفوقُه) بضم القاف على أنه اسم لا ظرف، أى وسقفه عرش الرحمن.

فإن قيل: فالجنة جميعها تحت العرش والعرش سقفها، فإن الكرسى وسع السموات والأرض، والعرش أكبر منه.

قيل: لما كان العرش أقرب إلى الفردوس مما دونه من الجنان بحيث لا جنة فوقه دون العرش، كان سقفاً له دون ما تحته من الجنان، ولعظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدناها إلى أعلاها بالتدريج شيئاً فشيئاً درجة فوق درجة كما يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها، وهذا يحتمل شيئين: أن تكون منزلته عند آخر حفظه، وأن تكون عند تلاوته المحفوظة، والله أعلم.

(1) صحيح: أخرجه البخارى (2790) وقد سبق.

الباب الرابع عشر
في مفتاح الجنة

قال الحسن بن عرفة: حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله**» رواه الإمام أحمد في مسنده، ولفظه: «**مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله**».[1]

وذكر البخاري[2] في صحيحه عن وهب بن منبه أنه قيل له: أليس مفتاح الجنة «لا إله إلا الله»؟ قال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح.

وروى أبو نعيم من حديث أبان عن أنس قال: قال أعرابي: يا رسول الله، ما مفاتيح الجنة؟ قال: «**لا إله إلا الله**».[3]

وذكر أبو الشيخ من حديث الأعمش عن مجاهد عن يزيد بن سخبرة قال: «**إن السيوف مفاتيح الجنة**».[4] وفي المسند من حديث معاذ بن جبل قال[5]: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟ قلت: بلى، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله**» وقد جعل الله لكل مطلوب مفتاحاً يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة الطهور. كما قال ﷺ: «**مفتاح الصلاة الطهور**»[6] ومفتاح الحج الإحرام، ومفتاح البر الصدق، ومفتاح الجنة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية والمحبة الذكر ومفتاح الفلاح التقوى، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة الدعاء، ومفتاح

---

(1) **إسناده منقطع:** أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد المسند (21597)، وشهر لم يسمع من معاذ ابن جبل كما قال الهيثمي.

(2) **صحيح:** أخرجه البخاري باب ما جاء في الجنائز عن وهب بن منبه.

(3) أخرجه أبو نعيم «صفة الجنة» (190)، وأبان بن أبي عياش: متروك الحديث.

(4) **صحيح:** ذكره المنذري في «الترغيب والترهيب»، وقال: «رواه الطبراني من طريقين إحداهما جيدة صحيحة»، والبيهقي في كتاب «البعث»، وصححه الألباني عن يزيد بن شجرة كما في الصحيحة (6/ 374).

(5) **صحيح:** أخرجه أحمد (21491)، عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبي رزين عن معاذ، وأخرجه أحمد (3/ 422)، والترمذي (4/ 284)، والحاكم (4/ 290)، من طريق ميمون بن أبي شبيب عن قيس بن سعد ابن عبادة كما في الصحيحة للألباني (1746).

(6) **حسن صحيح:** أخرجه أبو داود (61)، وابن ماجه (275) عن علي رضي الله عنهما. وقال الألباني: حسن صحيح.

الذكر ومفتاح الفلاح التقوى، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة الدعاء، ومفتاح الرغبة فى الآخرة الزهد فى الدنيا، ومفتاح الإيمان التفكر فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه، ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له والإخلاص له فى الحب والبغض والفعل والترك، ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب، ومفتاح حصول الرحمة الإحسان فى عبادة الخالق والسعى فى نفع عبيده، ومفتاح الرزق السعى مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العز طاعة الله ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل، ومفتاح كل خير الرغبة فى الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل.

وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر لا يُوفَّق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه، فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحاً وباباً يدخل منه إليه، كما جعل الشرك والكبر والإعراض عما بعث الله به رسوله، والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحاً للنار، وكما جعل الخمر مفتاح كل إثم، وجعل الغنى مفتاح الزنا، وجعل إطلاق النظر فى الصور مفتاح الطلب والعشق، وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان. وجعل المعاصى مفتاح الكفر، وجعل الكذب مفتاح النفاق، وجعل الشح والحرص مفتاح البخل وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حله، وجعل الإعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة.

وهذه الأمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة وعقل يعرف به ما فى نفسه وما فى الوجود من الخير والشر، فينبغى للعبد أن يعتنى كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح وما جعلت المفاتيح له، والله من وراء توفيقه وعدله، له الملك وله الحمد، وله النعمة والفضل، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

الباب الخامس عشر

فى توقيع الجنة ومنشورها الذى يوقع به لأصحابها بعد الموت وعند دخولها

قال تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (المطففين: 18-21)، فأخبر تعالى أن كتابهم كتاب مرقوم تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابة حقيقية، وخص تعالى كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين، ولم يذكر شهادة هؤلاء الكتاب الفجار تنويهاً بكتاب الأبرار، وما وقع لهم به وإشهاراً له وإظهاراً بين خواص خلقه، كما تكتب الملوك تواقيع من تعظمه بين الأمراء، وخواص أهل المملكة تنويهاً باسم المكتوب له وإشادة بذكره، وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده.

● المنشور الأول:

وروى الإمام أحمد فى مسنده وابن حبان وأبو عوانة الإسفراييني فى صحيحيهما من حديث المنهال عن زاذان عن البراء بن عازب قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة، فجلس رسول الله ﷺ على القبر وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يلحد له، فقال: **أعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات، ثم قال: إن المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، تنزلت إليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس مع كل واحد منهم كفن وحنوط، فجلسوا منه مد بصره ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فىِّ السقاء! فيأخذها ؛ فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفَن؛ وذلك الحنوط ؛ ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض؛ قال: فيصعدون بها فلا يمرون بها - يعنى على ملأ من الملائكة - إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا ؛ حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا؛ فيستفتحون له فيفتح لهم، ويشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها، حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله عز وجل، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدى فى عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإنى منها خلقتُهم وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى.**

قال: فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك ؟ فيقول: ربى الله، فيقولان له: ما دينك ؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ ، فيقولان له: وما علمك ؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، قال: فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة.

قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول له من أنت فوجهك الوجه الذى يجيء بالخير ؟ فيقول : أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة ؛ رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الآخرة وإقبال على الدنيا، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، وتخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى إلى سماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له. ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ (الأعراف:40)، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً.

ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (الحج:31) فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك ؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادى مناد من السماء أن كذب عبدى فأفرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن

الريح، فيقول له: أبشر بالذى يسوؤك هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه الذى يجىء بالشر ؟ فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: رب لا تقم الساعة»[1] رواه أبو داود بنحوه، فهذا التوقيع والمنشور الأول.

فصل

● المنشور الثانى:

وأما المنشور الثانى: فقال الطبرانى فى معجمه: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبرى عن عبد الرزاق عن سفيان الثورى عن عبيد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان الفارسى قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله لفلان ابن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية»**. [2]

وأخبر سليمان بن حمزة الحاكم، أنبأنا محمد بن عبد الواحد المقدسى، أنبأنا زاهر الثقفى أن عبد السلام بن محمد بن عبد الله أخبرهم أنبأنا المطهر بن عبد الواحد البراقى حدثنا محمد ابن إسحق بن منده أنبأنا محمد بن على البلخى حدثنا محمد بن خشنام حدثنا العباس بن زياد ثقة ثنا سعدان بن سعيد ثنا سليما بن طرفان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن سلمان الفارسى، أن النبى ﷺ قال: **«يعطى المؤمن جوازاً على الصراط بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم، لفلان ابن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية»**. [3]

قلت: وقع المؤمن فى قبضة أصحاب اليمين يوم القبضتين، ثم كتب من أهل الجنة يوم نفخ الروح فيه، ثم يكتب فى ديوان أهل الجنة يوم موته، ثم يعطى هذا المنشور يوم القيامة. والله المستعان.

---

(1) **صحيح**: أخرجه أحمد، وأبو داود، والحاكم، وقد سبق تخريجه

(2) **ضعيف**: أخرجه الطبرانى «الكبير» (6/ 272) رقم (6191)، وفى إسناده عبيد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقى وهو ضعيف، وانظر «العلل المتناهية» (2/ 1547)، «وذخيرة الحفاظ» لابن القيسرانى (5/ 6319).

(3) **ضعيف**: انظر «العلل المتناهية» لابن الجوزى (2/ 1548).

الباب السادس عشر

فى توحد طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد

هذا مما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم. وأما طرق الجحيم فأكثر من أن تحصى، ولهذا يوحد الله سبحانه سبيل الجنة ويجمع سبل النار كقوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾ (الأنعام:153). وقال: ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ** ﴾ (النحل:9). أى ومن السبيل جائر عن القصد وهى سبيل الغى. وقال: ﴿ **هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ** ﴾ (الحجر:41).

وقال ابن مسعود:(1) «خط لنا رسول الله ﷺ خطاً وقال: **هذا سبيل الله**، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره، ثم قال: **هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**، ثم قرأ: ﴿ **أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾.

فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿ **قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ** ﴾ (المائدة: 15، 16).

قيل: هى سبل تجتمع فى سبيل واحد وهى بمنزلة الجواد والطرق فى الطريق الأعظم، فهذه هى شعب الإيمان يجمعها الإيمان وهى شعب، كما يجمع ساق الشجرة أغصانها وشعبها.

وهذه السبل هى إجابة داعى الله بتصديق خبره وطاعة أمره، فطريق الجنة هى إجابة الداعى إليها ليس إلا.

وروى البخارى فى صحيحه عن جابر قال: «جاءت ملائكة إلى النبى ﷺ، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلاً، فقالوا: مثله مثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً، فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فالدار الجنة، والداعى محمد، فمن

(1) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (4142)، وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح، ورواه الحاكم (2/ 318)، من طريق أبى بكر بن عياش ومن طريق حماد بن زيد، كلاهما عن عاصم، به، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

قال العلامة أحمد شاكر: (قرأ حمزة والكسائى بكسر همزة «إن» وباقى السبعة بفتحها. وقد أثبتناها بكسر الهمزة، لأن الرواية جاءت فى هذا الموضع دون ذكر الواو).

أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس». [1]

ورواه الترمذى عنه ولفظه: «خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً فقال: **إنى رأيت فى المنام كأن جبريل عند رأسى وميكائيل عند رجلى، يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلاً. فقال: اسمع سمعت أذنك، واعقل عقل قلبك، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً، ثم بنى فيها بيتاً، ثم جعل مائدة، ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، فالله هو الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة وأنت يا محمد الرسول، فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة ؛ ومن دخل الجنة أكل ما فيها**». [2]

وصحح الترمذى من حديث عبد الله بن مسعود: «صلى ربنا رسول الله ﷺ العشاء ثم انصرف، فأخذ بيدى حتى خرج بى إلى بطحاء مكة فأجلسنى ثم خط علىَّ خطاً ثم قال: **لا تبرحن خطك فإنه سينتهى إليك رجال فلا تكلمهم فإنهم لا يكلمونك**. ثم مضى رسول الله ﷺ حيث أراد، فبينا أنا جالس فى خطى، إذ أتانى رجال كأنهم الزط أشعارهم وأجسامهم، لا أرى عورة ولا أرى قشراً وينتهون إلىَّ لا يجاوزون الخط، ثم يصدرون إلى رسول الله ﷺ حتى إذا كان من آخر الليل، لكن رسول الله ﷺ قد جاءنى وأنا جالس فقال: لقد رآنى منذ الليلة ثم دخل على فى خطى، فتوسد فخذى فرقد، وكان رسول الله ﷺ إذا رقد نفخ، فبينا أنا قاعد ورسول الله ﷺ متوسد فخذى إذا برجال عليهم ثياب بيض، الله أعلم ما بهم من الجمال، فانتهوا إلىَّ، فجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺ وطائفة منهم عند رجليه. ثم قالوا: ما رأينا عبداً قد أوتى مثل ما أوتى هذا النبى، إن عينيه تنامان وقلبه يقظان اضربوا له مثلاً، مثل سيد بنى قصراً ثم جعل مأدبة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه ؛ فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه، ومن لم يجبه عاقبه -أو قال عذبه، ثم ارتفعوا، واستيقظ رسول الله ﷺ عند ذلك فقال: سمعت ما قال هؤلاء ؟ وهل تدرى من هم ؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: هم الملائكة، فتدرى ما المثل الذى ضربوه ؟ قلت: الله أعلم. قال: الرحمن بنى الجنة، ودعا إليها عباده فمن أجابه دخل الجنة، ومن لم يجبه عذبه». [3]

---

(1) **صحيح**: أخرجه البخارى (7281) الاعتصام بالكتاب، عن جابر رضى الله عنه.

(2) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الترمذى (2860) عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبى هلال، عن جابر بن عبد الله الأنصارى، وقال أبو عيسى: وقد روى هذا الحديث من غير هذا الوجه عن النبى ﷺ. بإسناد أصح من هذا، هذا حديث مرسل، سعيد بن أبى هلال لم يدرك جابر بن عبد الله» وضعف إسناده الألبانى كما فى ضعيف الترمذى.

(3) **حسن صحيح**: أخرجه الترمذى (2861) وقال: «حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه». وقال الألبانى: «حسن صحيح»، وانظر صحيح الترمذى.

الباب السابع عشر

فـى درجـات الجنـة

قال الله تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء:95، 96).

ذكر ابن جرير عن هشام بن حسان عن جبلة بن عطية عن ابن محيريز قال: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ﴾ قال: هى سبعون درجة ما بين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين عاماً».

وقال ابن المبارك: أنبأنا سلمة بن نبيط عن الضحاك فى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ قال: بعضهم أفضل من بعض، فيرى الذى قد فضل به فضله ولا يرى الذى هو أسفل منه أنه فضل عليه أحد من الناس.

وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولاً بدرجة. ثم أوقعه ثانياً بدرجات، فقيل الأول بين القاعد المعذور والمجاهد، والثانى بين القاعد بلا عذر والمجاهد، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢) هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران:162، 163).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال:2-4).

وفى الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر من الأفق من المغرب أو المشرق لتفاضل ما بينهم**، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا

يبلغها غيرهم؟ قال: **بلى، والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».**[1]

ولفظ البخارى فى الأفق وهو أبين والغابر هو الذاهب الماضى الذى قد تدلى للغروب، وفى التمثيل به دون الكوكب المسامت للرأس وهو أعلى فائدتان، إحداهما: بعده عن العيون، والثانية: أن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض، وإن لم تسامت العليا السفلى، كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله. والله أعلم.

وفى الصحيحين أيضاً من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرفة فى الجنة، كما ترون الكوكب فى أفق السماء**».[2]

وقال الإمام أحمد: حدثنا فزارة أخبرنى فليح عن هلال يعنى ابن على عن عطاء عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون فى الجنة كما تراءون أو ترون الكوكب الدرى الغارب فى الأفق الطالع فى تفاضل الدرجات**، قالوا: يا رسول الله أولئك النبيون ؟ قال: **بلى، والذى نفسى بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**».[3]

ورجال هذا الإسناد احتج بهم البخارى فى صحيحه وفى هذا الحديث (الغارب) وفى حديث أبى سعيد الخدرى (الغابر) وقوله: الطالع صفة للكوكب، وصفه بكونه غارباً وبكونه طالعاً.

وقد صرح بهذا المعنى فى الحديث الذى رواه ابن المبارك عن فليح بن سليمان عن هلال بن على عن عطاء عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون فى الغرف كما يرى الكوكب الشرقى والكوكب الغربى فى الأفق فى تفاضل الدرجات**. قالوا: يا رسول الله أولئك النبيون؟ **قال: بلى، والذى نفسى بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**»[4] وهذا على شرط البخارى أيضاً.

وفى المسند من حديث أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن المتحابين لترى غرفهم فى الجنة كالكوكب الطالع الشرقى أو الغربى، فيقال: من هؤلاء ؟ فيقال: هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل**».[5]

(1) صحيح : أخرجه البخارى (3256) بدء الخلق، ومسلم (2831) الجنة وصفة نعيمها.

(2) صحيح : أخرجه البخارى (6556) الرقاق، ومسلم (2830) الجنة وصفة نعيمها.

(3) صحيح : أخرجه أحمد (8452)، وقال أحمد شاكر: رواه البخارى ومسلم عن أبى سعيد.

(4) صحيح : أخرجه الترمذى (2556)، وقال: «هذا حديث حسن». وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى.

(5) إسناده صحيح : أخرجه أحمد (11768) رجاله أثبات، على بن عياش هو الألهانى، ومحمد بن مطرف هو الليثى المدنى، وانظر تكملة أحمد شاكر.

وفى المسند من حديث أبى سعيد الخدرى أيضاً عن النبى ﷺ قال: «**إن فى الجنة مائة درجة، لو أن العالمين اجتمعوا فى إحداهن لوسعتهم**». (1)

وفى المسند عنه أيضاً عن النبى ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شىء معه**»(2) وهذا صريح فى أن دَرَج الجنة تزيد على مائة درجة.

وأما حديث أبى هريرة الذى رواه البخارى فى صحيحه عن النبى ﷺ قال: «**إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»(3) فإما أن تكون هذه المائة الدرجة من جملة الدرج ؛ وإما أن تكون نهايتها هذه المائة درجة، وفى ضمن كل درجة درج دونها.

ويدل على المعنى الأول حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صلى هؤلاء الصلوات الخمس وصام شهر رمضان كان حقاً على الله أن يغفر له هاجر أو قعد حيث ولدته أمه، قلت: يا رسول الله ألا أخرج فأوذن الناس ؟ قال: لا ؛ ذر الناس يعملون، فإن فى الجنة مائة درجة بين كل درجتين منها مثل ما بين السماء والأرض، وأعلى درجة منها الفردوس، وعليها يكون العرش، وهى أوسط شىء فى الجنة، ومنها تفجر أنهار الجنة، وإذا سألتم الله فسلوه الفردوس**»(4) رواه الترمذى هكذا بلفظه.

---

(1) ضعيف : أخرجه الترمذى (2532) صفة الجنة، وأحمد (27626)، وضعفه الألبانى وانظر الضعيفة (1886)، وقال الترمذى: «هذا حديث غريب». وفى إسناده ابن لهيعة ودراج ضعيفان.

(2) صحيح : أخرجه أحمد (11299) وابن ماجه (3825)، عن معاوية بن هشام عن شيبان عن فراس عن عطية عن أبى سعيد سعد بن مالك بن سنان.

قال الألبانى: «وعطية – وهو العوفى – ضعيف، وبه أعله البوصيرى فى «الزوائد» (2/ 227)، وفاته أنه لم يتفرد به». وصححه الألبانى، وانظر الصحيحة (2240).

(3) سبق تخريجه

(4) صحيح : أخرجه الترمذى (2530)، وصححه الألبانى، وانظر الصحيحة (922).

وروى أيضاً من حديث عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «**إن فى الجنة مائة درجة**»[1] ثم ذكر نحو حديث معاذ.

وفيه أيضاً من حديث عطاء عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام**»[2] قال: هذا حديث حسن غريب.

وفيه أيضاً من حديث أبى سعيد يرفعه: «**إن فى الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا فى إحداهن لوسعتهم**»[3] ورواه أحمد بدون لفظة: «فى» كما تقدم.

وقد رويت هذه الأحاديث بلفظة «فى» وبدونها، فإن كان المحفوظ ثبوتها فهى من جملة درجها، وإن كان المحفوظ سقوطها فهى الدرج الكبار المتضمنة للدرج الصغار، والله أعلم.

ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمائة وتقديره بالخمسمائة لاختلاف السير فى السرعة والبطء، والنبى ﷺ ذكر هذا تقريباً للأفهام، ويدل عليه حديث زيد بن حبان حدثنا عبد الرحمن بن شريح حدثنى أبو هانئ التجيبى سمعت أبا على التجيبى سمعت أبا سعيد الخدرى يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مائة درجة فى الجنة ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض، أو أبعد مما بين السماء والأرض، قلت: يا رسول الله لمن؟ قال: للمجاهدين فى سبيل الله**». [4]

---

(1) صحيح : أخرجه الترمذى (2531)، وصححه الألبانى، وانظر الصحيحة (922).

(2) صحيح: أخرجه الترمذى (2529)، وصححه الألبانى، وانظر الصحيحة (922).

(3) ضعيف: أخرجه الترمذى (2532)، من طريق قتيبة عن ابن لهيعة عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد يرفعه. وقال الترمذى: «هذا حديث غريب». وقال الألبانى: «وهذا لأن ابن لهيعة ودراجاً ضعيفان». وضعفه الألبانى وانظر الضعيفة (1886)، وقد سبق .

(4) إسناده ضعيف: فى إسناده زيد بن حبان الرقى، مولى ربيعة قال الذهبى: ضعفه الدارقطنى وتركه أحمد بن حنبل. وقال ابن حجر: صدوق كثير الخطأ، وتغير بآخره. ومعنى هذا الحديث صحيح. أخرجه البخارى (2790) عن فليح عن هلال بن على عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة.

الباب الثامن عشر

فـى ذكـر أعـلـى درجاتـهـا واسـم تلـك الدرجـة

روى مسلم فى صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبى ﷺ يقول: **«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىّ، فإنه من صلى علىَّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة»**. (1)

وقال أحمد: أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن ليث عن كعب عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا صليتم علىّ فاسألوا الله لى الوسيلة. قيل: يا رسول الله وما الوسيلة ؟ قال أعلى درجة فى الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو»**(2) هكذا الرواية **«أن أكون أنا هو»** ووجهها أن تكون الجملة خبراً عن اسم كان المستتر فيها، ولا تكون أنا فصلاً ولا توكيداً بل مبتدأ.

وفى الصحيحين من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته، إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة»**. (3)

هكذا لفظ الحديث (مقاماً) بالتنكير ليوافق لفظ الآية. ولأنه لما تعين وانحصر نوعه فى شخصه جرى مجرى المعرفة، فوصف بما توصف به المعارف، وهذا ألطف من جعل (الذى وعدته) بدلاً، فتأمله.

وفى المسند من حديث عمارة بن غزية عن موسى بن وردان عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: **«الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة، فسلوا الله لى الوسيلة»**. (4)

---

(1) صحيح: أخرجه مسلم (384) الصلاة.

(2) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (7588) وقال أحمد شاكر: «إسناده صحيح»، وقال: «ومعنى الحديث ثابت من حديث عمرو بن العاص».

(3) صحيح: أخرجه البخارى (614) الأذان، ومسلم.

(4) إسناده حسن: أخرجه أحمد (11722) قال: حدثنا موسى بن داود عن ابن لهيعة عن موسى بن وردان سمعت أبا سعيد الخدرى. وابن لهيعة ضعيف قال فيه أحمد: «ما حديثه بحجة، وإنى أكتبه أعتبر به»، وقال يحيى بن معين: «ليس بشىء».

وذكره ابن أبى الدنيا وقال فيه: «**درجة فى الجنة ليس فى الجنة درجة أعلى منها، فسلوا الله أن يؤتينها على رؤوس الخلائق**».

وقال أبو نعيم: أنبأنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن عمرو بن مسلم الخلال، حدثنا عبد الله بن عمران العابدى، حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: «جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، والله إنك لأحب إلىَّ من نفسى، وإنك لأحب إلىَّ من أهلى، وأحب إلىَّ من ولدى، وأحب إلىَّ من كذا وإنى لأكون فى البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتى وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإنى إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد عليه النبى ﷺ حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا** ﴾ (النساء:69) قال الحافظ أبو عبد الله المقدسى: لا أعلم بإسناد هذا الحديث بأساً.

وسميت درجة النبى ﷺ الوسيلة، لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن، وهى أقرب الدرجات إلى الله، وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب: وهى فعيلة من وسل إليه إذا تقرب إليه.

قال لبيد:

بَلَى كُلُّ ذى رأىٍ إلَى اللهِ وَاسِلُ

ومعنى الوسيلة: من الوصلة، ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها، وأعظمها نوراً. قال صالح بن عبد الكريم: قال لنا فضيل بن عياض: أتدرون لم حسنت الجنة ؟ لأن عرش رب العالمين سقفها. وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس: «نور سقف مساكنهم نور عرشه».

وقال بكر عن أشعث عن الحسن: «إنما سميت عدن، لأن فوقها العرش، ومنه تفجر أنهار الجنة، وللحور العدنية الفضل على سائر الحور، والقربى والزلفى واحد، وإن كان فى الوسيلة معنى التقرب إليه بأنواع الوسائل».

قال الكلبي: «واطلبوا إليه القربة بالأعمال الصالحة»، وقد كشف سبحانه عن هذا المعنى كل الكشف، بقوله: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ (الإسراء:57) فقوله: أيهم أقرب هو تفسير للوسيلة التى يبتغيها هؤلاء الذين يدعونهم المشركون من دون الله فيتنافسون فى القرب منه.

ولما كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبودية لربه وأعلمهم به، وأشدهم له خشية، وأعظمهم له محبة كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله، وهى أعلى درجة فى الجنة، وأمر النبى ﷺ أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء زلفى من الله وزيادة الإيمان.

وأيضاً فإن الله سبحانه قدرها له بأسباب، منها: دعاء أمته له بما نالوه على يده من الإيمان والهدى، صلوات الله وسلامه عليه.

فقوله: «حلت عليه» يروى «عليه» و «له» فمن رواه باللام فمعناه حصلت له، ومن رواه بـ «على»، فمعناه وقعت عليه شفاعتى. والله أعلم.

الباب التاسع عشر

فى عرض الرب تعالى سلعة الجنة على عباده وثمنها الذى طلبه منهم وعقد التبايع الذى وقع بين المؤمنين وبين ربهم

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة:111) فجعل سبحانه ههنا الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين وأموالهم بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن وعقد معهم هذا العقد وأكده بأنواع من التأكيد.

أحدها: إخباره به سبحانه وتعالى بصيغة الخبر المؤكد بأداة إن.

الثانى: الإخبار بذلك بصيغة الفعل الماضى، الذى قد وقع وثبت واستقر.

الثالث: إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه، وأنه هو الذى اشترى هذا المبيع.

الرابع: أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعداً لا يخلفه ولا يتركه.

الخامس: أنه أتى بصيغة (على) التى للوجوب إعلاماً لعباده، بأن ذلك حق عليه، أحقه هو على نفسه.

السادس: أنه أكد ذلك بكونه حقاً عليه.

السابع: أنه أخبر عن محل هذا الوعد، وأنه فى أفضل كتبه المنزلة من السماء، وهى التوراة والإنجيل والقرآن.

الثامن: إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار، وأنه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه.

التاسع: أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبشر به بعضهم بعضاً بشارة من قد تم له العقد ولزم، بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له ما يفسخه.

العاشر: أنه أخبرهم إخباراً مؤكداً يؤكد بأن ذلك البيع الذى بايعوه به هو الفوز العظيم، والبيع ههنا بمعنى المبيع الذى أخذوه بهذا الثمن وهو الجنة، وقوله: بايعتم به أى عاوضتم وثامنتم به.

ثم ذكر سبحانه أهل هذا العقد الذين وقع لهم العقد، وتم لهم دون غيرهم وهم التائبون مما يكره، العابدون له بما يحب، الحامدون له على ما يحبون وما يكرهون، (السائحون) وفسرت السائحة بالصيام، وفسرت بالسفر فى طلب العلم، وفسرت بالجهاد وفسرت بدوام الطاعة. والتحقيق فيها أنها سياحة القلب فى ذكر الله ومحبته والإنابة إليه والشوق إلى لقائه، ويترتب عليها كل ما ذكر من الأفعال. ولذلك وصف الله سبحانه نساء النبى ﷺ اللاتى لو طلق

أزواجه بدله بهن بأنهن (سائحات)، وليست سياحتهن جهاداً ولا سفراً فى طلب علم ولا إدامة صيام، وإنما هى سياحة قلوبهن فى محبة الله تعالى وخشيته والإنابة إليه وذكره.

وتأمل كيف جعل الله سبحانه التوبة والعبادة قرينتين: هذه ترك ما يكره، وهذه فعل ما يحب، والحمد والسياحة قرينين هذا الثناء عليه بأوصاف كماله، وسياحة اللسان فى أفضل ذكره، وهذه سياحة القلب فى حبه وذكره وإجلاله. كما جعل سبحانه العبادة والسياحة قرينتين فى صفة الأزواج فهذه عبادة البدن، وهذه عبادة القلب.

وجعل الإسلام والإيمان قرينين فهذا علانية، وهذا فى القلب، كما فى المسند عنه ﷺ: **«الإسلام علانية، والإيمان فى القلب»**. (1)

وجعل القنوت والتوبة قرينين، فهذا فعل ما يحب وهذا ترك ما يكره.

وجعل الثيوبة والبكارة قرينتين، فهذه قد وطئت وارتاضت وذللت صعوبتها. وهذه روضة أنف لم يرتع فيها بعد.

وجعل الركوع والسجود قرينين، وجعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قرينين، وأدخل بينهما الواو دون ما تقدم إعلاماً بأن أحدهما لا يكفى حتى يكون مع الآخر، وجعل ذلك قريناً لحفظ حدوده، فهذا حفظها فى نفس الإنسان وذلك أمر غيره بحفظها. وأفهمت الآية خطر النفس الإنسانية وشرفها وعظم مقدارها، فإن السلعة إذا خفى عليك قدرها فانظر إلى المشترى لها من هو، وانظر إلى الثمن المبذول فيها ما هو ؟ وانظر إلى من جرى على يده عقد التبايع، فالسلعة النفس، والله سبحانه المشترى لها، والثمن جنات النعيم ؛ والسفير فى هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه:

قَدْ هيّؤوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسكَ أن تَرْعَى مع الهَمَل

وفى جامع الترمذى من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إنّ سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»**(2) قال: هذا حديث حسن غريب.

---

(1) إسناده حسن: أخرجه أحمد (12322) من طريق بهز بن حكيم عن على بن مسعدة عن قتادة عن أنس مرفوعاً به. وعلى بن مسعدة قال فيه ابن حجر: «صدوق له أوهام» وضعفه الذهبى. وقال البخارى: «فيه نظر»، وقال النسائى: «ليس بالقوى».

(2) صحيح: أخرجه الترمذى (2450)، وصححه الألبانى، وانظر الصحيحة (954).

وفي كتاب «صفة الجنة» لأبي نعيم من حديث أبان عن أنس قال: «جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: ما ثمن الجنة ؟ قال: **لا إله إلا الله**» وشواهد هذا الحديث كثيرة جداً.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة؟ فقال: **تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان. قال**: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه، فلما ولى قال: **من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**». [1]

وفي صحيح مسلم عن جابر قال: «أتى النعمان بن قوقل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام وأحللت الحلال، أدخل الجنة ؟ فقال النبي ﷺ: **نعم**». [2] وفي صحيح مسلم عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**». [3]

وفي سنن أبي داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، دخل الجنة**». [4]

وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني آت من ربي فأخبرني** -أو قال فبشرني- **أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة**، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: **وإن زنى وإن سرق**». [5]

وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء**». [6]

وفي لفظ: «**أدخله الله الجنة على ما كان من عمل**». [7]

---

(1) صحيح: أخرجه البخاري (1397) الزكاة، ومسلم (14) الإيمان.

(2) أخرجه مسلم (15) الإيمان.

(3) أخرجه مسلم (26) الإيمان.

(4) صحيح: أخرجه أبو داود (3116)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

(5) صحيح: أخرجه البخاري (1237) الجنائز، ومسلم (94).

(6، 7) صحيح: أخرجه البخاري (3435) أحاديث الأنبياء، ومسلم (28) الإيمان، واللفظ الأخير له أيضاً.

وفى صحيح مسلم: «أن رسول الله ﷺ أعطى أبا هريرة نعليه فقال: **اذهب بنعلى هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه، فبشره بالجنة**». (1)

وقال روح بن عبادة عن حبيب بن الشهيد عن الحسن قال: «**ثمن الجنة: لا إله إلا الله**». (2)

وروى أبو نعيم من حديث أبى الزبير عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يدخل أحداً منكم عملُه الجنة، ولا يجيره من النار، ولا أنا إلا بتوحيد الله**»(3) وإسناده على شرط مسلم، وأصل الحديث فى الصحيح.

فصل

ههنا أمر يجب التنبيه عليه وهو: أن الجنة إنما تدخل برحمة الله تعالى، وليس عمل العبد مستقلا بدخولها وإن كان سبباً. ولهذا أثبت الله تعالى دخولها بالأعمال فى قوله: ﴿**بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (الزخرف:72)، ونفى رسول الله ﷺ دخولها بالأعمال بقوله: «**لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله**» ولا تنافى بين الأمرين لوجهين:

أحدهما: ما ذكره سفيان وغيره قال: كانوا يقولون: النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمته، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال، ويدل على هذا حديث أبى هريرة الذى سيأتى إن شاء الله تعالى، أن أهل الجنة إذا دخلوها، نزلوا فيها بفضل أعمالهم. رواه الترمذى.

والثانى: أن الباء التى نفت الدخول هى باء المعاوضة التى يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر، والباء التى أثبتت الدخول هى باء السببية التى تقتضى سببية ما دخلت عليه لغيره، وإن لم يكن مستقلاً بحصوله. وقد جمع النبى ﷺ بين الأمرين فى قوله: «سددوا، وقاربوا، وأبشروا، واعلموا أن أحداً منكم لن ينجو بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته». (4)

ومن عرف الله تعالى، وشهد مشهد حقه عليه، ومشهد تقصيره وذنوبه، وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وخبره وجزم به. والله سبحانه وتعالى المستعان.

---

(1) **صحيح:** أخرجه مسلم (31) الإيمان.

(2) **ضعيف:** ضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (2616) عن الحسن مرسلاً.

(3) **صحيح:** صححه الألبانى فى صحيح الجامع (7667) عن جابر، ونحوه فى الصحيح: أخرجه البخارى (5673) المرض، ومسلم (2816) صفة القيامة، عن أبى هريرة رضى الله عنه. وهو فى صفة الجنة لأبى نعيم (52).

(4) **صحيح:** أخرجه البخارى (6467) الرقاق، ومسلم (2818) صفة القيامة والجنة، عن عائشة رضى الله عنها.

الباب العشرون

فى طلب أهل الجنة لها من ربهم وطلبها لهم وشفاعتها فيهم إلى ربها عز وجل

قال الله تعالى حكاية عن أولي الألباب من عباده قولهم: ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾(آل عمران: 193، 194).

والمعنى: وآتنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك من دخول الجنة.

وقالت طائفة: معناه، وآتنا ما وعدتنا على الإيمان برسلك، وليس يسهل حذف الاسم والحرف معاً، إلا أن يقدر على تصديق رسلك وطاعة رسلك. وحينئذ فيتكافأ التقديران، ويترجح الأول بأنه قد تقدم قولهم: ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ﴾وهذا صريح فى الإيمان بالرسول والمرسل، ثم توسلوا إليه بإيمانهم أن يؤتيهم ما وعدهم على ألسنة الرسل، فإنهم إنما سمعوا بوعدهم لهم بذلك من الرسل، وذلك أيضاً يتضمن التصديق بهم وأنهم بلغوهم وعده فصدقوا به، وسألوه أن يؤتيهم إياه، وهذا هو الذى ذكره السلف والخلف فى الآية.

وقيل: المعنى آتنا ما وعدتنا من النصر والظفر على ألسنة الرسل، والأول أعم وأكمل.

وتأمل: كيف تضمن إيمانهم به الإيمان بأمره ونهيه، ورسله ووعده ووعيده وأسمائه وصفاته وأفعاله، وصدق وعده، والخوف من وعيده واستجابتهم لأمره، فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم، فبذلك صح لهم التوسل إلى سؤال ما وعدهم به والنجاة من عذابه.

وقد أشكل على بعض الناس سؤالهم أن ينجز لهم ما وعده، مع أنه فاعل لذلك ولابد.

وأجاب: بأن هذا تعبد محض كقوله: ﴿ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ﴾(الأنبياء:112)، وقول الملائكة: ﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴾ (غافر:7)، وخفى على هؤلاء أن الوعد معلق بشروط منها: الرغبة إليه سبحانه وتعالى وسؤاله أن ينجزه لهم كما أنه معلق بالإيمان وموافاتهم به، وأن لا يلحقه ما يحبطه. فإذا سألوه سبحانه أن ينجز لهم ما وعدهم تضمن ذلك توفيقهم وتثبيتهم وإعانتهم على الأسباب التى ينجز لهم بها وعده، كان هذا الدعاء من أهم الأدعية وأنفعها، وهم أحوج إليه من كثير من الأدعية.

وأما قوله: رب احكم الحق، فهذا سؤال له سبحانه وتعالى أن ينصرهم على أعدائهم فيحكم لهم عليهم بالنصر والغلبة.

وكذلك سؤال الملائكة ربهم أن يغفر للتائبين، وهو من الأسباب التى يوجب بها لهم المغفرة، فهو سبحانه نَصَبَ الأسباب التى يفعل بها ما يريده بأوليائه وأعدائه، وجعلها أسباباً لإرادته، كما جعلها أسباباً لوقوع مراده، فمنه السبب والمسبب. وإن أشكل عليك ذلك، فانظر إلى خلقه الأسباب التى توجب محبته وغضبه، فهو يحب ويرضى ويغضب ويسخط عبر الأسباب التى خلقها وشاءها، فالكل منه وبه، فهو مبتدأ من مشيئته، وعائد إلى حكمته وحده. وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد لا يلجه إلا العالمون بالله ونظير هذه الآية فى سؤاله ما وعد به فى قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيراً (١٥) لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْداً مَّسْئُولاً** ﴾ (الفرقان: 15،16).

يسأله إياه عباده المؤمنون، ويسأله إياه ملائكته لهم، فالجنة تسأل ربها أهلها، وأهلها يسألونه إياها، والملائكة تسألها لهم، والرسل يسألونه إياها لهم ولأتباعهم، ويوم القيامة يقيمهم سبحانه بين يديه يشفعون فيها لعباده المؤمنين، وفى هذا من تمام ملكه وإظهار رحمته وإحسانه وجوده وكرمه وإعطائه ما سئل، ما هو من لوازم أسمائه وصفاته واقتضائها لآثارها ومتعلقاتها، فلا يجوز تعطيلها عن آثارها وأحكامها، فالرب تعالى جواد له الجود كله، يحب أن يُسأل ويُطلب منه ويُرغب إليه، فخلق من يسأله وألهمه سؤاله وخلق له ما يسأله إياه، فهو خالق السائل ومسئوله وذلك لمحبته لسؤال عباده له ورغبتهم إليه وطلبهم منه، وهو يغضب إذا لم يُسأل:

اللهُ يَغْضَبُ إنْ تركتَ سؤاله ... وبُنَى آدم حينَ يُسأل يَغْضَبُ

وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالاً، وهو يحب الملحين فى الدعاء، وكلما ألح العبد عليه فى السؤال أحبه وأعطاه وقربه.

وفى الحديث: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**»(1) فلا إله إلا هو، أى جناية جنت القواعد

(1) حسن: رواه الترمذى (3373) الدعوات، وابن ماجه (3827)، وقال أبو عيسى: «وقد روى وكيع وغير واحد عن أبى المليح هذا الحديث، ولا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وحسنه الألبانى كما فى صحيح الترمذى.

الفاسدة على الإيمان وحالت بين القلوب وبين معرفة ربها وأسمائه، وصفات كماله ونعوت جلاله !! ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾ (الأعراف:43).

قال أبو نعيم الفضل: حدثنا يونس، هو ابن أبي إسحاق، حدثنا بريد بن أبي مريم قال: قال أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ : «**ما من مسلم يسأل الله الجنة ثلاثاً إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة. ومن استجار من النار بالله ثلاثاً قالت النار: اللهم أجره من النار**»[1] رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه عن هناد بن السري عن أبي الأحوص عن أبي إسحاق عن بريد به.

وقال الحسن بن سفيان: حدثنا عثمان بن أبي شيبة: حدثنا جرير عن ليث عن يونس بن خباب عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**ما سأل اللهَ عبدٌ الجنة في يوم سبع مرات إلا قالت الجنة: يا رب إن عبدك فلاناً يسألني فأدخله الجنة**». [2]

وقال أبو يعلى الموصلي: حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب، حدثنا جرير عن يونس عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**ما استجار عبد من النار سبع مرات إلا قالت النار: يا رب إن عبدك فلاناً استجار مني فأجره، ولا يسأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة: يا رب إن عبدك فلاناً سألني فأدخله الجنة**»، وإسناده على شرط الصحيحين. [3]

وقال أبو داود في مسنده: حدثنا شعبة، حدثني يونس بن خباب، سمع أبا علقمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**من قال: أسأل الله الجنة سبعاً. قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة**». [4]

---

(1) صحيح: أخرجه أحمد (12109)، والترمذي (2572)، والنسائي (5521)، وابن ماجه (4340) الزهد، وصححه الألباني في صحيح الترمذي وصحيح الجامع (6275).

(2) صحيح: أخرجه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (1/ 249) رقم (213). وفي إسناده يونس بن خباب. قال فيه ابن حجر: «صدوق يخطئ ورمي بالرفض»، وقال البخاري: «منكر الحديث». والليث بن أبي سليم قال فيه ابن حجر: «صدوق اختلط جداً ولم يتميز حديثه»، وقال الذهبي: «فيه ضعف يسير من سوء حفظه». وقال أحمد بن حنبل: «مضطرب».

(3) صحيح: أخرجه أبو يعلى (11/ 55) رقم (6192) بإسناد على شرط البخاري ومسلم كما في الترغيب والترهيب، وصححه الألباني في الصحيحة (2506) عن يونس بن يزيد.

(4) صحيح: أخرجه أبو داود الطيالسي (2579) وانظر الصحيحة للألباني (2506).

وقال الحسن بن سفيان: حدثنا المقدمى حدثنا عمير بن على عن يحيى بن عبيد عن أبيه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا مسألة الله الجنة واستعيذوا به من النار، فإنهما شافعتان مشفعتان، وإن العبد إذا أكثر مسألة الله الجنة قالت الجنة: يا رب عبدك هذا الذى سألنيك فأسكنه إياى. وتقول النار: يا رب عبدك هذا الذى استعاذ بك منى فأعذه**».

وقد كان جماعة من السلف لا يسألون الله الجنة، ويقولون: حسبنا أن يجيرنا من النار، فمنهم أبو الصهباء صلة بن أشيم صلى ليلة إلى السحر، ثم رفع يديه وقال: اللهم أجرنى من النار أو مثلى يجترئ أن يسألك الجنة، ومنهم عطاء السلمى، كان لا يسأل الجنة. فقال له صالح المرى: إن أبان حدثنى عن أنس أن النبى ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل انظروا فى ديوان عبدى، فمن رأيتموه سألنى الجنة أعطيته، ومن استعاذنى من النار أعذته**»[1] فقال عطاء: كفانى أن يجيرنى من النار، ذكرها أبو النعيم.

وقد روى أبو داود فى سننه من حديث جابر فى قصة صلاة معاذ وتطويله بهم، أن النبى ﷺ قال للفتى - يعنى الذى شكاه -: «**كيف تصنع يا ابن أخى إذا صليت؟** قال: أقرأ بفاتحة الكتاب، وأسأل الله الجنة وأعوذ به من النار، وإنى لا أدرى ما دندنتك ودندنة معاذ؟ فقال النبى ﷺ: **إنى ومعاذاً حولها ندندن**».[2]

وفى سنن أبى داود من حديث محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**»[3] رواه عن أحمد بن عمرو العصفرى، حدثنا يعقوب بن إسحاق، حدثنا سليمان بن معاذ عن محمد، فذكره.

وقد تقدم فى أول الكتاب حديث الليث عن معاوية بن صالح عن عبد الملك بن أبى بشير يرفع الحديث: «**ما من يوم إلا والجنة والنار تسألان. تقول الجنة: يا رب قد طابت ثمارى، واطردت أنهارى، واشتقت إلى أوليائى، فعجل إلىَّ بأهلى**»[4] الحديث.

---

(1) صالح المرى: ضعيف، ضعفه ابن حجر والذهبى، وقال أبو داود: لا يكتب حديثه، وأبان بن أبى عياش قال فيه ابن حجر: متروك، وقال الذهبى: «قرنه بآخر (يعنى أبا داود)»، قال أحمد: متروك.

(2) صحيح: أخرجه أبو داود (793)، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود.

(3) ضعيف: أخرجه أبو داود (1671)، وضعفه الألبانى فى ضعيف أبى داود.

(4) سبق تخريجه.

فالجنة تطلب أهلها بالذات، وتجذبهم إليها جذباً. والنار كذلك، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نزال نذكرهما ولا ننساهما.

كما روى أبو يعلى الموصلى فى مسنده. حدثنا إسحاق بن أبى إسرائيل، حدثنا أبو أيوب بن أبى شبيب الصنعانى قال: كان فيما عرضنا على رباح بن زيد، حدثنى عبد الله بن بجير سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول: سمعت عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تنسوا العظيمتين**، قلنا: وما العظيمتان يا رسول الله ؟ قال: الجنة والنار». (1)

وذكر أبو بكر الشافعى من حديث كليب بن حزن قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اطلبوا الجنة جهدكم، واهربوا من النار جهدكم، فإن الجنة لا ينام طالبها، وإن النار لا ينام هاربها، وإن الآخرة اليوم محفوفة بالمكاره، وإن الدنيا محفوفة باللذات والشهوات، فلا تلهينكم عن الآخرة**». (2)

---

(1) انظر «صفة الجنة» (66) وإسناده ضعيف.

(2) ضعيف جداً: انظر ضعيف الترغيب والترهيب، وقال الألبانى (2120): «ضعيف جداً». وهو فى «المعجم الكبير» للطبرانى (449)، والأوسط (3643).

الباب الحادى والعشرون

فى أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقاتها

ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها، ومسماها واحد باعتبار الذات، فهى مترادفة من هذا الوجه. وتختلف باعتبار الصفات فهى متباينة من هذا الوجه، وهكذا أسماء الرب سبحانه وتعالى، وأسماء كتابه وأسماء رسوله، وأسماء اليوم الآخر، وأسماء النار.

الاسم الأول: الجنة. وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة الأعين. وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاره فى البطن، والجان لاستتاره عن العيون، والمجن لستره ووقايته الوجه، والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه، والجان وهى الحية الصغيرة الرقيقة، ومنها قول الشاعر:

فدقّتْ وجلّت واسْبكرّتْ وأكملتْ ... فلو جُنَّ إنسانٌ من الحسن جَنَّت

أى لو غطى وستر عن العيون لفعل بها ذلك. ومنه سمى البستان جنة، لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه، فلا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الشجر مختلف الأنواع، والجُنة -بالضم- ما يستجن به من ترس أو غيره. ومنه قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (المجادلة:16) أى يستترون بها من إنكار المؤمنين عليهم. ومنه صفة الجنة -بالكسر- وهم الجن كما قال تعالى: ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ (الناس:6) وذهبت طائفة من المفسرين إلى [أن] الملائكة يسمون جنة، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ (الصافات:158) قالوا: وهذا النسب قولهم الملائكة بنات الله ورجحوا هذا القول بوجهين:

أحدهما: أن النسب الذى جعلوه إنما زعموا أنه بين الملائكة وبينه لا بين الجنة وبينه.

الثانى: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ (الصافات:158) أى قد علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول محضرون للعذاب. والصحيح خلاف ما ذهب إليه هؤلاء، وأن الجنة هم الجن أنفسهم كما قال تعالى ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ وعلى هذا ففى الآية قولان:

أحدهما: قول مجاهد، قال قالت كفار قريش: الملائكة بنات الله، فقال لهم أبو بكر: فمن أمهاتهم؟ فقالوا: سروات الجن. وقال الكلبى: قالوا تزوج من الجن فخرج من بينهما الملائكة. وقال قتادة: قالوا: صاهر الجن.

والقول الثانى: قول الحسن قال: أشركوا الشياطين فى عبادة الله فهو النسب الذى جعلوه. والصحيح قول مجاهد وغيره وما احتج به أصحاب القول الأول ليس بمستلزم لصحة قولهم، فإنهم لما قالوا: الملائكة بنات الله وهم من الجن عقدوا بينه وبين الجن نسباً بهذا الإيلاد وجعلوا هذا النسب متولداً بينه وبين الجنة، وأما قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ فالضمير يرجع إلى الجنة أى قد علمت الجنة أنهم محضرون الحساب. قال مجاهد: أى لو كان بينه وبينهم نسب لم يحضروا للحساب كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ (المائدة:18)، فجعل سبحانه وتعالى عقوبتهم بذنوبهم وإحضارهم للعذاب مبطلاً لدعواهم الكاذبة، وهذا التقدير فى الآية أبلغ فى إبطال قولهم من التقدير الأول، فتأمله، والمقصود ذكر أسماء الجنة.

فصل

الاسم الثانى: دار السلام، وقد سماها الله بهذا الاسم فى قوله: ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (الأنعام:127)، وقوله: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ ﴾ (يونس:25)، وهى أحق بهذا الاسم فإنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه، وهى دار الله واسمه سبحانه وتعالى السلام الذى سلمها وسلم أهلها: ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾، ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ (الرعد:23، 24). والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم، كما قال تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ (يس:57،58) وسيأتى حديث جابر فى سلام الرب تبارك وتعالى عليهم فى الجنة، وكلامهم كله فيها سلام أى لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل، كما قال تعالى: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾ (مريم:62).

وأما قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ (الواقعة:90، 91) فأكثر المفسرين حاموا حول المعنى وما وردوه، وقالوا أقوالاً لا يخفى بُعْدُها عن المقصود.

وإنما معنى الآية والله أعلم: فسلام لك أيها الراحل عن الدنيا حال كونك من أصحاب اليمين، أى فسلامه لك كائناً من أصحاب اليمين الذين سلموا من الدنيا وأنكادها، ومن

النار وعذابها، فبُشِّر بالسلامة عند ارتحاله من الدنيا وقدومه على الله كما يبشر الملك روحه عند أخذها بقوله: أبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان. وهذا أول البشرى التى للمؤمن فى الآخرة.

فصل

الاسم الثالث: دار الخلد: وسميت بذلك، لأن أهلها لا يظعنون عنها أبداً كما قال تعالى: ﴿**عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ (هود:108)، وقال: ﴿**إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ**﴾ (ص:54) وقال: ﴿**أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا**﴾ (الرعد:35) وقال: ﴿**وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾ (الحجر:48) وسيأتى إبطال قول من قال من الجهمية والمعتزلة بفنائها أو فناء حركات أهلها إن شاء الله تعالى.

فصل

الاسم الرابع: دار المقامة، قال تعالى حكاية عن أهلها: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٤ الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ**﴾ (فاطر:34،35).

قال مقاتل: أنزلنا دار الخلود، أقاموا فيها أبداً لا يموتون، ولا يتحولون منها أبداً.

وقال الفراء والزجاج: المقامة مثل الإقامة. يقال: أقمت بالمكان إقامة ومقامة ومقاماً.

فصل

الاسم الخامس: جنة المأوى، قال تعالى: ﴿**عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى**﴾ (النجم:15) والمأوى مفعل من أوى يأوى إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به.

وقال عطاء عن ابن عباس: هى الجنة التى يأوى إليها جبريل والملائكة.

وقال مقاتل والكلبى: هى جنة تأوى إليها أرواح الشهداء.

وقال كعب: جنة المأوى جنة فيها طير خضر ترتع فيها أرواح الشهداء.

وقالت عائشة رضي الله عنها وزر بن حبيش: هى جنة من الجنان.

والصحيح أنه اسم من أسماء الجنة كما قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾ (النازعات:40،41)، وقال فى النار: ﴿**فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾ (النازعات:39)، وقال: ﴿**وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ**﴾ (الحديد:15).

فصل

الاسم السادس: جنات عدن، فقيل: هو اسم جنة من جملة الجنان. والصحيح أنه اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن، قال تعالى: ﴿ **جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ** ﴾ (مريم:61)، وقال تعالى: ﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ** ﴾ (فاطر:33)، وقال تعالى: ﴿ **وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ** ﴾ (الصف:12)، والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن، فإنه من الإقامة والدوام يقال عدن بالمكان إذا أقام به، وعدنت البلد توطنته، وعدنت الإبل مكان كذا لزمته فلم تبرح منه.

قال الجوهري: ومنه جنات عدن أي جنات إقامة ومنه سمي المعدن ـ بكسر الدال ـ لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء، ومركز كل شيء معدنه. والعادن: الناقة المقيمة فى المرعى.

فصل

الاسم السابع: دار الحيوان، قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ** ﴾ (العنكبوت:64) والمراد الجنة عند أهل التفسير، قالوا: وإن الآخرة يعنى الجنة لهى الحيوان لهى دار الحياة التى لا موت فيها. فقال الكلبي: هى حياة لا موت فيها. وقال الزجاج: هى دار الحياة الدائمة. وأهل اللغة على أن الحيوان بمعنى الحياة. وقال أبو عبيدة وابن قتيبة: الحياة الحيوان، قال أبو عبيدة الحياة والحيوان والحي ـ بكسر الحاء ـ واحد، قال أبو عليّ: بمعنى أنها مصادر، فالحياة فَعَلة كالحلبة، والحيوان كالنزوان والغليان، والحِي كالعِي قال العجاج:

كنَّا بها إذا الحياةُ حِيٌّ

أي إذا الحياة حياة، أما أبو زيد فخالفهما وقال: الحيوان ما فيه روح. والموتان والموات ما لا روح فيه. والصواب: أن الحيوان يقع على ضربين: أحدهما: مصدر، كما حكاه أبو عبيدة. والثاني: وصف كما حكاه أبو زيد، وعلى قول أبي زيد: الحيوان مثل الحي خلاف الميت، ورُجِّح القول الأول بأن الفعَلان بابه المصادر كالنزوان والغليان، بخلاف الصفات فإن بابها فعلان كسكران وغضبان، وأجاب من رجح القول الثاني بأن فعَلان قد جاء فى الصفات أيضاً قالوا: رجل ضمَيان للسريع الخفيف. وزفَيان قال فى الصحاح: ناقة زفيان سريعة وقوس زفيان سريعة الإرسال للسهم.

فيحتمل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ معنيين. أحدهما: أن حياة الآخرة هى الحياة لأنها لا تنغيص فيها ولا نفاد لها أى لا يشوبها ما يشوب الحياة فى هذه الدار، فيكون الحيوان مصدراً على هذا.

والثانى: أن يكون المعنى أنها الدار التى لا تفنى ولا تنقطع ولا تبيد كما يفنى الأحياء فى هذه الدنيا، فهى أحق بهذا الاسم من الحيوان الذى يفنى ويموت.

فصل

الاسم الثامن: الفردوس، قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون:10،11) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ (الكهف:107) والفردوس: اسم يقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنان. وأصل الفردوس: البستان والفراديس البساتين. قال كعب: هو البستان الذى فيه الأعناب، وقال الليث: الفردوس جنة ذات كروم. يقال كرم مفردس أى معرش. وقال الضحاك: هى الجنة الملتفة بالأشجار، وهو اختيار المبرد، وقال الفردوس -فيما سمعت من كلام العرب- الشجر الملتف والأغلب عليه العنب، وجمعه: الفراديس. قال: وبهذا سمى باب الفراديس بالشام، وأنشد لجرير:

فقلتُ للرَّكْب إذ جدَّ المسيرُ بنا ... يا بُعْدَ يبرين من باب الفراديسِ

وقال مجاهد: هو البستان بالرومية. واختاره الزجاج فقال: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية. قال: وحقيقته أنه البستان الذى يجمع كل ما يكون فى البساتين قال حسان:

وإنَّ ثوابَ اللَّهِ كلَّ مخلدِ ... جنانٌ من الفِرْدَوس فيها يُخلدُ

فصل

الاسم التاسع: جنات النعيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ (لقمان:8)، وهذا أيضاً اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع التى يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة الطيبة والمنظر البهيج، والمساكن الواسعة. وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن.

فصل

الاسم العاشر: المقام الأمين: قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾ (الدخان: 51، 52)، فالمقام: موضع الإقامة، والأمين: الآمن من كل سوء وآفة ومكروه، وهو الذى قد جمع صفات الأمن كلها، فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص، وأهله آمنون فيه من الخروج والنقص والنكد. ﴿**وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ**﴾ (التين: 3) الذى قد أمن أهله فيه مما يخاف منه سواهم.

وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ**﴾، وفى قوله: ﴿**يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ**﴾ (الدخان: 55) فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام، فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها، وأمن الخروج منها، فلا يخافون ذلك، وأمن الموت فلا يخافون فيها موتاً.

فصل

الاسم الحادى عشر والثانى عشر: مقعد الصدق، وقدم الصدق، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ**﴾ (القمر: 54، 55)، فسمى جنته مقعد صدق لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها كما يقال: مودة صادقة إذا كانت ثابتة تامة، وحلاوة صادقة، وجملة صادقة، ومنه الكلام الصدق لحصول مقصوده منه، وموضع هذه اللفظة فى كلامهم الصحة والكمال، ومنه: الصدق فى الحديث، والصدق فى العمل، والصِّدِّيق الذى يصدِّق قولَه بالعمل، والصَّدْق - بالفتح - الصلب من الرماح، ويقال للرجل الشجاع: إنه لذو مَصْدَق أى صادق الحملة. وهذا مصداق هذا أى ما يصدقه، ومنه الصداقة لصفاء المودة والمخالة، ومنه صدقنى القتال، وصدقنى المودة ومنه: قدم الصدق، ولسان الصدق، ومدخل الصدق، ومخرج الصدق، وذلك كله للحق الثابت المقصود الذى يرغب فيه بخلاف الكذب الباطل الذى لا شىء تحته، لا يتضمن أمراً ثابتاً، وفسر قوم قدم صدق بالجنة، وفسر بالأعمال التى تنال بها الجنة، وفسر بالسابقة التى سبقت لهم من الله وفسر بالرسول الذى على يده وهدايته نالوا ذلك، والتحقيق أن الجميع حق، فإنهم سبقت لهم من الله الحسنى بتلك السابقة، أى بالأسباب التى قدرها لهم على يد رسوله، وادخر لهم جزاءها يوم لقائه، ولسان الصدق وهو لسان الثناء الصادق بمحاسن الأفعال وجميل الطرائق. وفى كونه لسان صدق إشارة إلى مطابقته للواقع، وأنه ثناء بحق لا بباطل، ومدخل الصدق ومخرج الصدق وهو المدخل والمخرج الذى يكون صاحبه فيه ضامناً على الله وهو دخوله وخروجه بالله ولله، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد، فإنه لا يزال داخلاً فى أمر وخارجاً من أمر، فمتى كان دخوله بالله ولله وخروجه كذلك، كان قد أدخل مدخل صدق وأخرج مخرج صدق. والله المستعان.

الباب الثانى والعشرون

فــى عــدد الجــنــات

وأنها نوعان: جنتان من ذهب وجنتان من فضة

الجنـة: اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور، وهى جنات كثيرة جداً، كما روى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك: أن أم الرُّبَيِّع بنت البراء وهى أم حارثة بن سراقة «أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ألا تحدثنى عن حارثة - وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب - فإن كان فى الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء ؟ قال: **يا أم حارثة، إنها جنان فى الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى**». (١)

وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى عن رسول الله ﷺ قال: «**جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن**»(٢) وقد قال تعالى: ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** ﴾ (الرحمن:٤٦) فذكرهما ثم قال: ﴿ **وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ** ﴾ (الرحمن:٦٢) فهذه أربع. قد اختُلف فى قوله: ﴿ **وَمِن دُونِهِمَا** ﴾ المراد به أنهما فوقهما أو تحتهما على قولين: فقالت طائفة: من دونهما أى أقرب منهما إلى العرش فيكونان فوقهما.

وقالت طائفة: بل معنى ﴿ **وَمِن دُونِهِمَا** ﴾ تحتهما. قالوا: وهذا المنقول فى لغة العرب إذا قالوا: هذا دون هذا، أى دونه فى المنزلة. كما قال بعضهم لمن بالغ فى مدحه: أنا دون ما تقول وفوق ما فى نفسك، وفى الصحاح: دون نقيض فوق، وهو تقصير عن الغاية، ثم قال: ويقال هذا دون هذا أى أقرب منه والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأوليين من عشرة أوجه:

أحدها: قوله ﴿ **ذَوَاتَا أَفْنَانٍ** ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه جمع فنن، وهو الغصن. والثانى: أنه جمع فن وهو الصنف، أى ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها، ولم يذكر ذلك فى اللتين بعدهما.

---

(١) صحيح : أخرجه البخارى (٢٨٠٩) الجهاد والسير.

(٢) صحيح : أخرجه البخارى (٤٨٧٨) تفسير القرآن.

الثانى: قوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ وفى الأخريين ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ (الرحمن:66) والنضاخة: هى الفوارة، والجارية: السارحة، وهى أحسن من الفوارة، فإنها تضمن الفوران والجريان.

الثالث: أنه قال: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ (الرحمن:52). وفى الأخريين: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ (الرحمن:68)، ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل، واختلف فى هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنفان. فقالت طائفة: الزوجان الرطب واليابس الذى لا يقصر فى فضله وجودته عن الرطب، وهو متمتع به كما يتمتع باليابس، وفيه نظر لا يخفى. وقالت طائفة: الزوجان صنف معروف وصنف من شكله غريب. وقالت طائفة: نوعان ولم تزد، والظاهر والله أعلم: أنه الحلو والحامض والأبيض والأحمر، وذلك لأن اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهى وألذ للعين والفم.

الرابع: أنه قال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ (الرحمن:54) وهذا تنبيه عن فضل الظهائر وخطرها، وفى الأخريين قال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ (الرحمن:76) وفسر الرفرف بالمحابس والبسط، وفسر بالفرش، وفسر بالمحابس فوقها. وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الأوليين.

الخامس: أنه قال: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ أى قريب وسهل يتناولونه كيف شاؤوا، ولم يذكر ذلك فى الأخريين.

السادس: أنه قال: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ أى قد قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يرون غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهن لهم، وذلك يتضمن قصرهن لطرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن، وقال فى الأخريين: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها.

السابع: أن وصفهن يشبه الياقوت والمرجان فى صفاء اللون وإشراقه وحسنه، ولم يذكر ذلك فى التى بعدها.

الثامن: أنه قال سبحانه وتعالى فى الجنتين الأوليين: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾ وهذا يقتضى أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل، فكان جزاؤهم بإحسان كامل.

التاسع: أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين وجعلهما جزاء لمن خاف مقامه، وهذا يدل على أنهما أعلى جزاء الخائف لمقامه، فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه، ولما كان الخائفون نوعين مقربين وأصحاب يمين ذكر جنتى المقربين ثم ذكر جنتى أصحاب اليمين.

العاشر: أنه قال: ﴿**وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ**﴾ والسياق يدل على أنه نقيض فوق. كما قال الجوهرى، فإن قيل: فكيف انقسمت هذه الجنات الأربع على من خاف مقام ربه ؟ قيل: لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا، كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان، ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما، فإن قيل: فهل الجنتان لمجموع الخائفين يشتركون فيهما أم لكل واحد جنتان وهما البستانان ؟ قيل: هذا فيه قولان للمفسرين، ورجح القول الثانى بوجهين: أحدهما: من جهة النقل. والثانى: من جهة المعنى، فأما الذى من جهة النقل فإن أصحاب هذا القول رووا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**هما بستانان فى رياض الجنة**»، وأما الذى من جهة المعنى فإن إحدى الجنتين جزاء أداء الأوامر. والثانية: جزاء اجتناب المحارم.

فإن قيل: فكيف قال فى ذكر النساء ﴿**فِيهِنَّ**﴾ فى الموضعين، ولما ذكر غيرهن قال: ﴿**فِيهِمَا**﴾ ؟

قيل: لما ذكر الفرش قال بعدها: ﴿**فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ**﴾ ثم أعاده فى الجنتين الأخريين بهذا اللفظ، ليتشاكل اللفظ والمعنى. والله أعلم.

الباب الثالث والعشرون

فى خلق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان بيده وغرسها بيده تفضيلاً لها على سائر الجنان

وقد اتخذ الرب تعالى من الجنان داراً اصطفاها لنفسه، وخصها بالقرب من عرشه، وغرسها بيده، فهى سيدة الجنان، والله سبحانه وتعالى يختار من كل نوع أعلاه وأفضله، كما اختار من الملائكة جبريل، ومن البشر محمداً ﷺ، ومن السموات العليا، ومن البلاد مكة، ومن الأشهر الأشهر الحرم، ومن الليالى ليلة القدر، ومن الأيام يوم الجمعة، ومن الليل وسطه، ومن الأوقات أوقات الصلوات، إلى غير ذلك فهو سبحانه وتعالى: ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ (القصص:68).

قال الطبرانى فى معجمه: حدثنا مطلب بن شعيب الأزدى، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنى الليث. قال الطبرانى، وحدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج، حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن زيادة بن محمد الأنصارى عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ «**ينزل الله تعالى فى آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل، فينظر الله فى الساعة الأولى منهن فى الكتاب الذى لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينظر فى الساعة الثانية فى جنة عدن وهى مسكنه الذى يسكن فيه، لا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون، وفيها ما لم يره عين أحد، ولا خطر على قلب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول: ألا مستغفر يستغفرنى فأغفر له ؟ ألا سائل يسألنى فأعطيه ؟ ألا داع يدعونى فأستجيب له ؟ حتى يطلع الفجر**»(1) قال تعالى : ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (الإسراء:78) فيشهده الله تعالى وملائكته.

قال الحسن بن سفيان: حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح، قال: حدثنى خالى عبد الرحمن بن عبد الحميد بن سالم، حدثنا يحيى بن أيوب عن داود بن أبى هند عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله بنى الفردوس بيده وحظرها على كل مشرك وكل مدمن**

(1) أخرجه الطبرانى «الأوسط» (8635) (8/ 279).

خمر وسكير»[1] وقد ذكر الدارمى والنجاد وغيرهما من حديث أبى معشر نجيح بن عبد الرحمن -متكلم فيه- عن عون بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن أخيه عبد الله بن عبد الله عن أبيه عبد الله ابن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ **«خلق الله تبارك وتعالى ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده، ثم قال: وعزتى وجلالى لا يدخلها مدمن خمر ولا الديوث**، قالوا: يا رسول الله قد عرفنا مدمن الخمر فما الديوث؟ قال: **الذى يقر السوء فى أهله**»[2] قلت: المحفوظ أنه موقوف.

قال الدارمى: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا عبيد بن مهران، حدثنا مجاهد، قال: قال عبد الله بن عمر: «**خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش والقلم وعدن وآدم عليه السلام، ثم قال لسائر الخلق: كن فكان**»[3].

وحدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال: «**إن الله لم يمس شيئاً من خلقه غير ثلاث: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده**». حدثنا محمد بن المنهال، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس عن كعب قال: «**لم يخلق الله بيده غير ثلاث: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده. ثم قال لها: تكلمى. قالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾** »، وقال أبو الشيخ: حدثنا أبو يعلى، حدثنا أبو الربيع، حدثنا يعقوب القمى، حدثنا حفص بن حميد عن شمر بن عطية قال: «**خلق الله جنة الفردوس بيده، فهو يفتحها كل يوم خميس، فيقول: ازدادى طيباً لأوليائى، ازدادى حسناً لأوليائى**».

وذكر الحاكم عن مجاهد قال: «**إن الله تعالى غرس جنات عدن بيده، فلما تكاملت أغلقت فهى تفتح فى كل سحر، فينظر الله إليها فيقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾** »[4] وذكر البيهقى من حديث البغوى حدثنا يونس بن عبيد الله البصرى، حدثنا عدى بن الفضل عن الجريرى عن أبى نضرة

---

(1) ضعيف: أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (3/ 94-95)، والديلمى فى مسند «الفردوس»، وقال أبو نعيم: «غريب من حديث داود عن أنس رضى الله تعالى عنه، لم يروه عنه إلا يحيى بن أيوب المعافرى المصرى، تفرد به عنه أبو رجاء».

وقال الألبانى: «ورجاله كلهم ثقات، فى بعضهم كلام لا يضر، وإنما علته الانقطاع بين داود وأنس»، وانظر الضعيفة للألبانى (1719): وضعيف الجامع (1582).

(2) الحديث فى كنز العمال (15138)، وعزاه للديلمى عن الحارث بن نوفل.

(3) أخرجه نحوه الحاكم فى المستدرك (2/ 349) من طريق سفيان بن سعيد عن عبيد الكاتب المكتب عن مجاهد عن ابن عمر موقوفاً، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(4) طرف حديث رقم (46) من كتاب جزء أشيب (1/ 69) حدثنا شيبان عن ليث عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد.

عن أبى سعيد قال: قال رسول اللّه ﷺ **«إن اللّه أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وغرس غرسها بيده، وقال لها: تكلمى، فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾. فقال: طوبى لك منزل الملوك»**. (1)

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا محمد بن أبى المثنى البزاز، حدثنا محمد بن زياد الكلبى حدثنا بشر بن حسن عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس قال: قال رسول اللّه ﷺ **«خلق اللّه جنة عدن بيده، لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء، بلاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ، وحشيشها الزعفران. ثم قال لها: انطقى. فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.** فقال اللّه عز وجل: **وعزتى وجلالى لا يجاورنى فيك بخيل،** ثم تلا رسول اللّه ﷺ **﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** (الحشر: 9)(2) وتأمل هذه العناية كيف جعل الجنة التى غرسها بيده لمن خلقه بيده ولأفضل ذريته اعتناء وتشريفاً وإظهاراً لفضل ما خلقه بيده وشرفه وميزه بذلك عن غيره. وباللّه التوفيق. فهذه الجنة فى الجنان كآدم فى نوع الحيوان.

وقد روى مسلم فى صحيحه عن المغيرة بن شعبة عن النبى ﷺ قال: **«سأل موسى عليه السلام ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال: رجل يجىء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة. فيقول: أى رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟!! فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول:** رضيت رب، **فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال فى الخامسة:** رضيت رب، **فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذة عينك، فيقول:** رضيت رب، **قال: رب، فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدى، وختمت عليها فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر»**(3) قال: ومصداقه من كتاب اللّه: **﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾** (السجدة: 17) .

(1) أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (140)، والطبرانى فى الأوسط (3701). وقال الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (10/ 397): «رواه البزار مرفوعاً وموقوفاً والطبرانى فى الأوسط إلا أنه قال: عن النبى ﷺ قال: «**إن الله خلق جنة عدن بيده لبنة من ذهب، ولبنة من فضة**»، والباقى بنحوه، ورجال الموقوف رجال الصحيح، وأبو سعيد لا يقول هذا إلا بتوقيف». وفى صحيح الجامع (3118) عن أبى هريرة: «**الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة**»، وصححه الألبانى، وفى الضعيفة عن أنس، وابن عباس انظرها (1284، 1285).

(2) **ضعيف** : قال الألبانى : وهذا إسناد ضعيف. وقال: «ويعيش بن حسين أو بشر بن حسن لم أعرفه». وانظر الضعيفة (1285).

(3) **صحيح**: أخرجه مسلم (189) الإيمان ، من رواية عبد الملك بن سعيد ، عن الشعبى ، عن المغيرة بن شعبة عن النبى ﷺ.

الباب الرابع والعشرون

فى ذكر بوابى الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم

قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (الزمر:73) والخزنة جمع خازن مثل حفظة وحافظ، وهو المؤتمن على الشيء الذى قد استحفظه.

وروى مسلم فى صحيحه من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك». (1)

وقد تقدم حديث أبى هريرة المتفق عليه: «من أنفق زوجين فى سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أى فُلْ هلم. قال أبو بكر: يا رسول الله ذاك الذى لا تَوى عليه، فقال النبى ﷺ إنى لأرجو أن تكون منهم» وفى لفظ «هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال: نعم. وأرجو أن تكون منهم». (2)

لما سمت همة الصِّدِّيق إلى تكميل مراتب الإيمان، وطمعت نفسه أن يُدْعَى من تلك الأبواب كلها، فسأل رسول الله ﷺ: هل يحصل ذلك لأحد من الناس؛ ليسعى فى العمل الذى ينال به ذلك؟ فأخبره بحصوله وبشره بأنه من أهله.

فكأنه قال: هل يكمل لأحد هذه المراتب فيُدْعَى يوم القيامة من أبوابها كلها ؟

فلله ما أعلى هذه الهمة وأكبر هذه النفس. قد سمى الله سبحانه وتعالى كبير الخزنة رضوان، وهو اسم مشتق من الرضا. وسمى خازن النار مالكاً وهو اسم مشتق من الملك، وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه.

---

(1) صحيح : أخرجه مسلم (197) الإيمان.

(2) صحيح : أخرجه البخارى (2841) الجهاد والسير، واللفظ الآخر (1897) الصوم، ومسلم (1027) الزكاة.

الباب الخامس والعشرون

فى ذكر أول من يقرع باب الجنة

قد تقدم حديث أنس ورواه الطبرانى بزيادة فيه قال: «**فيقوم الخازن فيقول لا أفتح لأحد قبلك، ولا أقوم لأحد بعدك**»، وذلك أن قيامه إليه ﷺ خاصة إظهاراً لمزيته ومرتبته ولا يقوم فى خدمة أحد بعده، بل خزنة الجنة يقومون فى خدمته، وهو كالملك عليهم، وقد أقامه الله فى خدمة عبده ورسوله حتى مشى إليه وفتح له الباب.

وقد روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه، عنه ﷺ أنه قال: «**أنا أول من يفتح الجنة إلا أن امرأة تبادرنى، فأقول لها: ما لك، أو ما أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لى**». (1)

وفى الترمذى من حديث ابن عباس قال: جلس ناس من أصحاب النبى ﷺ ينتظرونه قال: فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم: عجباً إن لله من خلقه خليلاً اتخذ إبراهيم خليلاً. وقال آخر: ما ذلك بأعجب من كليمه موسى كلمه تكليماً. وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله.

فخرج عليهم فسلم وقال: «**سمعت كلامكم وعجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نَجِيُّ الله وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لى فأدخلها، ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر**». (2)

---

(1) انظر مجمع الزوائد (10/ 155)، وعزاه للطبرانى فى «الكبير» والأوسط (8630).

(1) ضعيف: أخرجه الترمذى (3616)، وفى إسناده زمعة بن صالح ضعفه ابن حجر، وقال الذهبى: ضعفه أحمد والحديث ضعفه الألبانى -رحمه الله- فى ضعيف الترمذى. وقال أبو عيسى: «حديث غريب».

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول ﷺ «**أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وقائدهم إذا وفدوا، وشافعهم إذا ولا فخر حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد بيدى، ومفاتيح الجنة يومئذ بيدى، وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربى ولا فخر، يطوف علىّ ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون**»[1] رواه الترمذى والبيهقى واللفظ له.

وفى صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة**». [2]

---

(1) ضعيف: أخرجه الترمذى (3610) وقال أبو عيسى: «حديث حسن غريب». وضعفه الألبانى فى ضعيف الترمذى.

(2) صحيح: أخرجه مسلم (196) الإيمان.

الباب السادس والعشرون

فى ذكر أول الأمم دخولاً الجنة

وفى الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ **«نحن السابقون الأولون يوم القيامة بَيْدَ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم»**(1).

أى لم يسبقونا إلا بهذا القدر، فمعنى (بَيْد) معنى سوى وغير وإلا أنه، ونحوها.

وفى صحيح مسلم من حديث أبى صالح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ **«نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بَيْدَ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق»**. (2)

وفى الصحيحين من حديث طاوس عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: **«نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول الناس دخولاً الجنة بَيْدَ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم»**.(3)

وروى الدارقطنى من حديث زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال: **«إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى»**(4) قال الدارقطنى: غريب عن الزهرى، ولا أعلم روى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهرى غير هذا الحديث، ولا رواه إلا عمرو بن أبى سلمة عن زهير.

---

(1) **صحيح** : أخرجه البخارى (876) عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبى هريرة، وأخرجه مسلم (855) عن همام بن منبه عن أبى هريرة، وطرفه عندهم: **«نحن الآخرون السابقون»**.

(2) **صحيح** : أخرجه مسلم (855) الجمعة، عن أبى صالح عن أبى هريرة.

(3) **صحيح** : أخرجه البخارى (898) عن طاوس عن أبى هريرة، ولم نصل إليه عند مسلم.

(4) فى كنز العمال (31953) عن عمر بن الخطاب.

فهذه الأمة أسبق الأمم خروجاً من الأرض وأسبقهم إلى أعلى مكان فى الموقف، وأسبقهم إلى ظل العرش، وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم، وأسبقهم إلى الجواز على الصراط المستقيم، وأسبقهم إلى دخول الجنة، فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد ﷺ ، ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمته.

وأما أول الأمة دخولاً فقال أبو داود فى سننه: حدثنا هناد بن السرى عن عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن عبد السلام بن حرب عن أبى خالد الدالانى عن أبى خالدون مولى آل جعدة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**أتانى جبريل فأخذ بيدى فأرانى باب الجنة الذى تدخل منه أمتى**، فقال أبو بكر: يا رسول الله، وددت أنى كنت معك حتى أنظر إليه، فقال رسول الله ﷺ : **أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتى**»(1) وقوله: «وددت أنى كنت معك» حرصاً منه على زيادة اليقين، وأن يصير الخبر عنده عياناً. كما قال إبراهيم الخليل ﴿ **رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي** ﴾ (البقرة:260).

وأما الحديث الذى رواه ابن ماجه فى سننه: حدثنا إسماعيل بن عمر الطلحى، أنبأنا داود بن عطاء المدينى عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أُبىّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «**أول من يصافحه الحق عمر، وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة**»(2) فهو حديث منكر جداً، قال الإمام أحمد: داود بن عطاء ليس بشىء، وقال البخارى: منكر الحديث.

---

(1) **ضعيف** : أخرجه أبو داود (4652)، وضعفه الألبانى فى ضعيف أبى داود.

(2) **منكر جداً** : أخرجه ابن ماجه (104) المقدمة، وقال البوصيرى «مصباح الزجاجة»: «هذا إسناد ضعيف فيه داود بن عطاء المدينى وقد اتفقوا على ضعفه، وباقى الرجال ثقات. ورواه الحاكم من طريق يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب به». وضعفه الألبانى فى ضعيف ابن ماجه، والضعيفة (2485)، وقال: «منكر جداً».

الباب السابع والعشرون

فى ذكر السابقين من هذه الأمة إلى الجنة وصفتهم

فى الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يتغوطون فيها، ولا يمتخطون، آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرةً وعشياً**». (1)

وفى الصحيحين أيضاً من حديث أبى زرعة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب درى فى السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً فى السماء**». (2)

وروى شعبة وقيس عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : «**أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحامدون الذين يحمدون الله فى السراء والضراء**». (3)

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا هشام الدستوائى عن يحيى بن أبى كثير عن عامر العقيلى عن أبيه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**عُرِض علىَّ أول ثلاثة من أمتى يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة. فالشهيد وعبد مملوك**

---

(1) صحيح: أخرجه البخارى (3245) بدء الخلق، ومسلم (2834) الجنة وصفة نعيمها.

(2) صحيح: أخرجه البخارى (3327) أحاديث الأنبياء، ومسلم (2834) الجنة وصفة نعيمها.

(3) ضعيف: ضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (2147).

لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه، وفقير متعفف ذو عيال، وأول ثلاثة يدخلون النار: فأمير مسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدى حق الله من ماله، وفقير فخور». (1)

وروى الإمام أحمد فى مسنده والطبرانى فى معجمه واللفظ له من حديث أبى عشانة المعافرى أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ «هل تدرون أول من يدخل الجنة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء، تقول الملائكة: ربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سمواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا، فيقول: عبادى لا يشركون بى شيئاً تتقى بهم المكاره، يموت أحدهم وحاجته فى صدره لم يستطع لها قضاء، فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار». (2)

ولما ذكر الله تعالى أصناف بنى آدم سعيدهم وشقيهم، قسم سعدائهم إلى قسمين سابقين وأصحاب يمين فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ واختلف فى تقريرها على ثلاثة أقوال. أحدها: أنه من باب التوكيد اللفظى ويكون خبره قوله: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

والثانى: أن يكون السابقون الأول مبتدأ والثانى خبر له على حد قولك: زيد زيد أى زيد الذى سمعت به هو زيد، كما قال:

أنا أبو النَّجم وشِعْرى شِعْرى

وكقول الآخر:

إذ النَّاسُ ناسٌ والزَّمانُ زمانٌ

(1) إسناده حسن: أخرجه أحمد (9460) وقال العلامة أحمد شاكر: «إسناده حسن، وعامر العقيلى هو ابن عقبة مقبول هو وأبوه»، والحديث رواه الترمذى (1642) وقال الترمذى: «هذا حديث حسن» وضعفه الألبانى. ورواه الحاكم (1/ 387) وصححه، ووافقه الذهبى.

(2) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (6570)، وقال العلامة أحمد شاكر: «إسناده صحيح». ورواه أبو نعيم «الحلية» (1/ 347) من طريق أبى عبد الرحمن المقرئ بهذا الإسناد، بنحوه مختصراً. وذكره الهيثمى «مجمع الزوائد» (10/ 259)، وقال: «رواه أحمد والبزار والطبرانى ورجالهم ثقات».

قال ابن عطية: وهذا قول سيبويه.

والثالث: أن يكون السبق الأول غير الثاني، ويكون المعنى السابقون فى الدنيا إلى الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلى الجنات؛ والسابقون إلى الإيمان هم السابقون إلى الجنان، وهذا أظهر، والله أعلم.

فإن قيل: فما تقولون فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد والترمذى وصححه من حديث بريدة بن الحصيب قال: «أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً فقال: **يا بلال، بم سبقتنى إلى الجنة فما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي. دخلت البارحة فسمعت خشخشتك أمامي، فأتيت على قصر مُرَبَّع مُشرَّف من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من العرب، قلت: أنا عربى، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش، قلت: أنا قرشى، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمد، قلت: أنا محمد. لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فقال بلال:** يا رسول الله، ما أذنت قط إلا وصليت ركعتين، وما أصابنى حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله علىَّ ركعتين، فقال رسول الله ﷺ: بهما». (1)

قيل: تتلقاه بالقبول والتصديق، ولا يدل على أن أحداً يسبق رسول الله ﷺ إلى الجنة، وأما تقدم بلال بين يدى رسول الله ﷺ فى الجنة، فلأن بلالاً كان يدعوا إلى الله أولاً فى الأذان فيتقدم أذانه بين يدي رسول الله ﷺ، فيتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم.

وقد روى فى حديث: «**أن النبى ﷺ يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادى بالأذان**»(2) فيقدمه بين يديه ﷺ كرامة لرسوله، وإظهاراً لشرفه وفضله، لا سبقاً من بلال له، بل هذا السبق من جنس سبقه إلى الوضوء، ودخول المسجد ونحوه. والله أعلم.

---

(1) **صحيح**: أخرجه أحمد (22936) (22892)، والترمذى (3689)، من طريق على بن الحسين عن الحسين ابن واقد عن ابن بريدة عن أبيه، وقال الترمذى: «حديث حسن صحيح غريب»، وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى.

(2) لم يتم دراسته.

الباب الثامن والعشرون

فـى سـبـق الفـقـراء الأغـنـيـاء إلـى الجـنـة

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمسمائة عام**»[1] وقال الترمذى. هذا حديث حسن صحيح ورجال إسناده احتج بهم مسلم فى صحيحه.

وروى الترمذى من حديث عباس الدورى عن المقبرى عن سعيد بن أبى أيوب عن عمرو بن جابر الحضرمى عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ أنه قال: «**يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً**». [2]

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً**». [3]

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا دريد عن سلم بن بشير عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال النبى ﷺ : «**التقى مؤمنان على باب الجنة، مؤمن فقير ومؤمن غنى كانا فى الدنيا، فأدخل الفقير الجنة وحبس الغنى ما شاء الله أن يحبس، ثم أدخل الجنة فلقيه الفقير فقال: أى أخى، وماذا حبسك ؟ والله لقد احتبستَ حتى خفتُ عليك، فيقول: أى أخى، إنى حبست بعدك محبساً فظيعاً كريهاً، وما وصلت إليك حتى سال منى من العرق، ما لو ورده ألف بعير كلها أكلة حمض لصدرت عنه رواء**». [4]

---

(1) حسن صحيح : أخرجه أحمد (10678)، والترمذى (2354)، وقال أبو عيسى والألبانى: «حسن صحيح».

(2) صحيح: أخرجه الترمذى (2355) وقال: «حديث حسن»، وقال الألبانى: «صحيح» بلفظ: «فقراء المهاجرين» كما فى الحديث التالى عند مسلم.

(3) صحيح : أخرجه مسلم (2979) الزهد والرقائق.

(4) أخرجه أحمد (2771) وقال العلامة أحمد شاكر: «إسناده مشكل عندى» وراجع تخريج شاكر لهذا الحديث فى المسند.

وقال الطبرانى: حدثنا محمد بن عبد اللّه الحضرمى وعلىّ بن سعيد الرازى قالا: حدثنا على ابن مهران العطار، حدثنا عبد الملك بن أبى كريمة عن سفيان الثورى عن محمد بن زيد عن أبى حازم عن أبى هريرة قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وذلك خمسمائة عام**» وذكر الحديث بطوله.

والذى فى الصحيح أن سبقهم لهم بأربعين خريفاً. فإما أن يكون هو المحفوظ، وإما أن يكون كلاهما محفوظين، وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء، فمنهم من سبق بأربعين، ومنهم من يسبق بخمسمائة كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين فى النار بحسب جرائمهم. واللّه أعلم.

ولكن ههنا أمر يجب التنبيه عليه، وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم فى الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة، وإن سبقه غيره فى الدخول. والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب، وهم السبعون ألفاً، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم، والغنى إذا حوسب على غناه فوجد قد شكر اللّه تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذى سبقه فى الدخول، ولم يكن له تلك الأعمال، ولا سيما إذا شاركه الغنى فى أعماله هو وزاد عليه فيها، واللّه لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

فالمزية مزيتان، مزية سبق، ومزية رفعة، وقد يجتمعان وينفردان، فيحصل لواحد السبق والرفعة، ويعدمهما آخر، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة. ولآخر الرفعة دون السبق، وهذا بحسب المقتضِى للأمرين أو لأحدهما وعدمه، وباللّه التوفيق.

الباب التاسع والعشرون

فى ذكر أصناف أهل الجنة الذين ضمنت لهم دون غيرهم

قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (آل عمران:133-136).

فأخبر أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم، ثم ذكر أوصاف المتقين فذكر بذلهم للإحسان فى حالة العسر واليسر والشدة والرخاء، فإن من الناس من يبذل فى حال اليسر والرخاء، ولا يبذل فى حال العسر والشدة، ثم ذكر كف أذاهم عن الناس بحبس الغيظ بالكظم، وحبس الانتقام بالعفو. ثم ذكر حالهم بينهم وبين ربهم فى ذنوبهم، وأنها إذا صدرت منهم قابلوها بذكر الله والتوبة والاستغفار وترك الإصرار، فهذا حالهم مع الله وذاك حالهم مع خلقه.

وقال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة:100)، فأخبر تعالى أنه أعدها للمهاجرين والأنصار وأتباعهم بإحسان، فلا مطمع لمن خرج عن طريقهم فيها. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال:2-4) فوصفهم بإقامة حقه باطناً وظاهراً، وبأداء حق عباده.

وفى صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبى ﷺ فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد وفلان شهيد، حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ : **كلا إنى رأيته فى النار فى بردة غلّها أو عباءة**، ثم قال رسول الله ﷺ : **يا ابن الخطاب، اذهب فناد فى الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون**، قال: فخرجت فناديت أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون»[1] وللبخارى معناه.

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ أمر بلالاً أن ينادى فى الناس:

---

(1) صحيح: أخرجه مسلم (114) الإيمان، وأحمد (203)، والدارمى (2489) وعندهم جميعاً أن ذلك يوم خيبر.

«أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة»(1) وفى بعض طرقه ومؤمنة، وفى الحديث قصة.

وفى صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم فى خطبته: **«ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومى هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب. وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلى بك. وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظان. وإن الله أمرنى أن أحرِّق قريشاً، فقلت: رب إذاً يثلغوا رأسى فيدعوه خبزة، قال: استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نغزك، وأنفق فسينفق عليك، وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك مَنْ عصاك، قال: وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفَّق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال، وأهل النار خمسة: الضعيف الذى لا زَبْرَ له الذين هم فيكم تبعاً، لا يبغون فيكم أهلاً ولا مالاً، والخائن الذى لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخل أو الكذب، والشنظير الفحاش، وإن الله أوحى إلىَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد»**. (2)

وفى الصحيحين من حديث حارثة بن وهب قال: سمعت النبى ﷺ يقول: **«ألا أخبركم بأهل الجنة، كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ متكبر»**. (3)

وقال الإمام أحمد: حدثنا على بن إسحاق قال: أنبأنا عبد الله، أنبأنا موسى بن على بن رباح قال: سمعت أبى يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال: **«إن أهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون»**. (4)

وذكر خلف بن خليفة عن أبى هاشم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ

(1) صحيح : أخرجه البخارى (3062) الجهاد والسير، ومسلم (111) الإيمان، عن الزهرى عن ابن المسيب عن أبى هريرة. وأخرجه الترمذى (3092) بلفظ «نفس مؤمنة» وصححه الألبانى.

(2) أخرجه مسلم (2865) الجنة ونعيمها، وأحمد (17030).

(3) صحيح : أخرجه البخارى (4918) تفسير القرآن، (6072) الأدب، ومسلم (3852)، (3853)، الجنة وصفة نعيمها.

(4) صحيح: أخرجه أحمد (7010) وقال العلامة أحمد شاكر: «إسناده صحيح، عبد الله: هو ابن المبارك. وصححه الألبانى فى «الصحيحة» (1741)، الجعظرى: بفتح الجيم والظاء المعجمة بينهما عين مهملة ساكنة: «الفظّ الغليظ المتكبر، وقيل: هو الذى ينتفخ بما ليس عنده وفيه قصر»، قاله ابن الأثير، وقال الأزهرى، فيما نقل عنه صاحب اللسان: «الجعظرى: الطويل الجسم الأكول الشروب البطر الكافر، وهو الجعظارة والجعظار». الجواظ: «الكثير اللحم المختال فى مشيته... ويقال الجواظ الأكول، ويقال الفاجر». وانظر تخريج أحمد شاكر للحديث فى المسند رقم (6580).

«ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة: النبى فى الجنة، والصِّدِّيق فى الجنة، والشهيد فى الجنة، والرجل يزور أخاه فى ناحية المصر لا يزوره إلا لله فى الجنة. ونساؤكم من أهل الجنة: الودود الولود التى إذا غضب زوجها أو غضبت جاءت حتى تضع يدها فى يد زوجها ثم تقول: لا أذوق غمضاً حتى ترضى»[1] أخرج النسائى من هذا الحديث فضل النساء خاصة وباقى الحديث على شرطه.

وروى الإمام أحمد فى مسنده بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال: «**إن أهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون**».[2]

وقال ابن ماجه فى سننه: حدثنا محمد بن يحيى وزيد بن أخزم قالا: أنبأنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا أبو هلال الراسبى، حدثنا عقبة بن أبى ثبيت الراسبى عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «**إن أهل الجنة من ملأ أذنيه من ثناء الناس خيراً وهو يسمع، وأهل النار من ملأ أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع**».[3]

وفى الصحيحين عن أنس بن مالك قال: «مر بجنازة فأثنى عليها خير، فقال نبى الله: **وجبت وجبت وجبت**، ومر بجنازة فأثنى عليها شر فقال نبى الله ﷺ: **وجبت وجبت وجبت**، فقال عمر: فداك أبى وأمى، مر بجنازة فأثنى عليها خير فقلت: وجبت وجبت وجبت، ومر بجنازة فأثنى عليها شر فقلت: وجبت وجبت وجبت؟ فقال رسول الله ﷺ: **من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله فى الأرض**».[4] وفى الحديث الآخر: «**يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار**، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: **بالثناء الحسن والثناء السيئ**».[5]

وبالجملة فأهل الجنة أربعة أصناف، ذكرهم الله سبحانه وتعالى فى قوله: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا**﴾ (النساء:69) فنسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه.

---

(1) **حسن**: أخرجه الطبرانى (19/ 140) رقم (307)، «المعجم الكبير»، (5648) فى «الأوسط»، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (2604) عن كعب بن عجرة. وأخرجه ابن النجار -كما فى كنز العمال (24720)- عن ابن عباس رضى الله عنهما، دون شطره الثانى.

(2) **صحيح**: أخرجه أحمد (6580) وصحح إسناده أحمد شاكر -رحمه الله- وأخرجه الحاكم (2/ 499) وصححه على شرط مسلم، وانظر الصحيحة (1741).

(3) **حسن صحيح**: أخرجه ابن ماجه (4224) الزهد، والطبرانى فى «المعجم الكبير» (12787)، وأبو نعيم «الحلية» (3/ 80) من طريق أبى هلال وقال الألبانى: وهذا إسناده حسن، رجاله ثقات، وفى أبى هلال -واسمه محمد بن سليم الراسبى- كلام لا ينزل به حديثه عن رتبة الحسن، وقال الحافظ فيه: «صدوق فيه لين». والحديث صححه الألبانى بشواهده، وانظر الصحيحة (1740).

(4) **صحيح**: أخرجه البخارى (1367) الجنائز، ومسلم (949) الجنائز.

(5) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (4221) الزهد، وحسنه الألبانى فى صحيح ابن ماجه.

الباب الثلاثون

فى أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد ﷺ

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ **«أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟** فكبرنا، ثم قال: **أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟** فكبرنا ثم قال: **إنى لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون فى الكفار إلا كشعرة بيضاء فى ثور أسود أو كشعرة سوداء فى ثور أبيض»**[1] هذا لفظ مسلم.

وعند البخارى: **«وكشعرة بيضاء فى ثور أسود»** بغير ألف.[2]

وعن بريدة بن الحصيب قال: قال رسول الله ﷺ: **«أهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الأمة منها ثمانون صفاً»**[3] رواه الإمام أحمد والترمذى وإسناده على شرط الصحيح، ورواه الطبرانى[4] فى معجمه من حديث عبد الله بن عباس، وفى إسناده خالد بن يزيد البجلى، وقد تكلم فيه. ورواه أيضاً من حديث القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«كيف أنتم وربع الجنة لكم ولسائر الناس ثلاثة أرباعها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم،** قال: **كيف أنتم وثلثها؟** قالوا: ذاك أكثر، قال: **كيف أنتم والشطر لكم؟** قالوا: ذاك أكثر، فقال رسول الله ﷺ: **أهل الجنة عشرون ومائة صف لكم منها ثمانون صفاً»**[5].

---

(1) صحيح: أخرجه البخارى (3348) (4741) الرقاق عن أبى سعيد الخدرى ولفظ نحو لفظه مسلم، ومسلم (221) الإيمان.

(2) صحيح: عند البخارى (6528) عن عبد الله بن مسعود: «كالشعرة السوداء فى جلد الثور الأحمر».

(3) صحيح: أخرجه أحمد (22836)، والترمذى (2546) صفة الجنة، وقال أبو عيسى: «حديث حسن»، وابن حبان (16/ 498)، وأخرجه الحاكم (1/ 155) وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، والطبرانى «الأوسط» (8493) (8/ 232)، وله شاهد من حديث سفيان الثورى عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه»، وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى.

(4) صحيح: أخرجه الطبرانى وصححه الألبانى كما فى صحيح الجامع (2526) عن ابن عباس.

(5) صحيح: أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» (1/ 172) رقم (539)، و«الصغير» (1/ 67) رقم (82)، وقال الهيثمى (10/ 403): «هو فى الصحيح باختصار، ورواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، والطبرانى فى الثلاثة، ورجالهم رجال الصحيح غير الحارث بن حصيرة». وأخرجه الحاكم (1/ 155)، وانظر صحيح الجامع (2526).

قال الطبرانى: لم يرو هذا الحديث عن القاسم بن عبد الرحمن، إلا الحارث بن حصيرة تفرد به عبد الواحد بن زياد.

وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا موسى بن غيلان بن هاشم بن مخلد، حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبى عمرو عن أبيه عن أبى هريرة قال: «لما نزلت ﴿ **ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ** ﴾ (الواقعة:39، 40) قال رسول الله ﷺ : **أنتم ربع أهل الجنة، أنتم ثلث أهل الجنة، أنتم نصف أهل الجنة. أنتم ثلثا أهل الجنة**» قال الطبرانى: تفرد برفعه ابن المبارك عن الثورى.

وقال خيثمة بن سليمان القرشى: حدثنا أبو قلابة ـ هو عبد الملك بن محمد حدثنا محمد بن بكار الصيرفى ـ حدثنا حماد بن عيسى، حدثنا سفيان الثورى عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال: «**أهل الجنة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفاً**»[1] وهذه الأحاديث قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها، وصح سند بعضها ولا تنافىَ بينها وبين حديث الشطر، لأنه ﷺ رجا أولاً أن يكونوا شطر أهل الجنة، فأعطاه الله سبحانه رجاءه، وزاده عليه سدساً آخر.

وقد روى أحمد فى مسنده من حديث أبى الزبير أنه سمع جابراً يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أرجو أن يكون من يتبعنى من أمتى يوم القيامة ربع أهل الجنة، قال: فكبرنا، قال: أرجو أن تكونوا الشطر**»[2] وإسناده على شرط مسلم.

---

(1) أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (19/ 419) (1012)، وفى إسناده حماد بن عيسى الجهنى، وهو ضعيف كما فى «المجمع» (10/ 403).

(2) **إسناده صحيح**: فى المسند برقم (15052) وقال الهيثمى «المجمع» (10/ 403): رواه أحمد، والبزار، والطبرانى فى «الأوسط» ورجال البزار رجال الصحيح، وكذا إسناده أحمد.

الباب الحادى والثلاثون
فى أن النساء فى الجنة أكثر من الرجال وكذلك هم فى النار

ثبت فى الصحيحين من حديث أيوب عن محمد بن سيرين قال: «إما تفاخروا وإما تذاكروا: الرجال فى الجنة أكثر أم النساء؟ فقال أبو هريرة: ألم يقل أبو القاسم ﷺ : **إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتى تليها على أضواء كوكب درى فى السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم**»(1) وما فى الجنة أعزب، فإن كن من نساء الدنيا فالنساء فى الدنيا أكثر من الرجال، وإن كن من الحور العين لم يلزم أن يكن فى الدنيا أكثر.

والظاهر أنهن من الحور العين لما رواه الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا يونس عن محمد بن سيرين، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب**». (2)

فإن قيل: فكيف تجمعون بين هذا الحديث وبين حديث جابر المتفق عليه: شهدت مع رسول الله ﷺ العيد فصلى قبل أن يخطب بغير أذان ولا إقامة، ثم خطب بعد ما صلى فوعظ الناس وذكرهم، ثم أتى النساء فوعظهن ومعه بلال فذكرهن،وأمرهن بالصدقة قال: فجعلت المرأة تلقى خاتمها ؛ وخُرْصها والشيء كذلك، فأمر النبى ﷺ بلالاً فجمع ما هناك، ثم قال: **إن منكن فى الجنة ليسير، فقالت امرأة: يا رسول الله، لم؟ قال: إنكن تكثرن اللعن، وتكفرن العشير**». (3)
وفى الحديث الآخر: «**إن أقل ساكنى الجنة النساء**». (4)

---

(1) **صحيح**: بهذا الإسناد أخرجه مسلم (2834) الجنة وصفة نعيمها، وأخرجه البخارى (3245) من طريق معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة.

(2) أخرجه أحمد فى «المسند» (8523) قال العلامة أحمد شاكر: «محمد بن سيرين أبو بكر ... قال على بن المدينى ويحيى بن معين: لم يسمع من ابن عباس شيئاً».

(3) **صحيح**: أخرجه البخارى (304) الحيض، ومسلم (80) الإيمان من طريق زيد بن أسلم عن عياض بن عبد الله عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ . وفى الباب عن ابن عمر، وأبو هريرة رضى الله عنهم. ولم أصل لحديث جابر رضى الله عنه عند البخارى أو مسلم.

(4) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد فى «المسند» (19723) من طريق شعبة عن أبى التياح عن مطرف بن الشخير عن عمران بن حصين.

قيل: هذا يدل على أنهن إنما كن فى الجنة أكثر بالحور العين اللائى خلقهن فى الجنة وأقل ساكنيها نساء الدنيا، فنساء الدنيا أقل أهل الجنة، وأكثر أهل النار».

وأما كونهن أكثر أهل النار، فلما روى البخارى فى صحيحه من حديث عمران بن حصين قال: بلغنى أن رسول الله ﷺ قال: «**اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء، واطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء**». (1)

وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «**اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها من الفقراء، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء**». (2)

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء، واطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء**». (3)

وفى المسند أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ «**اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء**». (4)

وفى الصحيح من حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «**يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإنى رأيتكن أكثر أهل النار**، فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار ؟ قال: **تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن** قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال: **أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل بشهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الأيام لا تصلى وتفطر، فهذا نقصان الدين**». (5)

وأما كونهن أقل أهل الجنة، ففى أفراد مسلم عن مطرف بن عبد الله: أنه كانت له امرأتان، فجاء من عند إحداهما، فقالت الأخرى: جئت من عند فلانة، فقال: جئت من عند عمران بن حصين، فحدثنا أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أقل ساكنى الجنة النساء**». (6)

فإن قيل: فما تصنعون بالحديث الذى رواه أبو يعلى الموصلى، حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد، حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن

(1) **صحيح:** أخرجه البخارى (3241) بدء الخلق، (5198) النكاح.
(2) **صحيح:** أخرجه مسلم (2737) الذكر والدعاء، وأحمد (2086).
(3) **صحيح:** أخرجه أحمد (7938) عن أبى هريرة، وقال العلامة أحمد شاكر: «وهو صحيح جداً».
(4) **إسناده صحيح:** فى «المسند» (6611) من حديث عبد الله بن أحمد، وقال العلامة أحمد شاكر «إسناده صحيح».
(5) **صحيح:** أخرجه مسلم (80) الإيمان.
(6) سبق ص 111 .

محمد بن كعب القرظى عن رجل من الأنصار عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وهو فى طائفة من أصحابه، فذكر حديثاً طويلاً وفيه: «**فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله تعالى، وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله، بعبادتهما فى الدنيا**» وذكر الحديث.

قيل: هذا قطعة من حديث الصور الطويل، ولا يعرف إلا من حديث إسماعيل بن رافع، وقد ضعفه أحمد ويحيى وجماعة، وقال الدارقطنى وغيره: متروك الحديث. وقال ابن عدى: أحاديثه كلها مما فيه نظر.

وأما البخارى فقال فيه ما حكاه الترمذى عنه قال: سمعت محمداً يقول فيه: هو ثقة مقارب الحديث.

قلت: ولكن إذا روى مثل هذا ما يخالف الأحاديث الصحيحة لم يلتفت إلى روايته، وأيضاً فالرجل الذى روى عنه القرظى لا يدرى من هو ؟.

وقد روى عنه أحمد فى مسنده من حديث عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: كنا مع عمرو بن العاص فى حج أو عمرة حتى إذا كنا بمر الظهران فإذا امرأة فى هودجها. قال: فمال فدخل الشعب فدخلنا معه فقال: كنا مع رسول الله ﷺ فى هذا المكان، فإذا نحن بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار والرجلين، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب فى هذه الغربان**»[1] والأعصم من الغربان الذى فى جناحه ريشة بيضاء، قال الجوهرى: ويقال هذا كقولهم: الأبلق العقوق، وبيض الأنوق، لكل شىء يعز وجوده.

وفى النهاية: الغراب الأعصم هو الأبيض الجناحين، وقيل الأبيض الرجلين، أراد قلة من يدخل الجنة من النساء، لأن هذا الوصف فى الغراب قليل عزيز.

وفى حديث آخر: «**المرأة الصالحة مثل الغراب الأعصم**. قيل: وما الغراب الأعصم يا رسول الله؟ قال: **الذى إحدى رجليه بيضاء**».[2]

وفى حديث آخر: «**عائشة فى النساء كالغراب الأعصم فى الغربان**».[3]

---

(1) صحيح: أخرجه أحمد (17753) (4/ 197)، وأبو يعلى (13/ 328)، والحاكم (4/ 645) وقال: «صحيح على شرط مسلم». وصححه الألبانى فى «الصحيحة» (1885)، وقال: (وقول الحاكم «صحيح على شرط مسلم» خطأ وافقه الذهبى عليه، فإن أبا جعفر هذا اسمه عمير بن يزيد لم يخرج له مسلم شيئاً).

(2) ضعيف: أخرجه الطبرانى «الكبير» (7817) (8/ 201) من طريق مطرح عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة عن النبى ﷺ. قال فى «المجمع» (4/ 273): «وفيه مطرح بن يزيد وهو مجمع على ضعفه». وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (5246).

(3) الحديث فى «مسند الشاميين» (1171) (2/ 192)، ومسند عبد بن حميد (1528) (1/ 441)، وفى «كنز العمال» (45085) عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة عن عائشة رضى الله عنها: «المرأة الصالحة فى النساء كالغراب الأعصم فى الغربان».

الباب الثانى والثلاثون

فيمن يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب

وذكـر أوصـافـهـم

ثبت فى الصحيحين من حديث الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يدخل الجنة من أمتى زمرة هم سبعون ألفاً تضىء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر، فقام عكّاشة بن محْصن الأسدى يرفع نمرة عليه**، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال رسول الله ﷺ : **اللهم اجعله منهم**، ثم قام رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: **سبقك بها عكّاشة**». (1)

وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفاً أو قال سبعمائة ألف، آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر**»(2) فهذه هى الزمرة الأولى، وهم يدخلونها بغير حساب.

والدليل عليه ما ثبت فى الصحيحين والسياق لمسلم. حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا هشيم، أنبأنا حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذى انقض البارحة؟ قلت: أنا، ثم قلت: أما إنى لم أكن فى صلاة ولكنى لدغت. قال: فما صنعت ؟ قلت: استرقيت قال: فما حملك على ذلك ؟ قلت: حديث حدثناه الشعبى. قال: وما حدثكم الشعبى ؟ قلت حدثنا عن بريدة بن حصيب الأسلمى أنه قال: «**لا رقية إلا من عين أو حُمَة**» فقال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «**عرضت علىّ الأمم فرأيت النبى ومعه الرهيط، والنبى ومعه الرجل والرجلان، والنبى وليس معه أحد، إذ رفع لى سواد عظيم، فظننت أنهم أمتى فقيل لى: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت، فإذا سواد عظيم، انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم، فقيل لى: هذه أمتك ومعهم**

---

(1) صحيح: أخرجه البخارى (5811) اللباس، (6542) الرقاق، وأخرجه مسلم (216) الإيمان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة.

(2) صحيح: أخرجه البخارى (3247) بدء الخلق، ومسلم (219) الإيمان.

سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب»، ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ. وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا فى الإسلام ولم يشركوا بالله وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «**ما الذى تخوضون فيه؟**» فأخبروه، فقال: «**هم الذين لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**»، فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: «**أنت منهم**» ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: «**سبقك بها عكاشة**»[1]، وليس عند البخارى ولا يرقون.

قال شيخنا وهو الصواب، وهذه اللفظة وقعت مقحمة فى الحديث، وهو غلط من بعض الرواة، فإن النبى ﷺ جعل الوصف الذى يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب، وهو تحقيق التوحيد وتجريده فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، والطيرة نوع من الشرك ويتوكلون على الله وحده لا على غيره، وتركهم الاسترقاء والتطير هو من تمام التوكل على الله كما فى الحديث «**الطِّيَرة شرك**».

قال ابن مسعود: (وما منا إلا من تطير، ولكن الله يذهبه بالتوكل)، فالتوكل ينافى التطير، وأما رقية الغير، فهى إحسان من الراقى قد رقى رسول الله ﷺ جبريل، وأذن له فى الرقى، وقال: «**لا بأس بها ما لم يكن فيها شرك**»[2]، واستأذنوه فيها فقال: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه**»[3]، وهذا يدل على أنها نفع وإحسان، وذلك مستحب مطلوب لله ورسوله، فالراقى محسن، والمسترقى سائل راجٍ نفع الغير وتحقيق التوكل ينافى ذلك.

فإن قيل: فعائشة قد رقت رسول الله ﷺ وجبريل قد رقاه، قيل أجل، ولكن هو لم يسترق، وهو ﷺ لم يقل: لا يرقيهم راق، وإنما قال: لا يطلبون من أحد أن يرقيهم، وفى امتناعه ﷺ أن يدعو للرجل سداً لباب الطلب، فإنه لو دعا لكل من سأله ذلك فربما طلبه من ليس من أهله. والله أعلم.

---

(1) **صحيح**: أخرجه البخارى (5705) الطب، ومسلم (220) الإيمان.

(2) **صحيح**: أخرجه مسلم (2200) عن عوف بن مالك الأشجعى.

(3) **صحيح**: أخرجه مسلم (2199) السلام، عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر.

وفى صحيح مسلم من حديث محمد بن سيرين عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب**، قيل: من هم ؟ قال: **هم الذين لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**». [1]

وفى صحيحه أيضاً من حديث أبى الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله قال: «سمعت النبى ﷺ يذكر حديثاً، وفيه: **فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم فى السماء، ثم كذلك**»[2] وذكر تمام الحديث.

وقال أحمد بن منيع فى مسنده: حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز، حدثنا حماد عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**عرضت على الأمم بالموسم فرأيت على أمتى ثم رأيتهم فأعجبتنى كثرتهم وهيئتهم قد ملأوا السهل والجبل، فقال**: أرضيت يا محمد، **فقلت: نعم، فقال: فإن لك مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب. وهم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون**، فقام عكّاشة بن محصن فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال رسول الله ﷺ: **أنت منهم**، فقام رجل آخر، فقال: **سبقك بها عكاشة**»[3]، وإسناده على شرط مسلم.

---

(1) صحيح: أخرجه مسلم (218) الإيمان، من طريق محمد بن سيرين عن عمران وليس فيه لفظ: «ولا يتطيرون» وإنما وردت (218) من طريق الحكم بن الأعرج عن عمران بن حصين. وليس فى الحديث كلمة: «ولا عذاب».

(2) صحيح: أخرجه مسلم (191) الإيمان.

(3) معناه صحيح، وقد سبق ما يؤيده.

الباب الثالث والثلاثون

في ذكر حَثَيات الرب تبارك وتعالى الذين يدخلهم الجنة

قال أبو بكر ابن أبى شيبة: حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد قال: سمعت أبا أمامة الباهلى يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً، مع كل ألف سبعون ألفاً لا حساب عليهم، ولا عذاب، وثلاث حثيات من حثيات ربى**». (1)

قلت: وإسماعيل بن عياش إنما يخاف من تدليسه، وضعفه، فأما تدليسه فقد قال الطبرانى: حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقى والحسين بن إسحق التسترى قالا: حدثنا هشام بن عمار قال: حدثنا إسماعيل بن عياش قال: أخبرنى محمد بن زياد الألهانى قال: سمعت أبا أمامة يقول: فذكره، وأما ضعفه فإنما هو فى غير حديث الشاميين، وهذا من روايته عن الشاميين، وأيضاً فقد جاء من غير طريقه.

قال أبو بكر ابن أبى عاصم: حدثنا دحيم، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر عن أبى اليمان الهوزنى عن أبى أمامة، عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً بغير حساب**، قال يزيد بن الأخنس: والله ما أولئك فى أمتك يا رسول الله إلا مثل الذباب الأصهب فى الذبان، قال رسول الله ﷺ: «**فإن الله وعدنى سبعين ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً وزادنى ثلاث حثيات**». (2)

قال أبو عبد الله المقدسى: أبو اليمان اسمه عامر بن عبد الله بن لحى، ودحيم لقب واسمه عبد الرحمن بن إبراهيم القاضى شيخ البخارى، ومن فوقه إلى أبى أمامة من رجال الصحيح إلا الهوزنى. وما علمت فيه جرحاً.

قال الطبرانى: حدثنا أحمد بن خليد، حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: حدثنى عامر بن يزيد البكالى أنه سمع عتبة بن عبد السلمى قال: قال رسول الله ﷺ «**إن ربى عز وجل وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً بغير حساب،**

---

(1) صحيح: أخرجه الترمذى (3437) وقال أبو عيسى: «حديث حسن غريب»، وابن ماجه (4286)، وأحمد (22204)، صححه الألبانى فى صحيح الجامع (7111).

(2) صحيح: أخرجه أحمد (22056)، وصححه الألبانى فى تخريج السنة (588).

ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفاً، ثم يحثى ربى تبارك وتعالى بكفيه ثلاث حثيات، فكبر عمر، وقال: إن السبعين الأول يشفعهم الله فى آبائهم وأمهاتهم وأبنائهم وعشائرهم وأرجو أن يجعلنى الله فى **إحدى الحثيات الأواخر**»[1] قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد: لا أعلم لهذا الاسناد علة.

قال الطبرانى: وحدثنا أحمد بن خليد، حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: حدثنا عبد الله بن عامر [اليعصبى] سمعت قيس بن جُعر يحدث عن عبد الملك ابن مروان، قال: حدثنى أبو سعيد الأنمارى أنه سمع أن رسول الله ﷺ يقول: «**إن ربى عز وجل وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً بغير حساب ويشفع كل ألف لسبعين ألفاً. ثم يحثى ربى ثلاث حثيات بكفيه**»[2]، قال قيس: فقلت لأبى سعيد: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم بأذنى ووعاه قلبى، قال أبو سعيد: فقال رسول الله ﷺ : **وذلك إن شاء الله يستوعب مهاجرى أمتى، ويوفى الله عز وجل بقيته من أعرابنا**» قال الطبرانى: لم يرو هذا الحديث عن أبى سعيد الأنمارى إلا بهذا الإسناد، وتفرد به معاوية بن سلام. وقد رواه محمد بن سهل بن عسكر عن أبى توبة الربيع بن نافع بإسناده، وفيه قال أبو سعيد: «فحُسب ذلك عند رسول الله ﷺ فبلغ أربعمائة ألف ألف وتسعمائة ألف، فقال رسول الله ﷺ : **إن ذَلك يستوعب إن شاء الله مهاجرى أمتى**».

قال الطبرانى: حدثنا محمد بن صالح بن الوليد النرسى، ومحمد بن يحيى بن منده الأصبهانى قالا: أخبرنى أبو حفص عمرو بن على، حدثنا معاذ بن هشام، حدثنى أبى عن قتادة عن أبى بكر ابن عمير عن أبيه أن النبى ﷺ قال: «**إن الله وعدنى أن يدخل من أمتى ثلاثمائة ألف الجنة**، فقال عمير: يا رسول الله، زدنا. فقال: **هكذا بيده**، فقال عمير: يا رسول الله، زدنا. فقال عمر: حسبك يا عمير، فقال: ما لنا ولك يا ابن الخطاب، وما عليك أن يدخلنا الله الجنة، فقال عمر: إن الله عز وجل إن شاء أدخل الناس الجنة بحفنة أو بحثية واحدة، فقال نبى الله ﷺ : **صدق عمر**»[3]، قال محمد بن عبد الواحد: لا أعرف لعمير حديثاً غيره.

(1) أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» (1/ 126) (402)، وقال الهيثمى فى «المجمع» (10/ 413): «وفيه عامر ابن زيد البكالى، وقد ذكره ابن أبى حاتم، ولم يجرحه، ولم يوثقه، وبقية رجاله ثقات».

(2) أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» (1/ 128) (404)، وقال فى «المجمع» (10/ 56) : «رجاله ثقات»، وفى نسخة الطبرانى «عبد الله بن علية»، وفى مسند الشاميين «عبد الله بن عامر» و«أبى سعيد الأنصارى الأنمارى».

(3) أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (17/ 64) (123)، وقال فى «المجمع» (10/ 405): «وأبو بكر ابن عمير لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح».

وفى الحلية من حديث سليمان بن حرب، حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس عن النبى ﷺ قال: «**وعدنى ربى عز وجل أن يدخل من أمتى الجنة مائة ألف**، فقال أبو بكر: يا رسول اللّه زدنا، قال: **وهكذا** وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك، قال: يا رسول اللّه زدنا، فقال عمر: إن الله عز وجل قادر أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة، فقال رسول اللّه ﷺ: **صدق عمر**»[1] رواه عنه إبراهيم ابن الهيثم البلدى، وفيه ضعف، تفرد به، أبو هلال الراسبى: بصرى واسمه محمد بن سليم.

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن قتادة عن النضر بن أنس عن أنس قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إن اللّه وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى أربعمائة ألف**، قال أبو بكر: زدنا يا رسول اللّه، قال: وهكذا وجمع بين يديه. قال زدنا يا رسول اللّه. **قال هكذا**، وجمع كفيه فقال عمر: حسبك يا أبا بكر. فقال أبو بكر: دعنى يا عمر ما عليك أن يدخلنا الله الجنة كلنا !! فقال عمر: إن شاء اللّه أدخل خلقه الجنة بكف واحد، فقال النبى ﷺ: **صدق عمر**»[2] تفرد به عبد الرزاق.

وقال أبو يعلى الموصلى فى مسنده: حدثنا محمد بن أبى بكر، حدثنا عبد القاهر بن السرى السلمى، حدثنا حميد عن أنس عن النبى ﷺ قال: «**يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً**. قالوا: زدنا يا رسول اللّه فقال هكذا حثى بيده، قالوا: يا نبى اللّه، أبْعَد اللّه من دخل النار بعد هذا»[3] قال محمد بن عبد الواحد: لا أعلمه روى عن أنس إلا بهذا الطريق، وسئل يحيى بن معين عن عبد القاهر فقال: صالح، وأصحاب هذه الحثيات هم الذين وقعوا فى قبضته الأولى سبحانه يوم القبضتين.

فإن قيل: فكيف كانوا أولاً قبضة واحدة ثم صاروا ثلاث حثيات مع العدد المذكور ؟

قيل: الرب سبحانه وتعالى أخرج يوم القبضتين صورهم وأشباحهم، وقد روى أنهم كانوا كالذر، وأما يوم الحثيات فيكونون أتم ما كانوا خلقة وأكمل أجساماً، فناسب أن تتعدد الحثيات بكلتا اليدين. واللّه أعلم.

---

(1) أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (2/ 344) وقال: «حديث غريب من حديث قتادة عن أنس رضى الله تعالى عنه تفرد به أبو هلال واسمه محمد بن سليم الراسبى ثقة بصرى».

(2) إسناده حسن: أخرجه أحمد (1261 - شاكر) والطبرانى «فى الأوسط» (3/ 359) (3400) وقال فى «المجمع» (10/ 404): «إسناده حسن».

(3) أخرجه أبو يعلى فى «مسنده» (6/ 417) (3783)، والهيثمى فى «المجمع» (10/ 404)، ولفظه: «يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً قالوا: زدنا يا رسول الله، قال: لكل رجل سبعون ألفاً، قالوا: زدنا يا رسول الله، وكان على كثيب فحثا بيده، قالوا: زدنا يا رسول الله، فقال: هذا وحثا بيده، قالوا: يا نبى الله أبعد الله من دخل النار بعد هذا».

الباب الرابع والثلاثون

فــى ذكــر تــربــة الجــنــة وطينتها

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر وأبو كامل قالا: أنبأنا زهير، حدثنا سعد الطائى، حدثنا أبو المُدَلَّة مولى أم المؤمنين سمع أبا هريرة يقول: «قلنا يا رسول الله إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد، قال: **لو تكونون على كل حال على الحال التى أنتم عليها عندى لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم فى بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كى يغفر لهم، قال:** قلنا: يارسول الله، حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: **لبنة ذهب ولبنة فضة، وملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا ييأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السموات، ويقول الرب عز وجل: وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين**». (1)

وروى أبو بكر ابن مردويه من حديث الحسن عن ابن عمر قال: «سئل رسول الله ﷺ عن الجنة فقال: **من يدخل الجنة يحيا لا يموت وينعم لا ييأس. لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه**، قيل: يا رسول الله كيف بناؤها؟ قال: **لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وملاطها مسك أذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران**»(2) هكذا جاء فى هذه الأحاديث أن ترابها الزعفران.

وكذلك روى عن يزيد بن زريع، حدثنا سعيد عن قتادة عن العلاء بن زياد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وترابها الزعفران، وطينها المسك**». (3)

وفى الصحيحين من حديث الزهرى عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «**أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك**»(4) وهو قطعة من حديث المعراج.

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (8030)، وقال العلامة أحمد شاكر: «إسناده صحيح».

(2) صحيح: صححه الألبانى فى صحيح الجامع (3116)، عن أبى هريرة رضى الله عنه. وأخرجه أبو بكر ابن أبى شيبة فى «مصنفه» (33955) (7/ 28) من طريق عمرو بن ربيعة عن الحسن عن ابن عمرو به. وفى كنز العمال (39389) وعزاه للطبرانى عن ابن عمر.

(3) صحيح: انظر صحيح الجامع (3116)، (3118) عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(4) صحيح: أخرجه البخارى (3342) أحاديث الأنبياء، ومسلم (163) الإيمان.

وروى مسلم فى صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى أن رسول اللهﷺ «سأل ابن صائد عن تربة الجنة، فقال: درمكة بيضاء مسك خالص، فقال رسول اللهﷺ : صدق»، ثم رواه عن أبى بكر ابن أبى شيبة، عن أبى أسامة عن الجريرى، عن أبى نضرة عن أبى سعيد أن ابن صياد سأل النبىﷺ عن تربة الجنة فقال: «درمكة بيضاء مسك خالص».[1]

وقال سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبى عن جابر بن عبد اللّه قال: «جاء رجل إلى رسول اللّه ﷺ فقال: يا محمد قد غلب على أصحابك اليوم، قال: وبأى شىء غلبوا ؟ قال: سألهم اليهود كم عدد خزنة النار، فقالوا: لا ندرى، حتى نسأل نبينا، فقال رسول اللّه ﷺ : **أيغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون. فقالوا: حتى نسأل نبينا!! ولكن هم أعداء اللّه سألوا نبيهم أن يريهم اللّه جهرة، علىَّ بأعداء اللّه فإنى سائلهم عن تربة الجنة وأنها درمكة**[2]، فلما أن جاؤوه قالوا: يا أبا القاسم كم عدة خزنة النار ؟ فقال رسول اللّه ﷺ بيديه كلتيهما هكذا وهكذا، وقبض واحدة أى تسعة عشر، فقال لهم رسول اللّه ﷺ : «**ما تربة الجنة ؟** فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: خبزة يا أبا القاسم، فقال النبى ﷺ : **الخبزة من الدرمكة**».

فهذه ثلاث صفات فى تربتها لا تعارض بينها، فذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين: المسك والزعفران: قال أبو بكر ابن أبى شيبة[3]: حدثنا محمد بن أبى عبيدة عن أبيه عن الأعمش عن مالك بن الحارث قال: قال مغيث بن سمى: «الجنة ترابها المسك والزعفران»، ويحتمل معنيين آخرين:

أحدهما: أن يكون التراب من زعفران، فإذا عجن بالماء صار مسكاً، والطين يسمى تراباً، ويدل على هذا قوله فى اللفظ الآخر: ملاطها المسك، والملاط الطين، ويدل عليه أن فى حديث العلاء بن زياد: «**ترابها الزعفران، وطينها المسك**» فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيباً فانضم أحدهما إلى الآخر حدث لهما طيب آخر فصارا مسكاً.

---

(1) **صحيح**: أخرجه مسلم (2928) من حديث أبى مسلمة عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى، وليس حماد ابن سلمة عن الجريرى، ورواه (2928) عن الجريرى. من طريق أبى بكر ابن أبى شيبة. ورواه أحمد (10619) عن حماد بن سلمة، عن الجريرى عن أبى نضرة وهو لفظ ابن القيم هنا.

(2) **ضعيف**: أخرجه أحمد «مختصراً» (14469) تفسير القرآن، والترمذى (3327)، وقال الترمذى: (حديث غريب)، وضعفه الألبانى، وانظر الضعيفة (3348).

(4) أخرجه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (34025) (7/ 38) قال مغيث بن سمى ... الحديث.

المعنى الثانى: أن يكون زعفراناً باعتبار اللون، مسكاً باعتبار الرائحة، وهذا من أحسن شيء تكون، البهجة والإشراق فى لون الزعفران، والرائحة فى رائحة المسك، وكذلك تشبيهها بالدرمك وهو الخبز الصافى الذى يضرب لونه إلى صفرة مع لينها ونعومتها، وهذا معنى ما ذكره سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد، أرض الجنة من فضة وترابها المسك، فاللون فى البياض لون الفضة والرائحة رائحة المسك.

وقد ذكر ابن أبى الدنيا من حديث أبى بكر ابن أبى سبرة عن عمر بن عطاء عن عرادة عن سالم أبى المغيث عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**أرض الجنة بيضاء، عرصتها صخور الكافور، وقد أحاط به المسك مثل كثبان الرمل، فيها أنهار مطردة، فيجتمع فيها أهل الجنة أدناهم وآخرهم، فيتعارفون فيبعث الله ريح الرحمة فتهيج عليهم ريح المسك، فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حسناً وطيباً فتقول: لقد خرجت من عندى وأنا بك معجبة، وأنا بك الآن أشد إعجاباً**».(1)

وقال ابن أبى شيبة: حدثنا معاوية بن هشام، حدثنا على بن صالح عن عمرو بن ربيعة عن الحسن عن ابن عمر قال: «قيل: يا رسول الله، كيف بناء الجنة ؟ قال: **لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، ملاطها مسك أذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران**». (2)

وقال أبو الشيخ: حدثنا الوليد بن أبان، حدثنا أسيد بن عاصم حدثنا الحوضى، حدثنا عدى ابن الفضل، حدثنا سعيد الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «**إن الله عز وجل بنى جنات عدن بيده، وبناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وجعل ملاطها المسك الأذفر، وترابها الزعفران، وحصباءها اللؤلؤ، ثم قال لها: تكلمى، فقالت: لقد أفلح المؤمنون، فقالت الملائكة: طوبى لك منزل الملوك**». (3)

وقال أبو الشيخ: حدثنا عمرو بن الحصين، حدثنا ابن علاثة، حدثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد ابن عمير عن أبىّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «**قلت ليلة أسرى بى: يا جبريل إنهم سيسألوننى عن الجنة ؟ قال: فأخبرهم أنها من درة بيضاء وأن أرضها عقيان**» والعقيان: الذهب، فإن كان ابن علاثة حفظه فهى أرض الجنتين الذهبيتين، فيكون جبريل أخبره بأعلى الجنتين وأفضلهما، والله أعلم.

(1) انظر «صفة الجنة» (28) لابن أبى الدنيا، وابن أبى سبرة وعمر بن عطاء ضعيفان.

(2) أخرجه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (33955) (7/ 28)، وفى إسناده عمرو بن ربيعة، أبو ربيعة الإيادى، قال فيه ابن حجر: مقبول، وقال ابن أبى حاتم: «منكر الحديث».

(3) عدى بن الفضل متروك وانظر «صفة الجنة» لأبو نعيم (140).

الباب الخامس والثلاثون

فــى ذكــر نــورهــا وبـيـاضـهـا

قال أحمد بن منصور الرمادى: أنبأنا كثير بن هشام، حدثنا هشام بن زياد وأبو المقدام عن حبيب بن الشهيد، عن عطاء بن أبى رباح، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**خلق الله الجنة بيضاء، وأحب الزى إلى الله البياض، فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم،** ثم أمر برعاء الشاء فجمعت، فقال: **من كان ذا غنم سود فليخلط بها بيضاء،** فجاءت امرأة فقالت: يا رسول الله، إنى اتخذت غنماً سوداً فلا أراها تنمو، قال: عفرى»[1] وقوله: (عفرى) أى بيضى.

وذكر أبو نعيم من حديث عباد بن عباد، حدثنا هشام بن زياد عن عبد الرحمن بن حبيب عن عطاء عن ابن عباس يرفعه: «**إن الله خلق الجنة بيضاء، وإن أحب اللون إلى الله البياض، فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم**». [2]

وذكر من طريق عبد الحميد بن صالح، حدثنا أبو شهاب عن حمزة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : «**عليكم بالبياض، فإن الله خلق الجنة بيضاء فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم**». [3]

وروينا من طريق النجاد، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سويد بن سعيد. حدثنا عبد ربه الحنفى عن خاله الزميل بن السماك أنه سمع أباه يحدث أنه لقى عبد الله بن عباس بالمدينة بعد ما كف بصره فقال: «يا ابن عباس، ما أرض الجنة ؟ قال: هى مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة، قلت: ما نورها؟ قال: ما رأيت الساعة التى تكون فيها قبل طلوع الشمس فذلك نورها إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير» وذكر الحديث. وسيأتى إن شاء الله تعالى.

(1، 2) انظر ضعيف الجامع (1604)، ومسند البزار كما فى كنز العمال (41104).

(3) أخرجه الطبرانى فى «المعجم الكبير» (11/ 109) (11201) من طريق سليمان بن محمد المبارك ثنا أبو شهاب عن حمزة النصيبى عن عمرو بن دينار عن ابن عباس، وقال الهيثمى فى «المجمع» (4/ 66): «وفيه حمزة النصيبى وهو متروك».

وفى حديث لقيط بن عامر الطويل الذى رواه عبد الله بن أحمد فى مسند أبيه عن النبى ﷺ فذكر الحديث، وقال: «**وتحبس الشمس والقمر فلا يرون منهما واحداً**، قال: قلت يا رسول الله فبم نبصر؟ قال: **بمثل بصرك فى عينيك هذه**، وذلك مع طلوع الشمس فى يوم أشرقته الأرض وواجهته الجبال» .(1)

وفى سنن ابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم، عن محمد بن مهاجر، عن الضحاك المعافرى، عن سليمان بن موسى حدثنى كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ : «**ألا هل مشمر للجنة، فإن الجنة لا خطر لها، هى ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام فى أبد فى دور سليمة، وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة فى محلة عالية بهية**، قالوا: نعم يا رسول الله، نحن المشمرون لها. قال: **قولوا إن شاء الله**، قال القوم: إن شاء الله» .(2)

---

(1) **إسناده ضعيف**: في «مسند» أحمد (16150)، وابن أبي عاصم فى «السنة» (636)، والطبراني في «الكبير» (19/ 211، رقم 477)، وضعف إسناده الألبانى فى «ظلال الجنة»، والحاكم فى «المستدرك» (4/ 605) وقال: «صحيح الإسناد كلهم مدنيون ولم يخرجاه» كلهم من طريق.عبد الرحمن بن المغيرة الحزامي عن عبد الرحمن بن عياش السمعي الأنصارى القبائى عن دلهم بن الأسود عن جده عن عمه لقيط بن عامر وعند أحمد عن أبيه بدلاً من جده، وقال العلامة الألباني: «وإسناده ضعيف»، دلهم بن الأسود وجده عبد الله بن الحاجب. قال الذهبى: لا يعرفان. وكذلك أبوه مجهول أيضاً.

(2) **ضعيف**: أخرجه ابن ماجه (4332) الزهد، وضعفه الألبانى فى ضعيف ابن ماجه، وانظر الضعيفة (3358).

الباب السادس والثلاثون

فى ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها وخيمها

قال الله تعالى: ﴿ **لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ** ﴾ (الزمر:20) فأخبر تعالى أنها غرف فوق غرف وأنها مبنية بناء حقيقة، لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل، وأن ليس هناك بناء بل تتصور النفوس غرفاً مبنية كالعلالى بعضها فوق بعض، حتى كأنها تنظر إليها عياناً، ومبنية صفة للغرف الأولى والثانية، أى لهم منازل مرتفعة وفوقها منازل أرفع منها، وقال تعالى: ﴿ **أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا** ﴾ (الفرقان:75)، والغرفة جنس كالجنة، وتأمل كيف جعل جزاءهم على هذه الأفعال المتضمنة للخضوع والذل والاستكانة لله، الغرف والتحية والسلام فى مقابلة صبرهم على سوء خطاب الجاهلين لهم، فبدلوا بذلك سلام الله وملائكته عليهم.

وقال تعالى: ﴿ **وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ** ﴾ (سبأ:37)، وقال تعالى: ﴿ **يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ** ﴾ (الصف:12)، وقال تعالى عن امرأة فرعون إنها قالت: ﴿ **رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ** ﴾ (التحريم:11).

وروى الترمذى فى جامعه من حديث عبد الرحمن بن إسحق عن النعمان بن سعد، عن علىّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن فى الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها، فقام أعرابى فقال: يا رسول الله لمن هى؟ قال: لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**»[1] قال الترمذى: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق.

وقال الطبرانى: حدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا هشام بن عمار، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام، قال: حدثنى أبو سلام حدثنى أبو معانق الأشعرى، حدثنى أبو مالك الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال: «**إن فى الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**».[2]

---

(1) حسن: أخرجه الترمذى (2527)، وحسنه الألبانى فى صحيح الترمذى.

(2) حسن: حسنه الألبانى فى صحيح الجامع (2123).

وقال ابن وهب: حدثنا حيى عن أبى عبد الرحمن، عن عبد الله بن عمرو، عن النبى ﷺ قال: «**إن فى الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها**، قال أبو مالك الأشعرى: لمن هى يا رسول الله؟ قال: **لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام، وبات قائماً والناس نيام**».

قال محمد بن عبد الواحد، وهذا عندى إسناد حسن، وذكر أبى مالك فيه يدل على صحته، لأن أبا مالك قد رواه وإسناده أيضاً حسن، وقد تقدم حديث أبى سعيد المتفق على صحته: «**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما يتراءون الكوكب الغابر من الأفق**». (1)

وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال: «**إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً**»(2)، وقد تقدم قوله ﷺ فى الحديث الصحيح: «**من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً فى الجنة**»، وقوله فى حديث أبى موسى: «**يقول عز وجل لمن حمده واسترجع عند موت ولده: ابنوا لعبدى بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد**».

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن أبى أوفى وأبى هريرة وعائشة «أن جبريل قال للنبى ﷺ: هذه خديجة أقرئها السلام من ربها، وأمره أن يبشرها ببيت فى الجنة، من قصب لا صخب فيه ولا نصب»(3) والقصب ههنا قصب اللؤلؤ المجوف.

وقد روى ابن أبى الدنيا من حديث يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن عكرمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**إن فى الجنة لقصراً من لؤلؤ ليس فيه صدع ولا وهن، أعده الله عز وجل لخليله إبراهيم**».

وفى الصحيحين من حديث حميد عن أنس أن النبى ﷺ قال: «**دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لشاب من قريش، فظننت أنى أنا هو، فقلت: ومن هو؟ قالوا: لعمر بن الخطاب**»(4) وهو فيهما من حديث جابر ولفظه: «**فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب**» وقد تقدم.

---

(1) **صحيح**: أخرجه البخارى (3256) بدء الخلق، ومسلم (2831) الجنة وصفة نعيمها.

(2) **صحيح**: أخرجه البخارى (4880) تفسير القرآن، ومسلم (2838) الجنة وصفة نعيمها.

(3) **صحيح**: أخرجه البخارى (1792) الحج، (3821) المناقب، (7497)، ومسلم (2432) (2433).

(4) **صحيح**: أخرجه الترمذى (3688) فى المناقب، عن حميد عن أنس وقال أبو عيسى: «حديث حسن صحيح». ولم أجد فى البخارى أو مسلم عن حميد عن أنس. وانظر السلسلة الصحيحة (1405). وأخرجه البخارى (3679) ومسلم (2394) عن محمد بن المنكدر عن جابر.

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا شجاع بن الأشرس قال: سمعت عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون عن حميد عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: «**دخلت الجنة فإذا فيها قصر أبيض، قال: قلت لجبريل: لمن هذا القصر؟ قال: لرجل من قريش، فرجوت أن أكون أنا. فقلت: لأى قريش؟ قال: لعمر بن الخطاب**»،[1] وهذا إن كان محفوظاً فبياضه نوره وإشراقه وضياؤه. والله أعلم.

وقال الحسن: قصر من ذهب لا يدخله إلا نبى أو صديق أو شهيد أو حكم عدل يرفع بها صوته.

وقال الأعمش حدثنا مالك بن الحارث عن مغيث بن سمى قال: إن فى الجنة قصوراً من ذهب، وقصوراً من فضة، وقصوراً من لؤلؤ، وقصوراً من ياقوت، وقصوراً من زبرجد. وقال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير: قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة من له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها.

وروى البيهقى من حديث حفص بن عمر، حدثنا عمرو بن قيس الملائى عن عطاء بن أبى رباح، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن فى الجنة لغرفاً فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها، وإذا كان خلفها لم يخف عليه ما فيها**، قيل لمن هى يا رسول الله؟ قال: **لمن أطاب الكلام، وواصل الصيام، وأطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى والناس نيام**، قيل: وما طيب الكلام؟ قال: **سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا أكبر إلا الله فإنها تأتى يوم القيامة، ولها مقدمات ومجنبات ومعقبات**، قيل: وما وصال الصيام؟ قال: **من صام شهر رمضان ثم أدرك شهر رمضان فصامه**. قيل: وما إطعام الطعام؟ قال: **من قات عياله وأطعمهم**، قيل: فما إفشاء السلام ! قال: **مصافحة أخيك وتحيته**، قيل: وما الصلاة والناس نيام؟ قال: **صلاة العشاء الآخرة**»[2] قال: حفص بن عمر إن هذا مجهول لم يروه عنه غير علىّ بن حرب. والله أعلم.

---

(1) انظر «صفة الجنة» لابن أبى الدنيا (173).

(2) أخرجه البيهقى فى «البعث والنشور» (254).

قلت: هذا يلقب بالكفر - بفتح الكاف وسكون الفاء - وقد روى عنه محمد بن غالب التمام وعليّ بن حرب وهما ثقتان، ولكن ضعفه ابن عدى وابن حبان وحديثه هذا له شواهد. والله أعلم.

وفى فوائد ابن السماك: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور، حدثنا أبى، حدثنا عبد الرحمن ابن عبد المؤمن، قال: سمعت محمد بن واسع يذكر عن الحسن، عن جابر بن عبد الله قال: قال النبى ﷺ : «**ألا أحدثكم بغرف الجنة؟** قال: قلنا: بلى يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا، قال: **إن فى الجنة غرفاً من أصناف الجوهر، كله يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فيها من النعيم واللذات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت،** قال: قلنا: يا رسول الله، لمن هذه الغرف؟ قال: **لمن أفشى السلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام،** قال: قلنا: يا رسول الله، ومن يطيق ذلك؟ قال: **أمتى تطيق ذلك، وسأخبركم عن ذلك: من لقى أخاه فسلم عليه أو رد عليه فقد أفشى السلام، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام رمضان، ومن كل شهر ثلاثة أيام، فقد أدام الصيام، ومن صلى صلاة العشاء الآخرة فى جماعة فقد صلى الليل والناس نيام - اليهود والنصارى والمجوس**»[1] وهذا الإسناد وإن كان لا يحتج به وحده، فإذا انضم إليه ما تقدم استفاد قوة مع أنه قد روى بإسنادين آخرين.

---

(1) أخرجه البيهقى «البعث والنشور» (253)، وأبو نعيم فى «الحلية» (3/ 356).

الباب السابع والثلاثون

فى ذكر معرفتهم لمنازلهم ومساكنهم

إذا دخلوا الجنة وإن لم يروها قبل ذلك

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ (محمد: 4 ـ 6) قال مجاهد: يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون، كأنهم ساكنوهم منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحداً.

وقال ابن عباس فى رواية أبى صالح: «لهم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم»، وقال محمد بن كعب: يعرفونها كما تعرفون بيوتكم فى الدنيا، إذا انصرفتم من يوم الجمعة. هذا قول جمهور المفسرين، وتلخيص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة: عرّفها ﴿لَهُمْ﴾ أى بيّنها لهم حتى عرفوها من غير استدلال.

وقال مقاتل بن حيان: بلغنا أن الملك الموكل بحفظ عمل بنى آدم يمشى فى الجنة ويتبعه ابن آدم حتى يأتى أقصى منزل هو له، فيعرفه كل شىء أعطاه الله فى الجنة، فإذا دخل إلى منزله وأزواجه انصرف الملك عنه. وقال سلمة بن كهيل: طرقها لهم. ومعنى هذا: أنه طرقها لهم حتى يهتدوا إليها.

وقال الحسن: وصف الله الجنة فى الدنيا لهم فإذا دخلوها عرفوها بصفتها، وعلى هذا القول فالتعريف وقع فى الدنيا، ويكون المعنى يدخلهم الجنة التى عرفها لهم، وعلى القول الأول يكون التعريف واقعاً فى الآخرة، هذا كله إذا قيل إنه من التعريف.

وفيها قول آخر: إنها من العَرْف وهو الرائحة الطيبة، وهذا اختيار الزجاج، أى طيبها. ومنه طعام معرَّف أى مطيب.

وقيل: هو من العُرْف، وهو التتابع أى تابع لهم طيباتها وملاذها، والقول هو الأول، وأنه سبحانه أعلمها وبيّنها بما يعلم به كل أحد منزله فلا يتعداه إلى غيره.

وفى صحيح البخارى من حديث قتادة عن أبى المتوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى أن نبى الله ﷺ قال : «**إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، يتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة، والذى نفسى بيده إن أحدهم بمنزله فى الجنة أدل منه بمسكنه كان فى الدنيا**».(1)

وفى مسند إسحق من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**والذى بعثنى بالحق ما أنتم فى الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة**». (2)

---

(1) صحيح: أخرجه البخارى (2440) المظالم والغصب.

(2) أخرجه أبو نعيم «صفة الجنة» (287) والبيهقى «البعث والنشور» (609) وانظر «تفسير الطبرى».

الباب الثامن والثلاثون

فى كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون به عند دخولها

وقد تقدم قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ (الزمر: 73).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (مريم: 85).

قال ابن أبى الدنيا: حدثنى محمد بن عباد بن موسى العكلى، حدثنا يحيى بن سليم الطائفى، حدثنا إسماعيل بن عبد الله المكى، حدثنى أبو عبد الله أنه سمع الضحاك بن مزاحم يحدث عن الحارث، عن علىّ أنه سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (مريم: 85).

قال: قلت يا رسول الله، ما الوفد إلا ركب؟ قال النبى ﷺ: «والذى نفسى بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب، شراك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مثل مد البصر، وينتهون إلى باب الجنة، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان. فإذا شربوا من إحداهما جرت فى وجوههم نضرة النعيم، وإذا توضأوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبداً، فيضربون الحلقة بالصفيحة، فلولا سمعت طنين الحلقة فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتستخفها العجلة فتبعث قيمها فيفتح له الباب، فلولا أن الله عز وجل عرفه نفسه لخر له ساجداً مما يرى من النور والبهاء، فيقول: أنا قيّمك الذى وكلت بأمرك، فيتبعه فيقفو أثره، فيأتى زوجته فتستخفها العجلة فتخرج من الخيمة فتعانقه وتقول: أنت حبى وأنا حبك، وأنا الراضية فلا أسخط أبداً، وأنا الناعمة فلا أبأس أبداً، والخالدة فلا أظعن أبداً، فيدخل بيتاً من أساسه إلى سقفه مائة ذراع مبنى على جندل اللؤلؤ والياقوت طرائق حمر وطرائق خضر وطرائق صفر، ما منها طريقة تشاكل صاحبتها، فيأتى الأريكة، فإذا عليها سرير، على السرير سبعون فراشاً، عليها سبعون زوجة، على كل زوجة سبعون حلة، يرى مخ ساقها من باطن الجلد، يقضى جماعهن فى مقدار ليلة، تجرى من تحتهم أنهار مطردة، أنهار من ماء غير آسن صافٍ ليس فيه كدر، وأنهار

من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل، وأنهار من خمر لذة للشاربين لم تعصره الرجال بأقدامها، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطون الماشية، فإذا اشتهوا الطعام جاءتهم طير بيض فترفع أجنحتها فيأكلون من جنوبها من أى الألوان شاؤوا، ثم تطير فتذهب، فيها ثمار متدلية، إذا اشتهوها انبعث الغصن إليهم، فيأكلون من أى الثمار شاؤوا إن شاء قائماً وإن شاء متكئاً، وذلك قوله عز وجل: ﴿ **وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ** ﴾، وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ»[1] هذا حديث غريب، وفى إسناده ضعف وفى رفعه نظر، والمعروف أنه موقوف على عليّ.

قال ابن أبى الدنيا: حدثنا محمد بن عمرو بن سليمان، حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد فى هذه الآية: ﴿ **يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا** ﴾ (مريم:85). قال: «**أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم، ولكن يؤتون بنوق لم تر الخلائق مثلها، عليها رحال الذهب، وأزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا باب الجنة**».

وقال عليّ بن أبى الجعد فى الجعديات: أنبأنا زهير بن معاوية، عن أبى إسحاق، عن عاصم بن ضمرة عن عليّ قال: «يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً، حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان، فعمدوا إلى إحداهما كأنما أمروا بها فشربوا منها، فأذهبت ما فى بطونهم من أذى أو قذى أو بأس، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تغير أبشارهم أو تغير بعدها أبداً ولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان، ثم انتهوا إلى خزنة الجنة فقالوا: ﴿ **سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** ﴾. قال: ثم تتلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يقدم من غيبته، فيقولون: أبشر بما أعد الله لك من الكرامة. كذا قال: ثم ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول: قد جاء فلان باسمه الذى يدعى به فى الدنيا فتقول: أنت رأيته؟ فيقول: أنا رأيته، وهو ذا بإثرى، فيستخف إحداهن الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها، فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنيانه، فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأصفر وأحمر من كل لون، ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه، فإذا مثل البرق، فلولا أن الله قدره له لألمَّ أن يذهب ببصره، ثم طأطأ رأسه فنظر إلى أزواجه، وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة، فنظروا إلى تلك

---

(1) ابن أبى الدنيا «صفة الجنة» (7)، وأبو نعيم «صفة الجنة» (281).

النعمة، ثم اتكأوا وقالوا: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾ (الأعراف:43)، ثم ينادى مناد: تحيون فلا تموتون أبداً، وتقيمون فلا تظعنون أبداً، وتصحون فلا تمرضون أبداً».

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، قال: «ذكر لنا أن الرجل إذا دخل الجنة صور صورة أهل الجنة، وألبس لباسهم وحلى حليتهم، وأرى أزواجه وخدمه، ويأخذه سوار الفرح لو كان ينبغى أن يموت لمات من سوار فرحه فيقال له: أرأيت سوار فرحتك هذه. فإنها قائمة لك أبداً». (1)

قال ابن المبارك، وأخبرنا رشدين بن سعد: أنبأنا زهرة بن معبد القرشى عن أبى عبد الرحمن الحبلى قال: «إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ». (2)

قال ابن المبارك: «وأنبأنا يحيى بن أيوب، حدثنى عبيد الله بن زحر، عن محمد بن أبى أيوب المخزومى، عن أبى عبد الرحمن المعافرى قال: إنه ليَصفّ للرجل من أهل الجنة سماطان لا يرى طرفاهما من غلمانه، حتى إذا مر مشوا وراءه». (3)

وقال أبو نعيم: أنبأنا سلمة عن الضحاك قال: «إذا دخل المؤمن الجنة دخل أمامه ملك فأخذ به فى سككها، فيقول له: انظر ما ترى؟ قال: أرى أكثر قصور رأيتها من ذهب وفضة، وأكثر أنيس. فيقول له الملك: فإن هذا أجمع لك. حتى إذا رفع إليهم استقبلوه من كل باب، ومن كل مكان يقولون: نحن لك، نحن لك، ثم يقول له: امش، فيقول: ماذا ترى، فيقول: أرى أكثر مساكن رأيتها من خيام وأكثر أنيس؟ قال: فإن هذا أجمع لك، قال: فإذا رفع إليهم استقبلوه فقالوا: نحن لك نحن لك».

وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف متماسكون آخذ بعضهم ببعض لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر**».

---

(1) ابن المبارك فى «زوائد الزهد» (429).
(2) ابن المبارك فى «زوائد الزهد» (427).
(3) ابن المبارك فى «زوائد الزهد» (415).

الباب التاسع والثلاثون

فى ذكـر صفـة أهـل الجـنـة فى خلقهـم وخُلقهم وطـولهـم وعرضهـم ومقـدار أسنـانهـم

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق قال: حدثنا معمر عن همام عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال له: اذهب فسلم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال: فذهب فقال: السلام عليكم ؛ فقالوا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته فزادوه ورحمة الله، قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعاً، فلم يزل ينقص الخلق بعده حتى الآن**»(1) متفق على صحته.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون وعفان بن مسلم قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن عليّ بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين، وهم على خلق آدم ستون ذراعاً فى عرض سبعة أذرع**»(2) قيل: تفرد به حماد عن عليّ بن زيد.

وفى جامع الترمذى من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل أن النبى ﷺ قال: «**يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين**»(3) قال هذا حديث حسن غريب.

وقال أبو بكر ابن أبى داود: حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد قال: حدثنا عمر بن عبد الواحد عن الأوزاعى عن هارون بن رئاب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ :

---

(1) صحيح : أخرجه البخارى (3326) أحاديث الأنبياء، (6227) الاستئذان، ومسلم (2841) الجنة وصفة نعيمها.

(2) إسناده صحيح : أخرجه أحمد (7920)، وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(3) حسن : أخرجه الترمذى (2545) وقال أبو عيسى: «حديث حسن غريب». وحسنه الألبانى فى صحيح الترمذى.

«يبعث أهل الجنة على صورة آدم فى ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جرداً مرداً مكحلين، ثم يذهب بهم إلى شجرة فى الجنة فيكسون منها، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم». (1)

وقال الترمذى: حدثنا سويد بن نصر، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن رشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث، أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ : **«من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يَردون بَنى ثلاثين سنة فى الجنة لا يزيدون عليها أبداً. وكذلك أهل النار»**(2) فإن كان هذا محفوظاً لم يناقض ما قبله، فإن العرب إذا قدرت بعدد له نيف فإن لهم طريقين، تارة يذكرون النيف للتحرير وتارة يحذفونه، وهذا معروف فى كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم.

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا القاسم بن هشام حدثنا صفوان بن صالح، حدثنا رواد بن الجراح العسقلانى، حدثنا الأوزاعى عن هارون بن رئاب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : «يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك، على حسن يوسف، وعلى ميلاد عيسى، ثلاث وثلاثين سنة، وعلى لسان محمد، جرد مرد مكحلون» (3)

وقال ابن وهب: حدثنى معاوية بن صالح، عن عبد الوهاب بن بخت، عن أبى الزناد عن الأعرج، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أهل الجنة يدخلون الجنة على قدر آدم ستون ذراعاً، وعلى ذلك قطعت سردهم»**. (4)

وقد تقدم أن أول زمرة صورهم على صورة القمر ليلة البدر، وأن الذين يلونهم على ضوء أشد كوكب فى السماء إضاءة وأما الأخلاق فقد قال تعالى: **﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾** (الحجر:47) فأخبر عن تلاقى قلوبهم وتلاقى وجوههم. وفى الصحيحين: **«أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعاً**

(1) ذكره أبو نعيم «صفة الجنة» (255)، والحلية (3/ 56).
(2) ضعيف : أخرجه الترمذي (2562)، وضعفه الألبانى فى ضعيف الترمذى.
(3) انظر «صفة الجنة» (215) لابن أبى الدنيا.
(4) ذكره أبو نعيم فى «صفة الجنة» (248).

في السماء» والرواية على خلق ـ بفتح الخاء وسكون اللام ـ والأخلاق كما تكون جمعاً للخُلُق بالضم فهى جمع للخَلْق بالفتح، والمراد: تساويهم فى الطول والعرض والسن، وإن تفاوتوا فى الحسن والجمال، ولهذا فسره بقوله: «**على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعاً فى السماء**».

وأما أخلاقهم وقلوبهم ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة: «**أول زمرة تلج الجنة**» الحديث. وقد تقدم، وفيه لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشية.

وكذلك وصف الله سبحانه وتعالى نساءهم بأنهن أتراب، أى: فى سن واحدة ليس فيهن العجائز والشواب. وفى هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى، فإنه أبلغ وأكمل فى استيفاء اللذة، لأنه أكملُ سن القوة مع عظم آلات اللذة، وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها، بحيث يصل فى اليوم الواحد إلى مائة عذراء، كما سيأتى إن شاء الله تعالى.

ولا يخفى التناسب الذى بين هذا الطول والعرض، فإنه لو زاد أحدهما على الآخر فات الاعتدال وتناسب الخِلقة، يصير طولاً مع دقة أو غلظاً مع قصر، وكلاهما غير مناسب، والله أعلم.

الباب الأربعون

فى ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم

أعلاهم منزلة سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ (البقرة:253) قال مجاهد وغيره: منهم من كلم الله: موسى، ورفع بعضهم درجات: هو محمدﷺ . وفى حديث الإسراء المتفق على صحته: أنهﷺ لما جاوز موسى قال: **«رب لم أظن أن يرفع علىَّ أحداً»**، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاوز سدرة المنتهى.

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: أنه سمع النبى ﷺ يقول: **«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىَّ، فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا لى الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة»**. (1)

وفى صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة عن النبى ﷺ : **«إن موسى سأل ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلك من ملوك الدنيا، فيقول: رضيت رب، فيقول له لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال فى الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك، ولذة عينك، فيقول: رضيت رب قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدى، وختمت عليها فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر»**. (2)

وقال الترمذى: حدثنا عبد بن حميد، أنبأنا شبابة عن إسرائيل عن ثوير قال: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول اللهﷺ : **«إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه**

---

(1) صحيح: أخرجه مسلم (384) الصلاة.

(2) صحيح: أخرجه مسلم بتمامه فى «الإيمان» (189).

وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة:22،23) ».[1]

قال: وقد روى هذا الحديث من غير وجه، عن إسرائيل، عن ثوير، عن ابن عمر مرفوعاً. قال: ورواه عبد الملك بن أبجر، عن ثوير، عن ابن عمر موقوفاً، ورواه عبيد الله الأشجعي، عن سفيان، عن ثوير، عن مجاهد، عن ابن عمر نحوه ولم يرفعه.

قلت: ورواه الطبراني[2] في معجمه من حديث أبي معاوية: عن عبد الملك بن أبجر، عن ثوير، عن ابن عمر مرفوعاً: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر فى ملكه ألفى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه**» الحديث. ورواه أبو نعيم[3]، عن إسرائيل، عن ثوير قال: سمعت ابن عمر يقول: قال إسرائيل: لا أعلم ثويراً إلا رفعه إلى النبى ﷺ.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن ـ هو ابن موسى ـ حدثنا سكين بن عبد العزيز، حدثنا الأشعث الضرير، عن شهر بن حوشب، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**إن أدنى أهل الجنة منزلة من له سبع درج وهو على السادسة وفوقه السابعة، وإن له ثلاثمائة خادم ويغدى عليه ويراح كل يوم ثلاثمائة صحفة** –ولا أعلمه إلا قال: من ذهب– **فى كل صحفة لون ليس فى الآخر، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره وإنه ليقول: يارب لو أذنت لى لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندى شىء، وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا، وإن الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض**».[4]

---

(1) **ضعيف**: أخرجه الترمذى (2553)، وأحمد (5317)، وضعف إسناده العلامة أحمد شاكر من أجل ثوير، وضعفه الألبانى وانظر الضعيفة (1985).

(2) **إسناده ضعيف**: أخرجه أحمد (4623)، وقال العلامة أحمد شاكر: «إسناده ضعيف جداً، لضعف ثوير ابن أبى فاختة...» والحديث فى «مجمع الزوائد» (10/ 407) ولم يذكر آخره: «وإن أفضلهم منزلة» إلخ، وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى، وفى أسانيدهم ثوير بن أبى فاختة، وهو مجمع على ضعفه».

(3) أخرجه أبو نعيم «الحلية» (5/ 87).

(4) أخرجه أحمد (10874)، وقال الهيثمى فى «المجمع» (10/ 400): «رجال أحمد ثقات على ضعف فى بعضهم».

قلت: سكين بن عبد العزيز ضعفه النسائى، وشهر بن حوشب ضعفه مشهور، والحديث منكر مخالف للأحاديث الصحيحة، فإن طول ستين ذراعاً لا يحتمل أن يكون مقعدة صاحبه بقدر ميل من الأرض.

والذى فى الصحيحين، أول زمرة تلج الجنة: لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين، فكيف يكون لأدناهم اثنتان وسبعون؟ وأقل ساكنى الجنة نساء الدنيا، فكيف يكون لأدنى أهل الجنة جماعة منهن؟ وأيضاً فإن الجنتين الذهبيتين أعلى من الفضيتين؟ فكيف يكون أدناهم فى الذهبيتين؟

قال الدولابى: شهر بن حوشب لا يشبه حديثه حديث الناس، وقال ابن عون: إن شهراً اتركوه، وقال النسائى وابن عدى: ليس بالقوى، وقال أبو حاتم: لا يحتج به وتركه شعبة ويحيى بن سعيد، وهذا من أعلم الناس بالحديث ؛ ورواته وعلله ؛ وإن كان غير هؤلاء قد وثقه وحسن حديثه، فلا ريب أنه إذا تفرد بما يخالف ما رواه الثقات لم يقبل. والله أعلم.

الباب الحادى والأربعون

فى تحفة أهل الجنة إذا دخلوها

روى مسلم فى صحيحه[1] من حديث ثوبان قال: «كنت قائماً عند رسول الله ﷺ ، فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها ؛ فقال: لم تدفعنى؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودى: إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله ؛ فقال رسول الله ﷺ : **إن اسمى محمداً الذى سمانى به أهلى**، فقال اليهودى: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ : **أينفعك شىء إن حدثتك**؟ فقال: أسمع بأذنى، فنكث رسول الله ﷺ بعود معه فى الأرض؛ فقال: **سل**. فقال اليهودى: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ : **هم فى الظلمة دون الجسر**؛ قال: فمن أول الناس إجازة يوم القيامة؟ قال: **فقراء المهاجرين**. قال اليهودى: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: **زيادة كبد النون**؛ قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: **ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها** ؛ قال: فما شرابهم عليه؟ **قال: من عين فيها تسمى سلسبيلا**؛ قال: صدقت؛ قال: وجئت أسألك عن شىء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبى أو رجل أو رجلان ؛ قال: **أينفعك إن حدثتك**؟ قال: أسمع بأذنى؛ قال: جئت أسألك عن الولد؟ قال: **ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منىّ الرجل منىّ المرأة أذكرا بإذن الله تعالى، وإن علا منىّ المرأة منىّ الرجل آنثا بإذن الله تعالى**؛ قال اليهودى: لقد صدقت وإنك لنبى، ثم انصرف. فقال رسول الله ﷺ : لقد سألنى هذا عن الذى سألت عنه وما لى علم بشىء منه؛ حتى آتانى الله عز وجل به».

وفى صحيح البخارى[2] عن أنس قال: «سمع عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة، وهو فى أرض يخترف، فأتى النبى ﷺ فقال: إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى: فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو أمه؟ قال: **أخبرنى بهن جبريل آنفاً**، قال: جبريل؟ قال: **نعم**، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿ **قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ (البقرة:97).

---

(1) صحيح: أخرجه مسلم (315) الحيض.

(2) صحيح: أخرجه البخارى (3329) أحاديث الأنبياء.

أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة: فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامى قبل أن تسألهم بهتونى، فجاءت اليهود فقال: **أى رجل عبد الله فيكم؟** قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، قال: **أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟** فقالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه، فقال: هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله».

وفى الصحيحين من حديث عطاء بن يسار، عن أبى سعيد الخدرى قال: قال النبى ﷺ : «**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته فى السفر نزلاً لأهل الجنة**، فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ **قال: بلى**، قال: تكون الأرض خبزة واحدة، **كما قال النبى ﷺ** ، فنظر النبى ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: **ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: بلى، قال: إدامهم بالام والنون**، قال: وما هذا !! **قال: ثور ونون، يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفاً**». (1)

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا ابن لهيعة، حدثنى يزيد بن أبى حبيب، أن أبا الخير أخبره، أن أبا العوام أخبره، أنه سمع كعباً يقول: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة إذا دخلوها: إن لكل ضيف جزوراً، وإنى أجزركم اليوم، فأتى بثور وحوت، فيجزر لأهل الجنة». (2)

---

(1) صحيح: أخرجه البخارى (6520)، ومسلم (2792) صفة القيامة.

(2) «زوائد الزهد» ابن المبارك (432).

الباب الثانى والأربعون

فـى ذكـر ريـح الجنـة ومـن مسيـرة كـم ينشـق

قال الطبراني: حدثنا موسى بن حازم الأصبهاني، حدثنا محمد بن بكير الحضرمي، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن الحسن بن عمرو، عن مجاهد؛ عن جنادة بن أبى أمية، عن عبد الله بن عمرو، عن النبى ﷺ قال: «**من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام**». ورواه البخارى فى الصحيح[1]؛ عن قيس بن حفص، عن عبد الواحد بن زياد، عن الحسن بن عمرو الفقيمي، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو، ولم يذكر بينهما جنادة، وقال: «**ليوجد من مسيرة أربعين عاماً**».

وقال الترمذى: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا معدى بن سليمان هو البصرى، عن ابن عجلان، عن أبيه، عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**ألا من قتل نفساً معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله، فقد أخفر بذمة الله، فلا يُرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً**». [2]

قال: وفى الباب عن أبى بكرة، وحديث أبى هريرة حديث حسن صحيح قال محمد بن عبد الواحد: وإسناده عندى على شرط الصحيح.

قلت: وقد رواه الطبرانى من حديث عيسى بن يونس، عن عوف الأعرابى، عن محمد بن سيرين، عن أبى هريرة يرفعه: «**من قتل نفساً معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة، وإن ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام**». [3]

وقال الطبرانى: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، عن عبد الرزاق، عن معمر عن قتادة، عن الحسن أو غيره، عن أبى بكرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام**»[4]، وهذه الألفاظ لا تعارض بينها بوجه.

(1) **صحيح**: أخرجه البخارى (3166) الجزية والموادعة، بلفظ: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً».

(2) **صحيح**: أخرجه الترمذى (1403) وقال أبو عيسى: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألبانى.

(3) أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» (663) (1/ 206).

(4) أخرجه البيهقى (16261) (8/ 133) «الكبرى»، وأخرجه أحمد فى زوائد ابنه عبد الله. والحاكم فى «المستدرك» من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن عن أبى بكرة.

وقد أخرجا في الصحيحين[1] من حديث أنس قال: «لم يشهد عمي مع رسول الله ﷺ بدراً، قال: فشق عليه، قال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه، فإن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليراني الله ما أصنع، قال: فهاب أن يقول غيرها، قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أُحُد، قال: فاستقبل سعد بن معاذ فقال له: أين؟ فقال: واهاً لريح الجنة أجده دون أُحُد، قال: فقاتلهم حتى قتل، قال: فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية. فقالت أخته عمتي الرُبِّيعُ بنت النضر: فما عرفت أخي إلا ببنانه، ونزلت هذه الآية: ﴿**رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾ (الأحزاب:23). قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه».

وريح الجنة نوعان: ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحياناً لا تدركه العباد، وريح يدرك بحاسة الشم للأبدان، كما تشم روائح الأزهار وغيرها، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد، وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله، وهذا الذي وجده أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم، وأن يكون من الأول. والله أعلم.

وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن معمر حدثنا محمد بن أحمد المؤدب، حدثنا عبد الواحد بن غياث، أنبأنا الربيع بن بدر، وحدثنا هارون بن رئاب عن مجاهد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**رائحة الجنة تراح من مسيرة خمسمائة عام**». [2]

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن طريف، حدثنا أبي حدثنا محمد بن كثير، حدثني جابر الجعفي عن أبي جعفر محمد بن عليّ عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجدها عاقٌّ ولا قاطع رحم**». [3]

---

(1) **صحيح**: أخرجه البخاري (2806) الجهاد والسير، ومسلم (1903).

(2) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (3/ 307)، وقال: غريب من حديث هارون عن مجاهد.

في الحلية: «المؤدب» بدلاً من «المؤذن»، وكذلك عبد الوهاب بن غياث بدلاً من عبد الواحد بن غياث.

(3) **إسناده ضعيف**: أخرجه الطبراني «الأوسط» (1176)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (8/ 148، 149) وقال: «رواه الطبراني في الأوسط من طريق محمد بن كثير عن جابر الجعفي، وكلاهما ضعيف جداً».

وقال أبو داود الطيالسى[1] فى مسنده: حدثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد عن عبد الله بن عـمرو بن العـاص، عن النبى ﷺ قال: **«من ادعى إلى غيـر أبيه لم يـرح رائحة الجنة، وإن ريـحهـا ليـوجد من مـسيرة خـمسـمـائة عام**؛ **وقـد أشـهد اللّه سبـحانه عـبـاده فى هذه الدار آثاراً من آثار الجنة وأنموذجا منهـا من الرائحة الطيبـة واللذات المشـتـهـاة، والمناظر البـهـيـة، والفـاكـهـة الحسنة، والنعيـم والسرور، وقرة العين»**.

وقد روى أبو نعيم من حديث الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال: قال رسول اللّه ﷺ : **«يقـول اللّه عز وجل للجنة: طيبى لأهلك فتزداد طـيبـاً، فذلك البـرد الذى يجـده الناس بالسحـر من ذلك»**[2]، كما جعل سبحانه نار الدنيا وآلامها وغمومها وأحزانها تذكرة بنار الآخرة: قال تعالى فى هذه النار: ﴿**نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً**﴾ (الواقعة:73) وأخبـر النبى ﷺ أن شـدة الحر والبـرد من أنفاس جهنم، فلابد أن يشهد عباده أنفاس جنته وما يذكرهم بها. واللّه المستعان.

---

(1) صـحـيح: أخرجه أبو داود الطيـالسى فى مـسنده (2274) (1/ 300)، بهذا الإسناد، وأحـمد (6592) وعندهمـا: «من مسيرة سبعين عاماً» وقال العلامة الألبـانى: «وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، والحكم هو ابن عتيبة الكوفى»، وانظر الصحيحة (2307)، وأخرجه ابن ماجه (2611) من طريق سفيان عن عبـد الكريم عن مجاهد عن عبد الله بن عـمرو وفيه: «من مسيـرة خمسـمائة عـام». واختلف فى «عبـد الكريم» هل هو عبد الكريـم الجزرى الثقة أم عبد الكريم بن أبى المخارق الضعيف، ورجح العلامة الألبانى أنه عبد الكريم المضعف، فهو ضعيف بلفظ «خمسمائة عام».

(2) أخرجه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (199) والطبرانى فى «الصغير» (75)، وقال: لم يـروه عن الأعمش إلا عمرو بن عبد الغفار تفرد به يوسف بن موسى أبو غسان.

الباب الثالث والأربعون

فى الأذان الذى يؤذن به مؤذن الجنة فيها

روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «ينادى مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً»[1]، وذلك قول الله عز وجل: ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف: 43). قال عثمان بن أبى شيبة: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا حمزة الزيات، عن أبى إسحاق، عن الأغر، عن أبى هريرة وأبى سعيد عن النبى ﷺ: ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ قال: «نودوا أن صحوا فلا تسقموا أبداً، واخلدوا فلا تموتوا أبداً، وانعموا فلا تبأسوا أبداً».

وفى صحيح مسلم من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن صهيب أن النبى ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة وينجنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحب إليهم من النظر إليه». [2]

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا أبو بكر الهذلانى، أخبرنى أبو تميم الهيجيمى، قال: سمعت أبا موسى الأشعرى يخطب على منبر البصرة يقول: إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة ملكاً إلى أهل الجنة، فيقول: يا أهل الجنة، هل أنجزكم الله ما وعدكم فينظرون فيرون الحلى والحلل والأنهار، والأزواج المطهرة فيقولون: نعم، قد أنجزنا ما وعدنا، قالوا ذلك ثلاث مرات، فينظرون فلا يفتقدون شيء مما وعدوا فيقولون: نعم، فيقول: قد بقى شيء، إن الله يقول: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس: 26) ألا إن الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله». [3]

---

(1) صحيح: أخرجه مسلم (2837) الجنة وصفة نعيمها، والترمذى (3246) وأحمد (8059).

(2) صحيح: أخرجه مسلم (181) الإيمان، والترمذى (2552) صفة الجنة، (3105) تفسير القرآن، وابن ماجه (187) المقدمة، وأحمد (18456).

(3) انظر «زوائد الزهد» لابن المبارك (419).

وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: ربنا وأى شىء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً**»[1] ومن تراجم البخارى عليه باب كلام الرب مع أهل الجنة، وسيأتى فى هذا أحاديث نذكرها فى باب معقود لذلك إن شاء الله.

وفى الصحيحين من حديث نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت، كلٌ خالد فيما هو فيه**»[2].

وهذا الأذان وإن كان بين الجنة والنار فهو يبلغ جميع أهل الجنة والنار، ولهذا نداء آخر يوم زيارتهم ربهم تبارك وتعالى يرسل إليهم ملكاً، فيؤذن فيهم بذلك فيسارعون إلى الزيارة، كما يؤذن مؤذن الجمعة إليها، وذلك فى مقدار يوم الجمعة، كما سيأتى مبيناً فى باب زيارتهم الرب عز وجل. والله أعلم.

(1) صحيح: أخرجه البخارى (6549) الرقاق، ومسلم (2829) الجنة وصفة نعيمها.
(2) صحيح: أخرجه البخارى (6544) الرقاق، ومسلم (2850) الجنة وصفة نعيمها.

الباب الرابع والأربعون

فى أشجار الجنة وبساتينها وظلالها

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ (الواقعة: 27-33)، وقال تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ وهو جمع فنن، وهو الغصن، وقال: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾.

والمخضود: الذى قد خضد شوكه أى نزع وقطع، فلا شوك فيه. هذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقتادة وأبى الأحوص وقسامة بن زهير وجماعة. واحتج هؤلاء بحجتين:

إحداهما: أن الخضد فى اللغة القطع، وكل رطب قضبته فقد خضدته ؛ وخضدت الشجر إذا قطعت شوكه فهو خضيد ومخضود، ومنه الخضد على مثال الثمر، وهو كل ما قطع من عود رطب خضد بمعنى مخضود كقبض وسلب، والخضاد شجر رخو لا شوك فيه.

الحجة الثانية: قال ابن أبى داود: حدثنا محمد بن مصفى، حدثنا محمد بن المبارك، حدثنا يحيى ابن حمزة، حدثنا ثور بن يزيد، حدثنى حبيب بن عبيد عن عتبة بن عبد السلمى قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ، فجاء أعرابى فقال: يا رسول الله، أسمعك تذكر فى الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكا منها - يعنى الطلح - فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود فيها سبعون لوناً من الطعام لا يشبه لونٌ آخر**»(1) (الملبود) الذى اجتمع شعره بعضه على بعض - وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم، أقبل أعرابى يوماً، فقال: يا رسول الله، ذكر الله فى الجنة شجرة مؤذية، وما كنت أرى فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها، قال رسول الله ﷺ: وما هى؟ قال: السدر، فإن له شوكاً مؤذياً. قال رسول الله ﷺ: أليس الله يقول: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ ! **خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة**»(2) وقالت طائفة: المخضود هو: الموقر حملاً. وأنكر عليهم هذا القول وقالوا: لا يعرف فى اللغة الخضد بمعنى الحمل، ولم يصب هؤلاء الذين أنكروا هذا القول، بل هو قول صحيح، وأربابه ذهبوا إلى أن الله سبحانه وتعالى لما خضد شوكه وأذهبه، وجعل مكان كل شوكة ثمرة أوقرت بالحمل. والحديثان المذكوران يجمعان القولين.

(1) أخرجه الطبرانى «الكبير» (17/ 130) (318) وقال الهيثمى (10/ 414)، ورجاله رجال الصحيح.

(2) **صحيح الإسناد:** ابن المبارك «زوائد الزهد» (263)، وأخرجه الحاكم فى «المستدرك» (3778) (2/ 518) من طريق بشر بن بكر عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر عن أبى أمامة به، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

وكذلك قول من قال: المخضود الذى لا يعقر اليد ولا يرد اليد منه شوك ولا أذى فيه، فسره بلازم المعنى، وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنى المقصود تارة، وفرداً من أفراده تارة ومثالاً من أمثلته فيحكيها الجماعون للغث والسمين أقوالاً مختلفة، ولا اختلاف بينها.

فصل
من أشجار الجنة

وأما الطلح، فأكثر المفسرين قالوا: إنه شجرة الموز. قال مجاهد: أعجبهم طلح وَجٍّ وحُسْنَه، فقيل لهم: ﴿**وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ**﴾ وهذا قول عليّ بن أبي طالب، وابن عباس، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدرى. وقالت طائفة أخرى: بل هو شجر عظام طوال، وهو من شجر البوادى الكثير الشوك عند العرب، قال حاديهم:

بَشَّرها دَليلُهَا وقَالا   غداً تَرينَ الطَّلحَ والجِبَالا

ولهذا الشجر نَوْر ورائحة طيبة وظل ظليل، وقد نضد بالحمل والثمر مكان الشوك. قال ابن قتيبة: هو الذى نضد بالحمل أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره، فليس له ساق بارز، وقال مسروق: ورق الجنة نضيد من أسفلها إلى أعلاها، وأنهارها تجرى من غير أخدود.

وقال الليث: الطلح: شجر أم غيلان له شوك أحجن من أعظم العضاه شوكاً وأصلبه عوداً وأجوده صمغاً. قال أبو إسحاق: يجوز أن يعنى به شجر أم غيلان، لأن له نَوْراً طيب الرائحة جداً، فوعدوا بما يحبون مثله، إلا أن فضله على ما فى الدنيا كفضل سائر ما فى الجنة على سائر ما فى الدنيا، فإنه ليس مافى الجنة مما فى الدنيا إلا الأسامى، والظاهر أن من فسر ﴿**وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ**﴾ بالموز، إنما أراد التمثيل به لحسن نضده، وإلا فالطلح فى اللغة: هو الشجر العظام من شجر البوادى، والله أعلم.

وفى الصحيحين من حديث أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها، فاقرءوا إن شئتم، ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾**». (1)

وفى الصحيحين أيضاً من حديث أبى حازم عن سهل بن سعد، عن رسول الله ﷺ قال: «**إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مئة عام لا يقطعها**» قال أبو حازم: فحدثنا به النعمان ابن أبى عياش الزرقى فقال: حدثنى أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال: «**إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع فى ظلها مائة عام ما يقطعها**». (2)

---

(1) **صحيح**: أخرجه البخارى (4881) تفسير القرآن، ومسلم (2826) فى الجنة وصفة نعيمها.

(2) **صحيح**: أخرجه البخارى (6553) الرقاق عن سهل وأبى سعيد الخدرى، ومسلم (2827) الجنة وصفة نعيمها عن سهل بن سعد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدى، حدثنا شعبة عن أبى الضحاك، سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين أو مائة سنة، هى شجرة الخلد**». (1)

وقال وكيع: حدثنا إسماعيل بن أبى خالد عن زياد مولى بنى مخزوم، عن أبى هريرة رضي الله عنه: «**إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام. اقرءوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾**، فبلغ ذلك كعباً فقال: صدق، والذى أنزل التوراة على لسان موسى، والفرقان على لسان محمد ﷺ، لو أن رجلاً ركب جذعة أو جذعاً، ثم دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرماً، إن الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه، وإن أفنانها من وراء سور الجنة، ما فى الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة».

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنى إبراهيم بن سعيد الجوهرى، حدثنا أبو عامر العقدى، حدثنا زمعة بن صالح عن سلمة بن وهران عن عكرمة عن ابن عباس قال: «الظل الممدود: شجرة فى الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد فى ظلها مائة عام فى كل نواحيها، فيخرج إليها أهل الجنة - أهل الغرف وغيرهم - يتحدثون فى ظلها، قال: فيشتهى بعضهم ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا». وفى جامع الترمذى من حديث أبى حازم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما فى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب**»(2) قال: هذا حديث حسن.

وعن أبى هريرة(3) قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، واقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** (السجدة:17)، وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرءوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها، واقرءوا إن شئتم ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ (آل عمران:185)» رواه بهذا اللفظ والسياق الترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وصدره فى الصحيحين

---

(1) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (9831) (9912).

(2) **صحيح**: أخرجه الترمذى (2525) صفة الجنة، وقال الترمذى: «حديث حسن غريب» وصححه الألبانى.

(3) **حسن صحيح**: أخرج صدره البخارى (3244) بدء الخلق، ومسلم (2824)، وأحمد (27360)، وأخرجه بتمامه الترمذى (3292) وقال أبو عيسى: «حسن صحيح». وأخرجه ابن ماجه (4328) الزهد، والنسائى فى «الكبرى» (11085) (6/ 317)، وصححه الألبانى وانظر الصحيحة (1978).

وفي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وإن شئتم فاقرءوا** ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ (الواقعة:31)» وقال ابن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال: «قال رجل: يا رسول الله، ما طوبى؟ قال: **شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**»[1]، وقد رواه عنه حرملة بزيادة فقال: أخبرني ابن وهب، أخبرني عمرو، أن دراجاً حدثه أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد الخدري «أن رجلا قال: يا رسول الله. طوبى لمن رآك وآمن بك. فقال: **طوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى ثم طوبى، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني**، فقال رجل: يا رسول الله، وما طوبى؟ قال: شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها». [2]

قلت: وأول هذا الحديث في المسند ولفظه: «طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع مرات». [3]

وقال ابن المبارك: حدثنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر، وكرفها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد ليس فيها عجم». [4]

وقال الإمام أحمد: حدثنا عليّ بن بحر، حدثنا هشام بن يوسف، حدثنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله عن الحوض وذكر الجنة، ثم قال الأعرابي: فيها فاكهة؟ قال: **نعم وفيها شجرة تدعى طوبى، فذكر شيئاً لا أدري ما هو ! فقال: أي شجر أرضنا تشبهه؟ قال: ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك، فقال النبي ﷺ أتيت الشام قال: لا. قال: تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد وينفرش أعلاها**، قال: ما عظم أصلها؟ **قال: لو ارتحلت جذعة من إبل**

---

(1) **حسن لغيره**: أخرجه أحمد (11613)، وابن حبان في «صحيحه» (7413) (16/ 429)، وحسنه الألباني في صحيح موارد الظمآن (2223)، وانظر الصحيحة (4/ 639).

(2) أخرجه بزيادة حرملة ابن حبان في «صحيحه» (7230) (16/ 214).

(3) أخرجه أحمد (11613) وأبو يعلى «مسنده» (1374) (2/ 519) من طريق ابن لهيعة عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري.

(4) ابن المبارك «الزهد» (1489).

أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرماً، قال: فيها عنب. قال: **نعم**. قال: فما عظم العنقود؟ قال: **مسيرة شهر للغراب الأبقع لا يفتر**، قال: فما عظم الحبة؟ قال: **هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيماً؟** قال: نعم، قال: **فسلخ إهابه فأعطاه أمك، فقال: اتخذي لنا منه دلواً؟** قال: نعم، قال الأعرابي: فإن تلك الحبة لتشبعني وأهل بيتي، **قال: نعم وعامة عشيرتك**». (1)

قال أبو يعلى الموصلي في مسنده: حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد، عن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: «سمعت رسول الله ﷺ، وذكر سدرة المنتهى فقال: **يسير في ظل الفنن منها الراكب مائة سنة**، أو قال: **يستظل في الفنن منها مائة راكب، فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال**»(2) ورواه الترمذي وقال: شك يحيى وهو حديث حسن غريب.

وقال عبد الله بن المبارك:(3) أنبأنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: «إن أرض الجنة من وَرِق، وترابها مسك، وأصول أشجارها ذهب ووَرِق، وأفنانها لؤلؤ وزبرجد وياقوت، والوَرَق والثمر تحت ذلك، فمن أكل قائماً لم يؤذه، ومَن أكل جالساً لم يؤذه، ومن أكل مضطجعاً لم يؤذه، ﴿**وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً**﴾(الإنسان:14).

وقال أبو معاوية: حدثنا الأعمش عن أبي ظبيان عن جرير بن عبد الله قال: «نزلنا الصفاح، فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه، قال: فقلت للغلام: انطلق بهذا النطع فأظله، قال: فانطلق فأظله، فلما استيقظ إذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه، فقال: يا جرير، تواضع لله، فإنه من تواضع لله رفعه الله يوم القيامة. يا جرير، هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدري. قال: ظلم الناس بينهم، ثم أخذ عويداً لا أكاد أراه بين إصبعيه، فقال: يا جرير، لو طلبت مثل هذا في الجنة لم تجده، قلت: يا عبد الله، فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر».

(1) **صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (17574)، والطبراني في «المعجم الكبير» (17/ 128) رقم (313) من طريق معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عمرو بن زيد البكالي عن عتبة بن عبد السلمي. وأخرجه ابن حبان (2626) موارد، وصححه الألباني في صحيح موارد الظمآن، وقال العلامة أحمد شاكر: «عامر بن زيد البكالي، صوابه: عاصم بن زيد البكالي».

(2) **ضعيف**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (24/ 87) (234)، والحاكم في «المستدرك» (2/ 510) حديث (3748)، وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ورواه الترمذي (2541) وقال أبو عيسى: «حديث حسن صحيح غريب». وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي.

(3) «زوائد الزهد» لابن المبارك (229).

الباب الخامس والأربعون

فى ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها

قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ (البقرة:25).

وقولهم: ﴿ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ أى شبيهه ونظيره لا عينه، وهل المراد أن هذا الذى رزقنا فى الدنيا نظيره من الفواكه والثمار، وهذا نظير الذى رزقناه قبلُ فى الجنة؟

قيل: وفيه قولان: ففى تفسير السدى عن أبى مالك وأبى صالح، عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبى ﷺ قالوا: ﴿ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ أنهم أتوا بالثمرة فى الجنة، فلما نظروا إليها قالوا: هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا. قال مجاهد: ما أشبهه به، وقال ابن زيد: هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا، وأتوا به متشابهاً يعرفونه، وقال آخرون: هذا الذى رزقنا من قبل من ثمار الجنة، من قبل هذا لشدة مشابهة بعضه بعضاً فى اللون والطعم، واحتج أصحاب هذا القول بحجج:

إحداها: أن المشابهة التى بين ثمار الجنة بعضها لبعض أعظم من المشابهة التى بينها وبين ثمار الدنيا، ولشدة المشابهة قالوا: هذا هو.

الحجة الثانية: ما حكاه ابن جرير عنهم قال: ومن علة قائلى هذا القول أن ثمار الجنة كلما نزع منها شيء عاد مكانه آخر مثله كما كان. حدثنا ابن بشار، حدثنا ابن مهدى، حدثنا سفيان سمعت عمرو بن مرة يحدث عن أبى عبيدة وذكر ثمر الجنة، وقال: كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى.

الحجة الثالثة: قوله. ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ . وهذا كالتعليل والسبب الموجب لقولهم ﴿ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ .

الحجة الرابعة: أن من المعلوم أنه ليس كل ما فى الجنة من الثمار قد رزقوه فى الدنيا وكثير من أهلها لا يعرفون ثمار الدنيا ولا رأوها، ورجحت طائفة منها ابن جرير وغيره القول الآخر، واحتجت بوجوه. قال ابن جرير: والذى يحقق صحة قول القائلين: أن معنى ذلك هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا أن الله جل ثناؤه قال: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ﴾ يقولون: هذا الذى رزقنا من قبل، ولم يخصص أن ذلك من قيلهم فى بعض دون بعض.

فإن كان قد أخبر جل ذكره عنهم أن ذلك من قيلهم كلما رزقوا ثمرة، فلاشك أن ذلك من قيلهم فى أول رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة واستقرارهم فيها، الذى لم يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة، فإذا كان لاشك أن ذلك من قيلهم فى أوله كما هو من قيلهم فى وسطه وما يتلوه، فمعلوم أنه محال أن يقولوا لأول رزق رزقوه من ثمار الجنة: هذا الذى رزقنا من قبل هذا من ثمار الجنة، وكيف يجوز أن يقولوا لأول رزق رزقه من ثمارها، ولما يتقدمه عندهم غيره منها هذا هو الذى رزقنا من قبل، إلا أن ينسبهم ذو غية وضلال إلى قيل الكذب، الذى قد طهرهم الله منه أو يدفع دافع أن يكون ذلك من قيلهم لأول: رزق يرزقونه من ثمارها فيدفع صحة ما أوجب الله صحته من غير نصب، دلالة على أن ذلك فى حال من أحوالهم دون حال، فقد تبين أن معنى الآية كلما رزقوا من ثمرة من ثمار الجنة فى الجنة رزقاً، قالوا: هذا الذى رزقنا من قبل هذا فى الدنيا.

قلت: أصحاب القول الأول يخصون هذا العام بما عدا الرزق الأول، لدلالة العقل والسياق عليه، وليس هذا ببدع من طريقة القرآن، وأنت مضطر إلى تخصيصه ولابد بأنواع من التخصيصات.

أحدها: أن كثيراً من ثمار الجنة وهى التى لا نظير لها فى الدنيا، لا يقال فيها ذلك.

الثانى: أن كثيراً من أهلها لم يرزقوا جميع ثمرات الدنيا التى لها نظير فى الجنة.

الثالث: أنه من المعلوم أنهم لا يستمرون على هذا القول أبد الآباد كلما أكلوا ثمرة واحدة قالوا: هذا الذى رزقناه فى الدنيا، ويستمرون على هذا الكلام دائماً إلى غير نهاية، والقرآن العظيم لم يقصد إلى هذا المعنى، ولا هو مما يعتنى به من نعيمهم ولذتهم، وإنما هو كلام مبين خارج على المعتاد المفهوم من المخاطب.

ومعناه: أنه يشبه بعضه بعضاً ليس أوله خيراً من آخره. ولا هو مما يعرض له ما يعرض لثمر الدنيا عند تقادم الشجر وكبرها من نقصان حملها وصغر ثمارها وغير ذلك، بل أوله مثل آخره وآخره مثل أوله، وهو خيار كله يشبه بعضه بعضاً. فهذا وجه قولهم ولا يلزم مخالفة ما نصه الله سبحانه وتعالى ولا نسبة أهل الجنة إلى الكذب بوجه. والذى يلزمهم من التخصيص يلزمك نظيره وأكثر منه. والله أعلم.

وأما قوله عز وجل ﴿**وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا**﴾فقال الحسن: خيار كله لا رذل فيه ألم تروا إلى ثمر الدنيا كيف يسترذلون بعضه، وأن ذلك ليس فيه رذل؟ وقال قتادة: خيار لا رذل فيه. فإن ثمر الدنيا ينقى منها ويرذل منها. وكذلك قال ابن جريج وجماعة. وعلى هذا فالمراد بالمتشابه المتوافق والمتماثل.

وقالت طائفة أخرى، منهم ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب رسول الله ﷺ: متشابهاً في اللون والمرأى، وليس يشبه الطعمُ الطعمَ، قال مجاهد: متشابهاً لونه مختلفاً طعمه. وكذلك قال الربيع بن أنس. وقال يحيى بن أبي كثير: «عشب الجنة الزعفران، وكثبانها المسك، ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ثم يأتونهم بمثلها، فيقولون: هذا الذى جئتمونا به آنفاً. فيقول لهم الخدم: كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف. فهو قوله عز وجل: ﴿ **كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا** ﴾ (البقرة:25).

وقالت طائفة: معنى الآية أنه يشبه ثمر الدنيا، غير أن ثمر الجنة أفضل وأطيب.

قال ابن وهب: قال عبد الرحمن بن زيد: يعرفون أسماءهم، كما كانوا في الدنيا، التفاح بالتفاح، والرمان بالرمان، قالوا في الجنة: هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً يعرفونه، وليس هو مثله في الطعم، واختار ابن جرير هذا القول قال: وقد دللنا على فساد قول من قال إن معنى الآية هذا الذى رزقنا من قبل أي في الجنة، وتلك الدلالة على فساد ذلك القول هي الدلالة على فساد قول من خالف قولنا في تأويل قوله: ﴿ **وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا** ﴾. أن الله سبحانه وتعالى أخبر عن المعنى الذى من أجله قال القوم: هذا الذى رزقنا من قبل ﴿ **وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا** ﴾.

قلت: وهذا لا يدل على فساد قولهم لما تقدم وقال: ﴿ **جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ** ﴾ (ص:50-51) وقال تعالى: ﴿ **يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ** ﴾ (الدخان:55) وهذا يدل على أمنهم من انقطاعها ومضرتها، وقال تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ** ﴾ (الزخرف:72،73) وقال تعالى: ﴿ **وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ** ﴾ (الواقعة:32-33) أي لا تكون في وقت دون وقت، ولا تمنع من أرادها، وقال تعالى: ﴿ **فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ** ﴾ (الحاقة:21-23) والقطوف: جمع قطف وهو ما يقطف، والقطف - بالفتح - الفعل، أي ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها فيأخذها كيف يشاء، قال البراء بن عازب: يتناول الثمرة وهو نائم، وقال تعالى: ﴿ **وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا** ﴾ (الإنسان:14). قال ابن عباس: إذا همَّ أن يتناول من ثمارها نزلت إليه حتى يتناول ما يريد، وقال غيره: قربت إليهم مذللة كيف شاءوا فهم يتناولونها قياماً وقعوداً ومضطجعين، فيكون كقوله: ﴿ **قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ** ﴾. ومعنى تذليل

القطف: تسهيل تناوله، وأهل المدينة يقولون: ذلِّل النخل، أى سَوِّ عذوقه وأخرجها من السعف حتى يسهل تناولها، وفى نصب ﴿دَانِيَةٌ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه على الحال عطفاً على قوله متكئين.

والثانى: أنه صفة لجنة، وقال تعالى: ﴿**فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ**﴾ وفى الجنتين الأخريين ﴿**فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ**﴾ وخص النخل والرمان من بين الفاكهة بالذكر لفضلهما وشرفهما، كما نص على حدائق النخل والأعناب فى سورة النبأ، إذ هما من أفضل أنواع الفاكهة وأطيبها وأحلاها. وقد قال تعالى: ﴿**وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ**﴾ (محمد:15).

وقال الطبرانى: حدثنا معاذ بن المثنى، حدثنا على بن المدينى، حدثنا ريحان بن سعيد عن عباد بن منصور عن أيوب عن أبى قلابة عن عن أبى أسماء عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى**»[1] وقال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنى عقبة بن مكرم العمى حدثنا ربعى بن إبراهيم بن علية، حدثنا عوف عن قسامة بن زهير عن أبى موسى قال: قال رسول الله ﷺ : «**أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة، وعلمه صنعة كل شىء وزوده من ثمار الجنة، فثمارهم هذه من ثمار الجنة، غير أنها تغير وتلك لا تغير**»[2] وقد تقدم أن سدرة المنتهى نبقها مثل القلال.

وفى صحيح مسلم[3] من حديث أبى الزبير عن جابر عن النبى ﷺ قال: «**عرضت علىَّ الجنة حتى لو تناولت منها قطفاً أخذته**» وفى لفظ: «**فتناولت منها قطفاً فقصرت عنه يدى**» وقال أبو خيثمة: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا عبيد الله، بن عمرو الرقى حدثنا ابن عقيل عن جابر قال: «بينما نحن فى صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا، ثم تناول شيئاً ليأخذه ثم تأخر، فلما قضى الصلاة قال له أبى بن كعب: يا رسول الله، صنعت اليوم فى الصلاة شيئاً ما

---

(1) أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (2/ 102/ 1449)، وفيه عن أبى قلابة عن أبى أسماء عن ثوبان، والحديث فى «المجمع» (10/ 414) وقال: «رواه الطبرانى والبزار إلا أنه قال: عيد فى مكانها مثلاها، ورجال الطبرانى وأحد إسنادى البزار ثقات. وريحان صدوق ربما أخطأ. وعباد مدلس وقد عنعن. والحديث بلفظه فى كنز العمال (39288).

(2) بهذا اللفظ فى كنز العمال (35323)، وأخرجه الحاكم فى «المستدرك» (2/ 592) رقم (3996)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وقال الهيثمى: «رواه البزار والطبرانى ورجاله ثقات».

(3) **صحيح:** أخرجه مسلم (904) الكسوف، وأحمد (14600).

كنت تصنعه؟ قال: **إنه عرضت عليّ الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفاً من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه**».

وقال ابن المبارك: أنبأنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «ثمر الجنة أمثال القلال والدلاء، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيه عجم».

وقال سعيد بن منصور: حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: «إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياماً، وقعوداً، ومضطجعين على أي حال شاءوا».

وقال البزار في مسنده: حدثنا أحمد بن الفرج الحمصي، حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير ابن دينار الحمصي، حدثنا محمد بن المهاجر عن الضحاك المعافري عن سليمان بن موسى قال: حدثنا كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ : «**ألا مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة في مقام أبد في دار سليمة، فاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة غالية بهية**، قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها، قال: **قولوا إن شاء الله، قال القوم: إن شاء الله**»[1] قال البزار: هذا الحديث لا نعلم من رواه عن النبي ﷺ إلا أسامة، ولا نعلم له طريقاً عن أسامة إلا هذا الطريق، ولا نعلم رواه عن الضحاك المعافري إلا هذا الرجل محمد بن مهاجر.

وفي حديث لقيط بن صبرة الذي رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه وغيره «قلت: يا رسول الله على ما نطلع من الجنة؟ قال: **على أنهار من عسل مصفى، وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن وبفاكهة لعمر إلهك مما تعلمون وخير من مثله معه، وأما الريحان فهو كل نبت طيب الرائحة**»[3] قال الحسن وأبو العالية: هو ريحاننا هذا يؤتى بغصن من ريحان الجنة فنشمه.

---

(1) ضعيف: انظر ضعيف الجامع (2180).

(2) إسناده ضعيف: سبق تخريجه ص (124).

الباب السادس والأربعون

فـى زرع الجـنـة

قال تعالى: ﴿**وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ**﴾ (الزخرف:71). وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ كان يوماً يحدث وعنده رجل من أهل البادية: «**أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه عز وجل فى الزرع فقال له: أو لست فيما اشتهيت؟ فقال: بلى، ولكنى أحب أن أزرع فأسرع، وبذر، فبادر الطرف نباته واستواؤه، واستحصاده، وتكويره أمثال الجبال، فيقول الله عز وجل: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يشبعك شىء** فقال الأعرابى: يا رسول الله، لا نجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً، فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله ﷺ». رواه البخارى فى كتاب التوحيد فى باب كلام الرب تعالى مع أهل الجنة وخرجه فى غيره أيضاً.

وهذا يدل على أن فى الجنة زرعاً وذلك البذر منه، وهذا أحسن أن تكون الأرض معمورة بالشجر والزرع.

فإن قيل: فكيف استأذن هذا الرجل ربه فى الزرع فأخبره أنه فى غنية عنه.

قيل: لعله استأذن فى زرع يباشره ويزرعه بيده، وقد كان فى غنية عن ذلك، وقد كفى مؤونته، ولا أعلم ذكر الزرع فى الجنة إلا فى هذا الحديث. والله أعلم.

وروى إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة قال: «بينما رجل فى الجنة، فقال فى نفسه: لو أن الله يأذن لى لزرعت، فلا يعلم إلا والملائكة على أبوابه فيقولون: سلام عليك يقول لك ربك: تمنيت فى نفسك شيئاً فقد علمته، وقد بعث الله معنا البذر فيقول: ابذروا، فيخرج أمثال الجبال فيقول له الرب من فوق عرشه: كل يا ابن آدم، فإن ابن آدم لا يشبع» والله أعلم.

الباب السابع والأربعون

فى ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها الذى تجرى عليه

وقد تكرر فى القرآن فى عدة مواضع قوله تعالى: ﴿**جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**﴾ ، وفى موضع: ﴿**تَجْرِى تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**﴾ ، وفى موضع: ﴿**تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ**﴾ وهذا يدل على أمور:

أحدها: وجود الأنهار فيها حقيقة.

الثانى: أنها جارية لا واقفة.

الثالث: أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو المعهود فى أنهار الدنيا، وقد ظن بعض المفسرين أن معنى ذلك جريانها بأمرهم وتصريفهم لها كيف شاؤوا، وكأن الذى حملهم على ذلك أنه لما سمعوا أن أنهارها تجرى فى غير أخدود، فهى جارية على وجه الأرض حملوا قوله: ﴿**تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**﴾ على أنها تجرى بأمرهم، إذ لا يكون فوق المكان تحته، وهؤلاء أوتوا من ضعف الفهم، فإن أنهار الجنة ـ وإن جرت فى غير أخدود ـ فهى تحت القصور والمنازل والغرف وتحت الأشجار، وهو سبحانه لم يقل: من تحت أرضها، وقد أخبر سبحانه عن جريان الأنهار تحت الناس فى الدنيا فقال: ﴿**أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِى الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ**﴾ (الأنعام:6) فهذا على المعهود المتعارف، وكذلك ما حكاه من قول فرعون: ﴿**الأَنْهَارُ تَجْرِى مِن تَحْتِى**﴾ (الزخرف:51).

وقال تعالى: ﴿**فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ**﴾ قال ابن ابى شيبة: حدثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد قال: «نضاختان بالماء والفواكه»، وحدثنا ابن يمان عن أبى إسحاق عن أبان عن أنس قال: نضاختان بالمسك والعنبر ينضخان على دور أهل الجنة، كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا، وحدثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن أبى إسحاق عن البراء قال: اللتان تجريان أفضل من النضاختين، وقال تعالى: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ**﴾ (محمد:15).

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها الآفة التى تعرض له فى الدنيا، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصاً، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافى للذة شربها. وآفة العسل عدم تصفيته.

وهذه من آيات الرب تعالى أن يجرى أنهاراً من أجناس لم تجر العادة فى الدنيا بإجرائها ويجريها فى غير أخدود، وينفى عنها الآفات التى تمنع كمال اللذة بها كما نفى عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع والغول واللغو والإنزاف وعدم اللذة، فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا يغتال العقل ويكثر اللغو على شربها، بل لا يطيب لشرابها ذلك إلا باللغو، وتنزف المال، وتصدع الرأس، وهى كريهة المذاق، وهى رجس من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصد عن ذكر اللّه وعن الصلاة، وتدعو إلى الزنا، وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم، وتذهب الغيرة، وتورث الخزى والندامة والفضيحة، وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم المجانين، وتسلبه أحسن الأسماء والسمات، وتكسوه أقبح الأسماء والصفات، وتسهل قتل النفس وإفشاء السر الذى فى إفشائه مضرته أو إهلاكه، ومؤاخاة الشياطين فى تبذير المال الذى جعله اللّه قياماً له ولمن تلزمه مؤنته، وتهتك الأستار، وتظهر الأسرار، وتدل على العورات، وتهوّن ارتكاب القبائح والمآثم، وتخرج من القلب تعظيم المحارم، ومدمنها كعابد وثن، وكم أهاجت من حرب وأفقرت من غنى، وأذلت من عزيز، ووضعت من شريف، وسلبت من نعمة وجلبت من نقمة، ونسخت مودة، ونسجت عداوة، وكم فرقت بين رجل وحبه فذهبت بقلبه وراحت بلبه، وكم أورثت من حسرة، وأجرت من عَبْرة، وكم أغلقت فى وجه شاربها باباً من الخير، وفتحت له باباً من الشر، وكم أوقعت فى بلية وعجلت من منية، وكم أورثت من خزية، وجرت على شاربها من محنة وجرت عليه من سفلة، فهى جماع الإثم، ومفتاح الشر، وسلاَّبة النعم، وجالبة النقم، ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هى وخمرة الجنة فى جوف عبد، كما ثبت عنه ﷺ أنه قال: **«من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة»**(1) لكفى. وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرنا وكلها منتفية عن خمر الجنة.

فإن قيل: فقد وصف سبحانه الأنهار بأنها جارية، ومعلوم أن الماء الجارى لا يأسن، فما فائدة قوله: غير آسن؟

قيل: الماء الجارى وإن كان لا يأسن، فإنه إذا أخذ منه شيء وطال مكثه أسن، وماء الجنة لا يعرض له ذلك، ولو طال مكثه ما طال.

فتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التى هى أفضل أشربة الناس، فهذا لشربهم وطهورهم، وهذا لقُوتهم وغذائهم، وهذا للذتهم وسرورهم، وهذا لشفائهم ومنفعتهم. والله أعلم.

(1) صحيح: أخرجه ابن ماجه (3374)، وصححه الألبانى، وانظر الصحيحة (384).

فصل
مـن أنهـار الجنـة

وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها، ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها، كما روى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: **«إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله عز وجل للمجاهدين فى سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»**. (1)

وروى الترمذى نحوه من حديث معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت، ولفظ حديث عبادة: **«الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام، والفردوس أعلاها درجة، ومنها الأنهار الأربعة والعرش فوقها: فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى»**. (2)

وفى المعجم للطبرانى من حديث الحسن عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«الفردوس ربوة الجنة وأعلاها وأوسطها، ومنها تفجر أنهار الجنة»**. (3)

وفى صحيح البخارى من حديث شعبة عن قتادة قال: أخبرنى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: **«رفعتُ إلى سدرة المنتهى فى السماء السابعة، نبقها مثل قلال هجر، وورقها مثل آذان الفيلة، ويخرج من أصلها نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت: يا جبريل، ما هذا؟ قال: أما النهران الباطنان ففى الجنة، وأما النهران الظاهران فالنيل والفرات»**. (4)

وفى صحيحه أيضاً من حديث همام عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: **«بينا أنا أسير فى الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاك ربك، قال: فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر»**. (5)

وفى صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: **«الكوثر نهر فى الجنة وعدنيه ربى عز وجل»**(6) وقال محمد بن عبد الله الأنصارى: حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **دخلت الجنة فإذا بنهر يجرى حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت يدى إلى ما يجرى فيه من الماء فإذا أنا بمسك أذفر. فقلت: لمن هذا**

(1) صحيح: أخرجه البخارى (2790)، وهو فى صحيح الجامع (2126).
(2) صحيح: أخرجه الترمذى (2531)، وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى، وصحيح الجامع (3121).
(3) صحيح: أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (7/ 213/ 6886)، ومسند الشاميين (2650)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع.
(4) صحيح: أخرجه البخارى (5610) الأشربة. (5) صحيح: أخرجه البخارى (6581) الرقاق.
(6) صحيح: أخرجه مسلم (400) الصلاة.

يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاكه الله عز وجل». (1)

وقال الترمذى: حدثنا هناد، حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : «**الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج**»(2) قال: هذا حديث حسن صحيح، وقال أبو نعيم الفضل: حدثنا أبو جعفر هو الرازى، حدثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ (الكوثر:1) قال: الخير الكثير. وقال أنس بن مالك: نهر فى الجنة، وقالت عائشة: هو نهر فى الجنة ليس أحد يدخل إصبعيه فى أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر، وهذا معناه والله أعلم: أن خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذى يسمعه حين يدخل إصبعيه فى أذنيه.

وفى جامع الترمذى من حديث الجريرى عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبى ﷺ قال: «**إن فى الجنة بحر الماء، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار بعد**»(3) قال: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: حدثنا الأصم، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا ابن ثوبان، عن عطاء بن قرة، عن عبد الله بن ضمرة، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**من سره أن يسقيه الله عز وجل من الخمر فى الآخرة فليتركها فى الدنيا، ومن سره أن يكسوه الله الحرير فى الآخرة فليتركه فى الدنيا، أنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك، ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحليه أهل الدنيا جميعاً فكان ما يحليه الله به فى الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعاً**».

وذكر الأعمش عن عمرو بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال: «**إن أنهار الجنة تفجر من جبل مسك**» وهذا موقوف صحيح. وذكر ابن مردويه فى مسنده: حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم، حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا الحارث بن عبيد، حدثنا أبو عمران الجونى عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : «**هذه الأنهار تشخب من جنة عدن فى جوبة، ثم تصدع بعدُ أنهاراً**». (4)

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنى يعقوب بن عبيدة، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا الجريرى عن

---

(1) **صحيح**: أخرجه أحمد (13711) شاكر، وأبو يعلى (12172) من طريق حميد عن أنس وفى صحيح الجامع (3365)، والبخارى نحوه (6581) الرقاق عن قتادة عن أنس.

(2) **صحيح**: أخرجه الترمذى (3361)، وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى.

(3) **صحيح**: أخرجه الترمذى (2571)، وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى.

(4) **ضعيف**: انظر ضعيف الجامع للألبانى (2635).

معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال: «أظنكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود فى الأرض؟ لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض إحدى حافتيها اللؤلؤ والأخرى الياقوت، وطينه المسك الأذفر، قلت: ما الأذفر؟ قال: الذى لا خلط له»[1] ورواه ابن مردويه فى تفسيره عن محمد بن أحمد حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى، حدثنا مهدى بن حكيم، حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا الجريرى عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ فذكره هكذا رواه مرفوعاً. [2]

وقال أبو خيثمة: حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أنه قرأ هذه الآية ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ فقال رسول الله ﷺ: «**أعطيت الكوثر فإذا هو يجرى ولم يشق شقاً، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ، فضربت بيدى إلى تربته فإذا مسك أذفر، وإذا حصباؤه اللؤلؤ**». [3]

وذكر سفيان الثورى[4] عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن مسروق فى قوله تعالى: ﴿**وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ**﴾ قال: أنهار تجرى فى غير أخدود قال: ﴿**وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ**﴾ قال: من أصلها إلى فرعها أو كلمة نحوها. وفى صحيح مسلم[5] من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيحان وجيحان والفرات والنيل كلٌّ من أنهار الجنة**». وقال عثمان بن سعيد الدارمى: حدثنا سعيد بن سابق، حدثنا مسلمة بن على عن مقاتل بن حيان عن عكرمة، عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «**أنزل الله من الجنة خمسة أنهار: سيحون وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات وهما نهرا العراق، والنيل وهو نهر مصر، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة، من أسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل عليه السلام، فاستودعها الجبال وأجراها فى الأرض، وجعل فيها منافع للناس فى**

---

(1) **صحيح موقوفاً**: قال الألبانى -رحمه الله-: [إسناد ابن أبى الدنيا صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير يعقوب بن عبيد -وهو النهرتيرى- قال ابن أبى حاتم (4/ 2/ 210): «سمعت منه مع أبى، وهو صدوق به. وله ترجمة فى «تاريخ بغداد» (14/ 280): وقد خالفه مهدى بن حكيم فرواه عن يزيد بن هارون به مرفوعاً عند ابن مردويه ومهدى هذا لم أجد له ترجمة، ولكن الموقوف صحيح كما رأيت وهو فى حكم المرفوع لأنه لا يقال من قبل الرأى، وقد صح مرفوعاً - يعنى حديث (2513)-] وانظر الصحيحة (6/ 1/ 48).

(2) **ضعيف**: ضعفه الألبانى مرفوعاً لجهالة مهدى بن حكيم، والحديث صحيح موقوفاً على أنس، وانظر تخريج ما قبله، و«الصحيحة» (6/ 1/ 48).

(3) **صحيح**: أخرجه ابن أبى الدنيا «صفة الجنة» (74)، وأخرجه أحمد، وأخرجه أحمد (13512) عن عفان عن حماد عن ثابت عن أنس، وأخرجه أحمد (12481) وفيه زيادة: «فإذا هو نهر يجرى كذا على وجه الأرض» من طريق عبد الصمد حدثنا حماد، وأخرجه ابن حبان (6437) من طريق هدبة بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة. وقال الألبانى: «وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم»، وانظر الصحيحة (2513).

(4) **إسناده مقطوع صحيح**: انظر الصحيحة للألبانى (6/ 1/ 48).

(5) **صحيح**: أخرجه مسلم (2839) الجنة وصفة نعيمها، وأحمد (7873) و (9637).

أصناف معايشهم، فذلك قوله: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ (المؤمنون: 18). فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل جبريل فرفع من الأرض القرآن، والعلم كله، والحجر الأسود من ركن البيت، ومقام إبراهيم، وتابوت موسى بما فيه، وهذه الأنهار الخمسة فرفع ذلك كله إلى السماء، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض، فقد حرم أهلها خير الدنيا والآخرة» رواه أبو أحمد بن عدى فى ترجمة مسلمة، هذا مع أحاديث غيره، وقال: عامة أحاديثه غير محفوظة، وبالجملة فهو من الضعفاء، قال البخارى: منكر الحديث، وقال النسائى: متروك، وقال أبو حاتم: لا تشتغل به.

وقال عبد الله بن وهب: حدثنا سعيد بن أبى أيوب عن عقيل بن خالد عن الزهرى أن ابن عباس قال: «إن فى الجنة نهراً يقال له: البيدخ، عليه قباب من ياقوت تحته جَوار. يقول أهل الجنة: انطلق بنا إلى البيدخ فيتصفحون تلك الجوارى، فإذا أعجب رجلاً منهم جارية مس معصمها فتتبعه».

فصل

من عيون الجنة

وأما العيون فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ (الإنسان: 5، 6)، قال بعض السلف: معهم قضبان الذهب حيثما مالوا مالت معهم، وقد اختلف فى قوله يشرب بها.

فقال الكوفيون: الباء بمعنى من، أى يشرب منها. وقال آخرون: بل الفعل مضمن معنى يشرب بها. أى يروى بها، فلما ضمّنه معناه، عدّاه تعديته، وهذا أصح وألطف وأبلغ. وقالت طائفة: الباء للظرفية فيه والعين اسم مكان، كما تقول: كنا بمكان كذا وكذا، ونظير هذا التضمين قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾ ضمن معنى به فعدى تعديته، وقال تعالى: ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ۝ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴾ (الإنسان: 17، 18) فأخبر سبحانه عن العين التى يشرب بها المقربون صرفاً أن شراب الأبرار يمزج منها، لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم، وهؤلاء مزجوا فمزج شرابهم، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (المطففين: 22 ـ 28).

فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين؟ بالكافور فى أول السورة، والزنجبيل فى آخرها، فإن

فى الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفى الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة، وما يحدث لهم باجتماع الشرابين. ويجيء أحدهما على إثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراد، ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما ألطف موقع ذكر الكافور فى أول السورة، والزنجبيل فى آخرها، فإن شرابهم مزج أولاً بالكافور، وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله.

والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى، وأنهما نوعان لذيذان من الشراب. أحدهما: مزج بكافور. والثانى: مزج بزنجبيل: وأيضاً فإنه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور وبرده فى مقابلة ما وصفهم به من حرارة الجوف، والإيثار، والصبر، والوفاء بجميع الواجبات التى نبه بوفائهم بأضعفها، وهو ما أوجبوه على أنفسهم بالنذر على الوفاء بأعلاها، وهو ما أوجبه الله عليهم. ولهذا قال: ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ﴾ (الإنسان:12)، فإن فى الصبر من الخشونة وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى أن يكون فى جزائهم من سعة الجنة، ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة، وجمع لهم بين النضرة والسرور، هذا جمال ظواهرهم، وهذا جمال بواطنهم، كما جملوا فى الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام، وبواطنهم بحقائق الإيمان، ونظير قوله تعالى فى آخر السورة: ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ (الإنسان:21) فهذه زينة الظاهر، ثم قال: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُوراً ﴾ فهذه زينة الباطن المطهر لهم من كل أذى ونقص.

ونظيره قوله تعالى لأبيهم آدم عليه السلام: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ (118) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ ﴾ (طه:118،119) فضمن له أن لا يصيبه ذل الباطن بالجوع، ولا ذل الظاهر بالعرى، وأن لا يناله حر الباطن بالظمأ، ولا حر الظاهر بالضحى.

ونظير هذا ما عدَّده على عباده من نعمه أنه أنزل عليهم لباساً يوارى سوآتهم، ويزين ظواهرهم، ولباساً آخر يزين بواطنهم وقلوبهم وهو لباس التقوى، وأخبر أنه خير اللباسين، وقريب من هذا إخباره أنه زين السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظها من كل شيطان مارد، فزين ظاهرها بالنجوم وباطنها بالحراسة، وقريب منه أمره من أراد الحج بالزاد الظاهر، ثم أخبر أن خير الزاد الزاد الباطن وهو التقوى، وقريب منه قول امرأة العزيز عن يوسف: ﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾ فأرتهن حسنه وجماله، ثم قالت: ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ (يوسف:32). فأخبرتهن بجمال باطنه وزينته بالعفة، وهذا كثير فى القرآن لمتأمله.

الباب الثامن والأربعون

في ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ۝٤١ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝٤٢ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (المرسلات:41-43)، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (الحاقة:19-24). وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الزخرف:72)، وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ (الرعد:35) وقال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢٢ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ (الطور:22-23) وقال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين:25-26).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأكل أهل الجنة ويشربون، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، ولا يبولون، طعامهم ذلك جشاء كريح المسك، يلهمون التسبيح والحمد كما تلهمون النفس**»، ورواه أيضاً من رواية طلحة بن نافع عن جابر وفيه: «قالوا: فما بال الطعام؟ قال: **جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد**». (1)

وفي المسند وسنن النسائي بإسناد صحيح على شرط الصحيح من حديث الأعمش، عن ثمامة بن عقبة عن زيد بن أرقم قال: «جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم، تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: **نعم، والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة**، قال: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى، قال: **تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه**». (2)

---

(1) صحيح: أخرجه مسلم (2835) صفة الجنة.

(2) صحيح: أخرجه أحمد (19165)، والدارمي (2825)، والنسائي «الكبرى» (6/ 454/ رقم 11478)، وابن حبان في صحيحه (7424)، والطبراني في «الأوسط» (2/ 202)، «الكبير» (5/ 178) رقم (5008)، وصححه الألباني في صحيح موارد الظمآن (2637).

ورواه الحاكم في صحيحه ولفظه: «أتى النبي ﷺ رجل من اليهود فقال: يا أبا القاسم، ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ ـ ويقول لأصحابه: إن أقر لي بهذا خصمته ـ فقال رسول الله ﷺ : **بلى والذي نفس محمد بيده، إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والشهوة والجماع**، فقال له اليهودي: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، فقال له رسول الله ﷺ : **حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك، فإذا البطن قد ضمر**». (1)

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله ابن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ : «**إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشوياً**».

وقد تقدم حديث أنس في قصة عبد الله بن سلام: في أول طعام يأكله أهل الجنة وشرابهم على أثره، وحديث أبي سعيد الخدري: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده نزلاً لأهل الجنة**». (2)

وقال الحاكم: أنبأنا الأصم، حدثنا إبراهيم بن منقذ، حدثنا إدريس بن يحيى، حدثني الفضل بن المختار عن عبيد الله بن موهب عن عصمة بن مالك الخطمي عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن في الجنة طيراً أمثال البخاتي**، فقال أبو بكر: إنها لناعمة يا رسول الله، قال: **أنعم منها من يأكلها، وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر**». (3)

قال الحاكم وأنبأنا الأصم، حدثنا يحيى بن أبي طالب، أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء، أنبأنا سعيد عن قتادة في قوله تعالى: ﴿**وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ**﴾ قال: ذكر لنا أن أبا بكر قال: «**يا رسول الله، إني لأرى طير الجنة ناعمة كما أن أهلها ناعمون، قال: من يأكلها أنعم منها، وإنها أمثال البخاتي وإني لأحتسب على الله أن تأكل منها يا أبا بكر**»، وبهذا الإسناد عن قتادة عن أبي أيوب رجل من أهل البصرة عن عبد الله بن عمرو في قوله تعالى: ﴿**يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ**﴾ (الزخرف:71)، **قال: يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب، كل صحفة منها فيها لون ليس في الأخرى**».

---

(1) بهذا اللفظ أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (7424) (16/ 444).

(2) **صحيح**: سبق تخريجه ص (141)، وهو في البخاري ومسلم.

(3) **ضعيف**: قال العلامة الألباني في «الصحيحة» (6/ 1/ 50): [الفضل هذا ضعيف جداً، قال أبو حاتم: «أحاديثه منكرة، يحدث بالأباطيل». وقد ساق له الذهبي طائفة من أحاديثه، وقال عقبها: فهذه أباطيل وعجائب». وقد ساقها ابن عدي أيضاً في «الكامل» (ق 323/ 2) ومنها هذا الحديث، ولكنه لم يذكر في إسناده حذيفة، وقال عقبها: «لا يرويها غير الفضل بن المختار، وبه تعرف، وعامتها مما لا يتابع عليه»].

وقال الدراوردي: حدثني ابن أخي ابن شهاب عن أبيه عبد الله بن مسلم أنه سمع أنس بن مالك يقول في الكوثر: قال رسول الله ﷺ : «**هو نهر أعطانيه ربي أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر**، فقال عمر بن الخطاب: إنها يا رسول الله لناعمة، فقال رسول الله ﷺ : **آكلها أنعم منها**»(1) تابعه إبراهيم بن سعد عن ابن أخي ابن شهاب، وقال: فقال أبو بكر بدل عمر.

وقال عثمان بن سعيد الدارمي: حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ**﴾ يقول: الخمر وقوله: ﴿**لا فِيهَا غَوْلٌ**﴾ يقول ليس فيها صداع، وفي قوله تعالى: ﴿**وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ**﴾ يقول: لا تذهب عقولهم، وقوله تعالى: ﴿**وَكَأْسًا دِهَاقًا**﴾ يقول ممتلئة، وقوله: ﴿**رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ**﴾ يقول: الخمر ختم بالمسك: وقال علقمة عن ابن مسعود: ﴿**خِتَامُهُ مِسْكٌ**﴾ قال: خلطه وليس بخاتم ثم يختم.

قلت: يريد ـ والله أعلم ـ أن آخره مسك يخالطه، فهو من الخاتمة وليس من الخاتم.

وقال زيد بن معاوية: سألت علقمة عن قوله تعالى: ﴿**خِتَامُهُ مِسْكٌ**﴾ فقرأ﴿**خِتَامُهُ مِسْكٌ**﴾ فقال لي: ليست خاتمه، ولكن اقرأها﴿**خِتَامُهُ مِسْكٌ**﴾ قال علقمة: ختامه: خلطه. ألم تر أن المرأة من نسائكم تقول للطيب: إن خلطه من مسك لكذا وكذا.

وذكر سعيد بن منصور: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق: الرحيق: الخمر، والمختوم يجدون عاقبتها طعم المسك. وبهذا الإسناد عن مسروق، عن عبد الله في قوله تعالى: ﴿**وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ**﴾ قال: يمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفاً. وكذلك قال ابن عباس: يشرب بها المقربون صرفاً، وتمزج لمن دونهم.

وقال مجاهد: ختامه مسك يقول طينه، وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير، ولفظ الآية أوضح منه، وكأنه والله أعلم، يريد ما يبقى في أسفل الإناء من الدردي.

وذكر الحاكم من حديث آدم: حدثنا شيبان عن جابر عن ابن سابط عن أبي الدرداء في قوله: ﴿**خِتَامُهُ مِسْكٌ**﴾ قال: هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم، لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها، لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها.

قال آدم: وحدثنا أبو شيبة عن عطاء قال: (التسنيم) اسم العين التي يمزج بها الخمر.

---

(1) **صحيح**: أخرجه أحمد (13239) عن الليث عن يزيد بن الهاد عن عبد الوهاب بن أبي بكر عن عبد الله ابن مسلم عن ابن شهاب عن أنس مرفوعاً، وهذا إسناد صحيح. ومن طريق آخر أخرجه الحاكم (2/ 537)، والترمذي (2542)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (2514).

وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم، أنبأنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله: ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾قال: هى المتتابعة الممتلئة. قال: وربما سمعت العباس يقول اسقنا وادهق لنا.

وقد تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾، وعلى قوله ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ۝ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴾(الإنسان:17، 18)، فقالت فرقة: سلسبيلاً جملة مركبة من فعل وفاعل، وسبيلاً منصوب على المفعول، أى سل سبيلاً إليها وليس هذا بشىء، وإنما السلسبيل كلمة مفردة وهى اسم للعين نفسها باعتبار صفتها، ولقد سعى قتادة ومجاهد فى اشتقاق اللفظة فقال قتادة: سَلسة لهم يصرفونها حيث شاءوا. وهذا من الاشتقاق الأكبر ؛ وقال مجاهد: سلسة السيل حديدة الجرية، وقال أبو العالية: والمقاتلان تسيل عليهم فى الطرق، وفى منازلهم، وهذا من سلاستها وحدة جريتها، وقال آخرون: معناها طيبة الطعم والمذاق. وقال أبو إسحاق: سلسبيل صفة لما كان فى غاية السلاسة، فسميت العين بذلك.

وقال ابن الأنبارى: الصواب فى سلسبيل: أنه صفة المْاء، وليس باسم للعين، واحتج على ذلك بحجتين، إحداهما: أن سلسبيلاً مصروف، ولو كان اسماً للعين لم يصرف للتأنيث والعلمية.

الثانية: أن ابن عباس قال: معناه أنها تنسل فى حلوقهم انسلالاً.

قلت: ولا حجة له فى واحدة منهما، أما الصرف فلاقتضاء رءوس الآى له كنظائره، وأما قول ابن عباس، فإنما يدل على أن العين سميت بذلك باعتبار صفة السلاسة والسهولة. فقد تضمنت هذه النصوص أن لهم فيها الخبز واللحم والفاكهة، والحلوى وأنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر، وليس فى الدنيا مما فى الآخرة إلا الأسماء، وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر. فإن قيل: فأين يشوى اللحم وليس فى الجنة نار؟ فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يشوى بـ (كن) وأجاب آخرون: بأنه يشوى خارج الجنة، ثم يؤتى به إليهم. والصواب: أنه يشوى فى الجنة بأسباب قدرها العزيز الحكيم لإنضاجه وإصلاحه، كما قدر هناك أسباباً لإنضاج الثمر والطعام، على أنه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح وتفسد شيئاً.

وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**مجامرهم الألوة**» والمجامر: جمع مجمر، وهو البخور الذى يتبخر بإحراقه، و «الألوة»: العود الطرى، فأخبر أنهم يتجمرون به أى يتبخرون بإحراقه، لتسطع لهم رائحته.

وقد أخبر سبحانه أنه في الجنة ظلال، والظلال لابد أن تفيء مما يقابلها فقال: ﴿ **هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ** ﴾ (يس:56)، وقال: ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ** ﴾ ، وقال: ﴿ **وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً** ﴾ ، فالأطعمة والحلوى والتجمر يستدعي أسباباً تتم بها. والله سبحانه خالق السبب والمسبب، وهو رب كل شيء ومليكه، لا إله إلا هو، وكذلك جعل لهم سبحانه أسباباً تصرف الطعام من الجشاء والعرق، الذي يفيض من جلودهم، فهذا سبب إخراجه، وذاك سبب إنضاجه، وكذلك يجعل في أجوافهم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويلطفه، ويهيئه لخروجه رشحاً وجشاء، وكذلك ما هناك من الفواكه والثمار يخلق لها من الحرارة ما ينضجها، ويجعل سبحانه أوراق الشجر ظلالاً، فرب الدنيا والآخرة واحد، وهو الخالق بالأسباب والحكم ما يجعله في الدنيا والآخرة، والأسباب مظهر أفعاله وحكمته، ولكنها تختلف ولهذا يقع التعجب من العبد لورود أفعاله سبحانه على أسباب غير الأسباب المعهودة المألوفة، وربما حمله ذلك على الإنكار والكفر، وذلك محض الجهل والظلم، وإلا فليست قدرته سبحانه وتعالى مقصرة عن أسباب أخر ومسببات ينشئها منها كما لم تقصر قدرته في هذا العالم المشهود عن أسبابه ومسبباته، وليس هذا بأهون عليه من ذلك.

ولعل النشأة الأولى التي أنشأها الرب سبحانه وتعالى فيها بالعيان والمشاهدة أعجب من النشأة الثانية التي وعدنا بها إذا تأملها اللبيب. ولعل إخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة، والماء والخشب والنور المناسب لها، أعجب عند العقل من إخراجها من بين تربة الجنة ومائها وهوائها.

ولعل إخراج هذه الأشربة التي هي غذاء ودواء وشراب ولذة من بين فرث ودم، ومن قيء ذباب أعجب من إجرائها أنهاراً في الجنة بأسباب أخر، ولعل إخراج جوهري الذهب والفضة في عروق الحجارة من الجبال وغيرها، أعجب من إنشائها هناك من أسباب أخر، ولعل إخراج الحرير من لعاب دود القز، وبنائها على أنفسها القباب البيض والحمر والصفر أحكم بناء، أعجب من إخراجه من أكمام تفتق عنه شجر هناك قد أودع فيها وأنشئ منها، ولعل جريان بحار الماء بين السماء والأرض على ظهور السحاب أعجب من جريانها في الجنة في غير أخدود.

وبالجملة: فتأمل آيات الله التي دعا عباده إلى التفكر فيها وجعلها آيات دالة على كمال قدرته وعلمه ومشيئته وحكمته وملكه، وعلى توحده بالربوبية والإلهية، ثم وازن بينها وبين ما أخبر به من أمر الآخرة والجنة والنار، تجد هذه أدل شيء على تلك، شاهدة لها، وتجدهما من مشكاة واحدة ورب واحد وخالق واحد، ومالك واحد. فبعداً لقوم لا يؤمنون.

الباب التاسع والأربعون

فى ذكر آنيتهم التى يأكلون فيها ويشربون وأجناسها وصفاتها

قال تعالى: ﴿**يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ**﴾ فالصحاف جمع صحفة، قال الكلبى: بقصاع من ذهب. وقال الليث: الصحفة قطعة مسلطحة عريضة، فالجمع: صحاف، قال الأعشى:

والمكاكيكُ والصِّحافُ منَ الفضـ ... ـة والضَّامرات تحت الرِّجال

وأما الأكواب فجمع كوب، قال الفراء: الكوب المستدير الرأس الذى لا أذن له. وأنشد لعدى:

مُتَّكِئاً تَصفقُ أبوابُه ... يَسْعَى عليه الغَيْدُ بالسَّكوبِ

وقال أبو عبيد: (الأكواب) الأباريق التى لا خراطيم لها. قال أبو إسحاق: واحدها كوب وهو إناء مستدير لا عروة له، وقال ابن عباس: هى الأباريق التى ليست لها آذان، وقال مقاتل: هى أوان مستديرة الرأس لها عُرَى.

وقال البخارى فى صحيحه: الأكواب: الأباريق التى لا خراطيم لها وقال تعالى: ﴿**يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ⑰ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ**﴾ (الواقعة:17-18) الأباريق هى الأكواب التى لها خراطيم، فإن لم يكن لها خراطيم ولا عُرَى فهى أكواب، وإبريق إفعيل من البريق، وهو الصفاء فهو الذى يبرق لونه من صفائه، ثم سمى كل ما كان على شكله إبريقاً وإن لم يكن صافياً. وأباريق الجنة من الفضة فى صفاء القوارير، يرى من ظاهرها ما فى باطنها. والعرب تسمى السيف إبريقاً لبريق لونه. ومنه قول ابن أحمر:

تعلقت إبريقاً وعلقت عجبة ... ليهلك حياً ذا زهاء وجامل

وفى نوادر اللحيانى: امرأة إبريق إذا كانت براقة، وقال تعالى: ﴿**وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ⑮ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا**﴾ (الإنسان:15-16) فالقوارير هى الزجاج، فأخبر سبحانه وتعالى عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة، وأنها بصفاء الزجاج وشفافته. وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها. وقطع سبحانه توهم كون تلك القوارير من زجاج فقال: ﴿**قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ**﴾.

قال مجاهد وقتادة ومقاتل والكلبى والشعبى: قوارير الجنة من الفضة فاجتمع لها بياض

الفضة وصفاء القوارير. قال ابن قتيبة: كل ما فى الجنة من الأنهار وسررها وفرشها وأكوابها مخالف لما فى الدنيا من صنعة العباد، كما قال ابن عباس: ليس فى الدنيا شىء مما فى الجنة إلا الأسماء، والأكواب فى الدنيا قد تكون من فضة ،وقد تكون من قوارير، فأعلمنا الله أن هناك أكواباً لها بياض الفضة وصفاء القوارير، قال: وهذا على التشبيه أراد قوارير كأنها من فضة، وهذا كقوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾، أى لهن ألوان المرجان فى صفاء الياقوت. وهذا مردود عليه فإن الآية صريحة أنها من فضة، و «من» ههنا لبيان الجنس كما تقول: خاتم من فضة، ولا يراد بذلك أنه يشبه الفضة، بل جنسه ومادته الفضة، ولعله أشكل عليه كونها من فضة وهى قوارير، وهو الزجاج وليس فى ذلك إشكال لما ذكرناه.

وقوله: ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ التقدير: جعل الشىء بقدر مخصوص، فقدرت الصناع هذه الآنية على قدر ريهم لا يزيد عليه ولا ينقص منه، وهذا أبلغ فى لذة الشارب، فلو نقص عن ريه لنقص التذاذه، ولو زاده حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسآمة من الباقى. هذا قول جماعة من المفسرين.

قال الفراء: قدروا الكأس على قدر رىّ أحدهم، لا فضل فيه ولا عجز عن ريه، وهو ألذ الشراب.

وقال الزجاج: جعلوا الإناء على قدر ما يحتاجون إليه ويريدونه.

وقال أبو عبيد: يكون التقدير الذين يسقون يقدرونها، ثم يسقون، يعنى: أن الضمير فى قدروا للملائكة والخدم قدروا الكأس على قدر الرى، فلا يزيد عليه فيثقل الكف ولا ينقص فتطلب النفس الزيادة كما تقدم، وقالت طائفة: الضمير يعود على الشاربين، أى قدروا فى أنفسهم شيئاً فجاءهم الأمر على حسب ما قدروه وأرادوه، وقول الجمهور أحسن وأبلغ، فهو مستلزم لهذا القول. والله أعلم.

وأما الكأس، فقال أبو عبيدة: هو الإناء بما فيه. وقال أبو إسحاق: الكأس الإناء إذا كان فيه خمر، ويقع الكأس لكل إناء مع شرابه. والمفسرون فسروا الكأس بالخمر، وهو قول عطاء والكلبى ومقاتل. حتى قال الضحاك: كل كأس فى القرآن فإنما عنى به الخمر. وهذا نظر منهم إلى المعنى المقصود، فإن المقصود ما فى الكأس لا الإناء نفسه. وأيضاً فإن من الأسماء ما يكون اسماً للحَالِّ والمحل مجتمعين ومنفردين كالنهر والكأس. فإن النهر اسم للماء ولمحله معاً. ولكل منهما على انفراده، وكذلك الكأس والقرية. ولهذا يجىء لفظ القرية مراداً به الساكن فقط والمسكن فقط والأمران معاً.

وقد أخرجا في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري: أن رسول الله ﷺ قال: «**جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**»(1) وفيهما أيضاً من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعاً في السماء**». (2)

وفي الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال: «**لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافهما: فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**»(3) وقال أبو يعلى الموصلي في مسنده: حدثنا شيبان حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا ثابت قال: قال أنس: «كان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا، فربما رأى الرجل الرؤيا فيسأل عنه إذا لم يكن يعرفه. فأثنى أثنى عليه معروفاً كان أعجب لرؤياه إليه، فأتته امرأة فقالت: يا رسول الله، رأيت كأني أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة فسمعت وجبة ارتجت لها الجنة فنظرت، فإذا فلان ابن فلان وفلان ابن فلان فسمت اثني عشر رجلاً -كان رسول الله ﷺ قد بعثهم سرية قبل ذلك- فجيء بهم، عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم فقيل: اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو البيرح. فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر فأتوا بصفحة من ذهب فيها بسرة، فأكلوا من بسره ما شاءوا فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا وأكلت معهم. فجاء البشير من تلك السرية فقال: أصيب فلان وفلان حتى عد اثني عشر رجلاً. فدعا رسول الله ﷺ المرأة. فقال: **قُصِّي رؤياك فقصتها، وجعلت تقول جيء بفلان وجيء بفلان كما قال**»(4) رواه الإمام أحمد في مسنده بنحوه، وإسناده على شرط مسلم.

(1) **صحيح**: أخرجه البخاري (4878) (7444)، ومسلم (180).

(2) سبق تخريجه ص 101 .

(3) **صحيح**: أخرجه البخاري (5426) الأطعمة (5633) الأشربة، ومسلم (2067).

(4) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (13632) حدثنا عفان حدثنا سليمان عن ثابت عن أنس مرفوعاً به وأخرجه أبو يعلى (3289)، وعنه ابن حبان في «صحيحه» (6054).

الباب الخمسون

فى ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم وفرشهم

وبسطهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيهم

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ** ﴾ (الدخان: 51 ـ 53) وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (٣٠) أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ** ﴾ (الكهف: 30، 31).

قال جماعة من المفسرين: السندس ما رقَّ من الديباج، والإستبرق: ما غلظ منه.

وقالت طائفة: ليس المراد به الغليظ، ولكن المراد به الصفيق.

وقال الزجاج: هما نوعان من الحرير، وأحسن الألوان الأخضر، وألين الملابس الحرير، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به، وبين نعومته والتذاذ الجسم به، وقال تعالى: ﴿ **وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ** ﴾.

وههنا مسألة هذا موضع ذكرها، وهى أن الله سبحانه وتعالى أخبر أن لباس أهل الجنة حرير، وصح عن النبى ﷺ أنه قال: «**من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة**»[1] متفق على صحته، من حديث عمر بن الخطاب وأنس بن مالك، وقد اختلف فى المراد بهذا الحديث، فقالت طائفة من السلف والخلف: إنه لا يلبس الحرير فى الجنة، ويلبس غيره من الملابس، قالوا: وأما قوله تعالى: ﴿ **وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ** ﴾ فمن العام المخصوص. وقال الجمهور: هذا من الوعيد الذى له حكم أمثاله من نصوص الوعيد، التى تدل على أن هذا الفعل مقتضٍ لهذا الحكم. وقد يتخلف عنه لمانع.

وقد دل النص والإجماع على أن التوبة مانعة من لحوق الوعيد، ويمنع من لحوقه أيضاً الحسنات الماحية والمصائب المكفرة ودعاء المسلمين، وشفاعة من أذن الله له فى الشفاعة فيه، وشفاعة أرحم الراحمين إلى نفسه، فهذا الحديث نظير الحديث الآخر: من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة. وقال تعالى: ﴿ **وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا** ﴾ (الإنسان: 12)

---

(1) صحيح: أخرجه البخارى (5832) اللباس، ومسلم (2073) اللباس والزينة عن أنس، وأخرجه البخارى (5834) اللباس، ومسلم (2069) عن عمر بن الخطاب.

وقال: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾(الإنسان:21) وتأمل ما دلت عليه لفظة (عاليهم) من كون ذلك اللباس ظاهراً بارزاً يجمل ظواهرهم، ليس بمنزلة الشعار الباطن، بل الذى يلبس فوق الثياب للزينة والجمال.

وقد اختلف القراء السبعة فى نصب (عاليهم) ورفعه على قراءتين. واختلف النحاة فى وجه نصبه هل هو على الظرف أو على الحال على قولين. واختلف المفسرون: هل ذلك للولدان الذين يطوفون عليهم، فيطوفون وعليهم ثياب السندس والإستبرق، أو للسادات الذين يطوف عليهم الولدان فيطوفون على ساداتهم، وعلى السادات هذه الثياب، وليس الحال ههنا بالبين ولا تحته ذلك المعنى البديع الرائع. فالصواب فيه أنه منصوب على الظرف فإن عالياً لما كان بمعنى فوق أُجرى مجراه، قال أبو عليّ: وهذا الوجه أبين وهو أن عالياً صفة فجُعل ظرفاً كما كان قوله: ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾كذلك وكما قالوا: هو ناحية من الدار. وأما من رفع (عاليهم) فعلى الابتداء وثياب سندس خبره، ولا يمنع من هذا إفراد عال، وجمع الثياب. فإن (فاعلاً) قد يراد به الكثرة كما قال:

ألا إنَّ جيرانى العشيةَ رائح دعتهم دواعٍ من هوىً ومَنادِح

قال تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾(المؤمنون:67) ومن رفع خضراً أجراه صفة للثياب، وهو الأقيس من وجوه:

أحدها: المطابقة بينهما فى الجمع.

الثانى: موافقته لقوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾.

الثالث: تخلصه من وصف المفرد بالجمع، ومن جر أجراه صفة للسندس على إرادة الجنس، كما يقال: أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض. وتترجح القراءة الأولى بوجه رابع أيضاً، وهو: أن العرب تجىء بالجمع الذى هو فى لفظ الواحد، فيُجرونه مجرى الواحد كقوله تعالى: ﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا﴾(يس:80) وكقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾(القمر:20)، فإذا كانوا قد أفردوا صفات هذا النوع من الجمع، فإفراد صفة الواحد، وإن كان فى معنى الجمع أولى.

وفى (إستبرق) قراءتان: الرفع عطفاً على ثياب، والجر عطفاً على سندس. وتأمل كيف جمع لهم بين نوعى الزينة الظاهرة من اللباس والحلى، كما جمع لهم بين الظاهرة والباطنة كما تقدم قريباً. فجمل البواطن بالشراب الطهور، والسواعد بالأساور، والأبدن بثياب الحرير. وقال

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (الحج: 23).

واختلفوا في جر (لؤلؤ) ونصبه، فمن نصبه ففيه وجهان:

أحدهما: أنه عطف على موضع قوله: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾.

والثاني: أنه منصوب بفعل محذوف دل عليه الأول، أي ويحلون لؤلؤاً.

ومن جره فهو عطف على الذهب، ثم يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون لهم أساور من ذهب وأساور من لؤلؤ.

ويحتمل أن تكون الأساور مركبة من الأمرين معاً: الذهب المرصع باللؤلؤ. والله أعلم بما أراد.

قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن رزق الله، حدثنا زيد بن الحباب قال: حدثني عتبة بن سعد قاضي الري عن جعفر بن أبي المغيرة عن شمر بن عطية عن كعب قال: «**إن الله عز وجل ملكاً منذ يوم خلق يصوغ حلي أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة، لو أن قلباً من حلي أهل الجنة أخرج لذهب بضوء شعاع الشمس: فلا تسألوا بعد هذا عن حلي أهل الجنة**»(1) حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير العنبري، حدثنا أبي عن أشعث عن الحسن قال: «الحلي في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء»(2) حدثنا أحمد بن منيع حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «**لو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس، كما تطمس الشمس ضوء النجوم**». (3)

وقال ابن وهب: حدثني ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبي هريرة قال: إن أبا أمامة حدث أن رسول الله ﷺ حدثهم وذكر حلي أهل الجنة فقال: «**مسورون بالذهب والفضة مكللون بالدر، عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة، وعليهم تاج كتاج الملوك، جرد مكحلون**». (4)

(1) أخرجه ابن أبي الدنيا «صفة الجنة» (218).

(2) أخرجه ابن أبي الدنيا «صفة الجنة» (219).

(3) **صحيح**: أخرجه أحمد (1449) عن الحسن عن ابن لهيعة، وأخرجه أحمد (1467) والترمذي (2538) من طريق ابن المبارك عن ابن لهيعة، وقال أبو عيسى: «هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من حديث ابن لهيعة»، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(4) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (267).

وقد أخرجا فى الصحيحين - والسياق لمسلم - عن أبى حازم قال: كنت خلف أبى هريرة وهو يتوضأ للصلاة، فكان يمد يده حتى تبلغ إبطه، فقلت: يا أبا هريرة ما هذا الوضوء ؟ فقال: يا بنى فروخ أنتم ههنا ؟ لو علمت أنكم ههنا ما توضأت هذا الوضوء، سمعت خليلى ﷺ يقول: «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**»[1] وقد احتج بهذا من يرى استحباب غسل العضد وإطالته، والصحيح أنه لا يستحب، وهو قول أهل المدينة، وعن أحمد روايتان، والحديث لا يدل على الإطالة. فإن الحلية إنما تكون زينة فى الساعد والمعصم لا فى العضد والكتف. وأما قوله «فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»[2] فهذه الزيادة مدرجة فى الحديث من كلام أبى هريرة، لا من النبى ﷺ، بين ذلك غير واحد من الحفاظ. وفى مسند الإمام أحمد فى هذا الحديث قال نعيم: فلا أدرى قوله «من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل» من تمام كلام النبى ﷺ أو شىء قاله أبو هريرة من عنده، وكان شيخنا يقول: هذه اللفظة لا يمكن أن تكون من كلام رسول الله ﷺ، فإن الغرة لا تكون فى اليد، لا تكون إلا فى الوجه، وإطالتها غير ممكنة إذ تدخل فى الرأس فلا يسمى ذلك غرة.

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، وفى الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»[3]. وقوله لا تبلى ثيابه: الظاهر أن المراد به الثياب المعينة لا يلحقها البلى، ويحتمل أن يراد به الجنس، بل لا تزال عليه الثياب الجدد، كما أنها لا ينقطع أكلها فى جنسه، بل كل مأكول يخلفه مأكول آخر والله أعلم.

قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرحمن بن مهدى، حدثنا محمد بن أبى الوضاح، حدثنا العلاء بن عبد الله بن رافع، حدثنا حبان بن خارجة عن عبد الله بن عمرو قال: «جاء أعرابى علوى جرىء فقال: يا رسول الله أخبرنا عن الهجرة: إليك أينما كنت، أو لقوم خاصة ؟ أم إلى أرض معلومة، أم إذا مت انقطعت ؟ فسأل ثلاث مرات ثم جلس، فسكت رسول الله ﷺ عنه يسيراً ثم قال: **أين السائل؟** فقال: ها هو ذا يا رسول الله، قال: **الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة، ثم أنت مهاجر وإن مت بالحضر**، فقام آخر فقال: يا رسول الله، أخبرنى عن ثياب أهل الجنة أتخلق خلقاً أم تنسج نسجاً؟ قال: فضحك بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ:

---

(1) صحيح: أخرجه البخارى (136) عن نعيم المجمر: «**إن أمتى يدعون يوم القيامة غراً محجلين، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل**»، ومسلم (250)، وأحمد (8623)، والنسائى (149) عن أبى حازم.

(2) صحيح: أخرجه البخارى (136) عن نعيم المجمر، وهو التخريج السابق بزيادة أبى هريرة، وأخرجه مسلم (246) الطهارة، وأحمد (8394) (10734).

(3) صحيح: أخرجه مسلم (2836) الجنة وصفة نعيمها.

تضحكون من جاهل يسأل عالماً !! فسكت النبي ﷺ ساعة ثم قال: **أين السائل عن ثياب أهل الجنة ؟** فقال: ها هو ذا يا رسول الله، قال: **لا، بل تشقق عنها ثمر الجنة**»[1] ثلاث مرات.

وقال الطبراني في معجمه: حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني والحسن بن علي الفسوي قالا: حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا فضيل بن مرزوق عن أبي إسحق عن عمرو بي ميمون عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «**أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء، لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين، على كل زوجة سبعون حلة، يرى مخ سوقهما من وراء لحومهما وحللهما، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء**»[2] وهذا الإسناد على شرط الصحيح.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا الخزرج بن عثمان السعدي، حدثنا أبو أيوب مولى لعثمان بن عفان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**قيد سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها**، قال: قلت يا أبا هريرة وما النصيف؟ قال: الخمار». [3]

وقال ابن وهب: أخبرنا عمرو أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول، ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد السلام، ويسألها من أنت ؟ فتقول أنا المزيد، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً أدناها مثل النعمان من طوبى، فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليها التيجان، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب**»[4] روى الترمذي ذكر التيجان: إن أدنى لؤلؤة عن سويد بن نصر عن رشدين بن سعد عن عمرو به.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن إدريس الحنظلي حدثنا أبو عتبة إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام الأسود قال: سمعت أبا أمامة يحدث

---

(1) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (7095)، وقال العلامة أحمد شاكر: «إسناده صحيح»، وانظر الصحيحة (4/ 640).

(2) **إسناده صحيح**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (10/ 160/ 10321)، وقال في «المجمع» (10/ 411/ 412) «وإسناد ابن مسعود صحيح».

(3) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (10219).

(4) أخرجه أحمد (11655)، وأبو يعلى في «مسنده» (1386)، ودراج قال فيه أحمد بن حنبل: حديثه منكر، وابن لهيعة: ما حديثه بحجة، وإني أكتبه أعتبر به.

عن رسول الله ﷺ قال: «**ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى، فتفتح له أكمامها فيأخذ من أى ذلك إن شاء أبيض، وإن شاء أحمر، وإن شاء أخضر، وإن شاء أصفر، وإن شاء أسود، مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن**». (1)

قال ابن أبى الدنيا: وحدثنا سويد بن سعيد حدثنا عبد ربه بن بارق الحنفى عن خالد الزميل أنه سمع أباه قال: «قلت لابن عباس: ما حلل الجنة؟ قال: فيها شجر فيها ثمر كأنه الرمان، فإذا أراد ولى الله كسوة انحدرت إليه غصنها، فانفلقت عن سبعين حلة ألواناً بعد ألوان، ثم تنطبق وترجع كما كانت».

قال: وحدثنا عبد الله حدثنا أبو خيثمة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنى دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبى سعيد عن رسول الله ﷺ أن رجلاً قال له: يا رسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك، قال: «**طوبى لمن رآنى وآمن بى، وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى**»، فقال له رجل: وما طوبى؟ قال: «**شجرة فى الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**».(2)

قال: وحدثنى يعقوب بن عبيد، حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا حماد بن سلمة عن أبى المهزم قال: قال أبو هريرة: «دار المؤمن فى الجنة لؤلؤة فيها شجرة تنبت الحلل فيأخذ الرجل بإصبعيه - وأشار بالسبابة والإبهام- سبعين حلة متمنطقة باللؤلؤ والمرجان». (3)

قال: وحدثنا حمزة بن العباس، حدثنا عبد الله بن عثمان، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد قال: قال كعب: «لو أن ثوباً من ثياب أهل الجنة لبس اليوم فى الدنيا لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم». (4)

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن بشر بن كعب أو غيره قال: «ذكر لنا أن الزوجة من أزواج الجنة لها سبعون حلة هى أرق من شقيقكم، يرى مخ ساقها من وراء اللحم».

وفى الصحيحين عن أنس بن مالك قال: «أهدى أكيدر دومة إلى النبى ﷺ جبة من سندس، فتعجب الناس من حسنها، فقال: لمناديل سعد فى الجنة أحسن من هذا». (5)

---

(1) **ضعيف**: انظر ضعيف الترغيب والترهيب للألبانى حديث رقم (2212).

(2) **صحيح**: أخرجه أحمد (11613)، وصححه الألبانى فى الصحيحة (1985)، وقد سبق

(3) **ضعيف جداً موقوف**: انظر ضعيف الترغيب والترهيب حديث رقم (2214).

(4) **ضعيف مقطوع**: انظر ضعيف الترغيب والترهيب للألبانى.

(5) **صحيح**: أخرجه البخارى (3249)، ومسلم (2468).

وفى الصحيحين أيضاً من حديث البراء قال: «أهدى لرسول الله ﷺ ثوب حرير، فجعلوا يعجبون من لينه، فقال رسول الله ﷺ: **تعجبون من هذا ؟! لمناديل سعد فى الجنة أحسن من هذا**». (1)

ولا يخفى ما فى ذكر سعد بن معاذ بخصوصه ههنا، فإنه كان فى الأنصار بمنزلة الصديق فى المهاجرين واهتز لموته العرش، وكان لا تأخذه فى الله لومة لائم، وختم الله له بالشهادة وآثر رضا الله ورسوله، على رضا قومه وعشيرته وحلفائه، ووافق حكمه الذى حكم به حكم الله فوق سبع سموات، ونعاه جبريل إلى النبى ﷺ يوم موته، فحق له أن تكون مناديله التى يمسح بها يديه فى الجنة أحسن من حلل الملوك.

فصل

ذكر البيهقى من حديث يعقوب بن حميد بن كاسب أنبأنا هشام بن سليمان عن عكرمة عن إسماعيل بن رافع عن سعيد المقبرى وزيد بن أسلم عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: «**من قرأ القرآن فقام به آناء الليل والنهار، ويحل حلاله ويحرم حرامه، خلطه الله بلحمه ودمه، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة، وإذا كان يوم القيامة كان القرآن له حجيجاً. فقال: يا رب كل عامل يعمل فى الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا. إلا فلاناً كان يقوم فى آناء الليل والنهار فيحل حلالى ويحرم حرامى يقول: يا رب. فأعطه. فيُتَوِّجه الله تاج الملوك ويكسوه من حلل الكرامة. ثم يقول: هل رضيت؟ فيقول: يا رب أرغب فى أفضل من هذا، فيعطيه الله الملك بيمينه والخلد بشماله ثم يقول له: هل رضيت ؟ فيقول: نعم يا رب**». (2)

وذكر الإمام أحمد فى المسند من حديث ابن بريدة عن أبيه يرفعه: «تعلموا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة، ثم سكت ساعة، ثم قال: تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان، وإنهما يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، والقرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفنى ؟ فيقول له: ما أعرفك، فيقول والقرآن: أنا الذى أظمأتك فى الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويُكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان: بم كسينا هذا؟

---

(1) **صحيح**: أخرجه البخارى (5836) اللباس، ومسلم (2468) فضائل الصحابة.

(2) أخرجه البيهقى «الشعب» (1991)، وراجع صحيح الجامع حديث رقم (8030)، وصحيح الترغيب والترهيب (1425).

فيقال: بأخذ.ولدكما القرآن، ثم يقال له اقرأ واصعد فى درج الجنة وغرفها فهو فى صعود ما دام يقرأ هذّاً كان أو ترتيلاً»[1] (البطلة) السحرة و (الغياية) ما أظل الإنسان فوقه.

وقال عبد الله بن وهب: أخبرنى عمرو بن الحارث عن أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ «تلا قوله عز وجل ﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ** ﴾ فقال: **إن عليهم التيجان وإن أدنى لؤلؤة منها لتضىء ما بين المشرق والمغرب**». [2]

فصل

فرشهم بطائنها من استبرق

وأما الفرش فقد قال تعالى: ﴿ **مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ** ﴾ (الرحمن: 54)، وقال تعالى: ﴿ **وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ** ﴾ فوصف الفرش بكونها مبطنة بالإستبرق، وهذا يدل على أمرين:

أحدهما: أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها، لأن بطائنها للأرض، وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة. قال سفيان الثورى عن أبى إسحاق عن أبى هبيرة ابن يريم عن عبد الله فى قوله: ﴿ **بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ** ﴾، قال: هذه البطائن قد خبرتم بها، فكيف بالظهائر؟

الثانى: يدل على أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة، وقد روى فى سمكها وارتفاعها آثار إن كانت محفوظة، فالمراد ارتفاع محلها. كما رواه الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم «فى قوله تعالى: ﴿ **وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ** ﴾ قال: **ارتفاعها كما بين السماء والأرض، ومسيرة ما بين خمسمائة عام**»[3] قال الترمذى: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد. قيل: ومعناه أن الارتفاع المذكور للدرجات والفرش عليها. قلت: رشدين بن سعد عنده مناكير، قال الدارقطنى: ليس بالقوى، وقال أحمد: لا يبالى عمن روى، وليس به بأس في الرقاق. وقال: أرجو أنه صالح الحديث، وقال يحيى بن معين: ليس بشىء، وقال أبو زرعة: ضعيف، وقال الجوزجانى: عنده مناكير، ولا ريب أنه كان سيىء الحفظ، فلا يعتمد على ما ينفرد به.

---

(1) أخرجه أحمد (22846).

(2) **ضعيف:** انظر ضعيف الجامع للألبانى حديث رقم (1882).

(3) **ضعيف:** أخرجه الترمذى (3294)، وضعفه الألبانى فى ضعيف الترمذى.

وقد قال عبد الله بن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث عن دراج أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «فى قوله ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ **ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض**» وهذا أشبه أن يكون هذا المحفوظ، فالله أعلم.

وقال الطبرانى: حدثنا المقدام بن داود، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة عن علىّ بن زيد عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن كعب «**فى قوله عز وجل** ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قال: مسيرة أربعين سنة».

قال الطبرانى: حدثنا إبراهيم بن نائلة، حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلى، حدثنا إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبى أمامة قال: «سئل رسول الله ﷺ عن الفرش المرفوعة قال: **لو طرح فراش من أعلاها لَهَوى إلى قرارها مائة عام**»(1) وفى رفع هذا الحديث نظر، فقد قال ابن أبى الدنيا: حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا معاذ بن هشام قال: وجدت فى كتاب أبى عن القاسم عن أبى أمامة «فى قوله عز وجل ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قال: لو أن أعلاها سقط ما بلغ أسفلها أربعين طريفاً». (2)

فصل

بسط وزرابى الجنة

وأما البسط والزرابى فقد قال تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ (الرحمن:76)، وقال تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ (الغاشية:13-16) وذكر هشام عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال: (الرفرف) رياض الجنة، و (العبقرى) عتاق الزرابى، وذكر إسماعيل بن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ قال: هى البسط، قال: وأهل المدينة يقولون: هى البسط، وأما النمارق، فقال الواحدى: هى الوسائد، فى قول الجميع، واحدها: نمرقة، بضم النون، وحكى الفراء نمرقة بكسرها، وأنشد أبو عبيدة:

إذا ما بِساطُ اللَّهوِ مُدّ وقُرِّبت ... للذاتِه أنماطُه ونَمارِقُه

(1) ضعيف جداً: أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (7947) (8/ 242)، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (4826).

(2) انظر «صفة الجنة» لابن أبى الدنيا (158).

قال الكلبى: وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض. وقال مقاتل: هى الوسائد مصفوفة على الطنافس، وزرابى: يعنى البسط والطنافس واحدها زَرْبية: فى قول جميع أهل اللغة والتفسير، ومبثوثة: مبسوطة منشورة.

فصل

وأما الرفرف فقال الليث: ضرب من الثياب خضر تبسط، الواحدَ، رفرفة، وقال أبو عبيدة: الرفارف البسط، وأنشد لابن مقبل:

وإنا لنزالون تغشى نعالنا سواقط من أصناف ريط ورفرف

وقال أبو إسحاق: قالوا: الرفرف ههنا رياض الجنة، وقالوا: الرفرف الوسائد، وقالوا: الرفرف المحابس للفرش، وقال المبرد: هو فضول الثياب التى تتخذه الملوك فى الفرش وغيره، قال الواحدى: وكأن الأقرب هذا، لأن العرب تسمى كسر الخباء والخرقة التى تخاط فى أسفل الخباء: رفرفاً، ومنه الحديث فى وفاة النبى ﷺ: «فرفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة مصحف» قال ابن الأعرابى: الرفرف ههنا طرف البساط، فشبه ما فضل من المحابس عما تحته بطرف الفسطاط فسمى رفرفاً.

قلت: أصل هذه الكلمة من الطرف والجانب فمنه الرف فى الحائط، ومنها رفرف وهو كسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منها، الواحدة رفرفة، ومنه رفرف الطائر إذا حرك جناحيه حول الشىء يريد أن يقع عليه، والرفرف ثياب خضر تتخذ منها المحابس، الواحدة رفرفة، وكل ما فضل من شىء فُثنى وعُطف فهو رفرف، وفى حديث ابن مسعود فى قوله عز وجل: ﴿**لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ**﴾قال: رأى رفرفاً أخضر سد الأفق،، وهو فى الصحيحين.

فصل

وأما العبقرى: فقال أبو عبيدة: كل شىء من البسط عبقرى، قال: ويرون أنها أرض وشى فيها، وقال الليث: عبقر موضع بالبادية كثير الجن، يقال: كأنهم جن عبقر، وقال أبو عبيدة فى حديث النبى ﷺحين ذكر عمر: «**فلم أر عبقرياً يفرى فريه**»، وإنما أصل هذا فيما يقال إنه نسب إلى عبقر، وهى أرض يسكنها الجن فصار مثلاً منسوباً إلى شىء رفيع، وأنشد لزهير:

بخـيل عليـهَـا جِـنّـة عَـبْـقَـريــة   جـديرون يومـاً أن يَنَالوا فـيَـسْـتـعلُوا

قال أبو الحسن الواحدى: وهذا القول هو الصحيح فى العبقرى، وذلك أن العرب إذا بالغت فى وصف شىء نسبته إلى الجن أو شبهته بهم، ومنه قول لبيد:

جن النَّدا رَواسِـيـاً أقـدامُـهـا

وقال آخر يصف امرأة:

جنيــةٌ ولهــا جِنٌ يُعلِّمــهــا   رَمْى القلوب بقـوسٍ مـا لهـا وترُ

وذلك أنهم يعتقدون فى الجن كل صفة عجيبة، وأنهم يأتون بكل أمر عجيب فلما كان عبقر معروفاً بسكانهم نسبوا إلى كل شىء يبالغ فيه إليها يريدون بذلك أنه من عملهم وصنعهم وهذا هو الأصل، ثم صار العبقرى اسماً ونعتاً لكل ما بولغ فى صفته، ويشهد لما ذكرنا بيت زهير فإنه نسب الجن إلى عبقر، ثم رأينا أشياء كثيرة نسبت إلى عبقر غير البسط والثياب، كقوله فى صفة عمر عبقرياً، وروى سلمة عن الفراء قال: (العبقرى) السيد من الرجال، وهو الفاخر من الحيوان والجوهر، فلو كانت عبقر مخصوصة بالوشى، لما نسب إليها غير الموشى، وإنما ينسب إليها البسط الموشية العجيبة الصنعة لما ذكرنا، كما نسب إليها كل ما بولغ فى وصفه.

قال ابن عباس: وعبقرى يريد البسط والطنافس.

وقال الكلبى: هى الطنافس المخملة.

وقال قتادة: هى عتاق الزرابى. وقال مجاهد: الديباج الغليظ، وعبقرى جمع واحده عبقرية. ولهذا وصف بالجمع.

وتأمل كيف وصف الله سبحانه وتعالى الفرش بأنها مرفوعة، والزرابى بأنها مبثوثة، والنمارق بأنها مصفوفة، فرفع الفرش دال على سمكها ولينها، وبث الزرابى دال على كثرتها، وأنها فى كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه، ووصَفُ المساند، يدل على أنها مهيأة للاستناد إليها دائماً ليست مخبأة تُصَفُّ فى وقت دون وقت. والله أعلم.

الباب الحادي والخمسون

في ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم

قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (الرحمن:72) وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «**إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً**». (1)

وفي لفظ لهما: «**في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل، ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن**». (2)

وفي لفظ آخر لهما أيضاً: «**الخيمة درة طولها في السماء ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل المؤمن لا يراهم الآخرون**». (3)

وللبخاري وحده في لفظ: «**طولها ثلاثون ميلاً**»(4) وهذه الخيم غير الغرف والقصور، بل هي خيام في البساتين وعلى شواطئ الأنهار.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان قال: «ينشأ خلق الحور العين إنشاء، فإذا تكامل خلقهن ضربت عليهن الملائكة الخيام» قال بعضهم: لما كنا أبكاراً، وعادة البكر أن تكون مقصورة في خدرها حتى يأخذها بعلها، أنشأ الله تعالى الحور وقصرهن في خدور الخيام، حتى يجمع بينهن وبين أوليائه في الجنة.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا إسحاق، حدثنا وكيع، حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم بن أبي بزة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال: «لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب، يدخل عليها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك، لا ترحات ولا زفرات ولا بخرات ولا طمّاحات، حور عين كأنهن بيض مكنون».(5)

---

(1) **صحيح**: أخرجه البخاري (4880)، ومسلم (2838).

(2) **صحيح**: أخرجه البخاري (4880)، ومسلم (2838).

(3) **صحيح**: أخرجه البخاري.

(4) **صحيح**: أخرجه البخاري (3243).

(5) **ضعيف موقوف**: ضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (2196) وقال: ضعيف موقوف.

حدثنا على بن الجعد حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال: سمعت أبا الأحوص يحدث عن عبد الله بن مسعود فى قوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ قال: در مجوف.

وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سليمان التيمى، عن قتادة، عن خليد العصرى، عن أبى الدرداء قال: «الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً كلها من درة». (1)

قال ابن المبارك: وأخبرنا همام، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «الخيمة درة مجوفة فرسخ فى فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب». (2)

قال ابن أبى الدنيا حدثنا فضيل بن عبد الوهاب: حدثنا شريك عن منصور عن مجاهد « ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ قال: فى خيام اللؤلؤ والخيمة لؤلؤة واحدة». حدثنى محمد بن جعفر حدثنا منصور حدثنا يوسف بن الصباح عن أبى صالح عن ابن عباس: «حور مقصورات فى الخيام، قال: الخيمة درة من لؤلؤ مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق دوره خمسون فرسخاً، يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية من عند الله عز وجل(3) وذلك قوله: ﴿ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ (الرعد:23) والله أعلم».

وأما السرر فقال تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ وقال تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ فأخبر تعالى عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ليس بعضها خلف بعض ولا بعيداً من بعض، وأخبر أنها موضونة، والوضن فى لغتهم: النضد والنسج المضاعف، يقال: وضن فلان الحجر والآجر بعضه فوق بعض، فهو موضون. وقال الليث الوضن: نسج السرير وأشباهه ويقال: درع موضونة مقاربة فى النسج، وقال رجل من العرب لامرأته: ضنى متاع البيت، أى قاربى بعضه من بعض.

قال أبو عبيدة والفراء والمبرد وابن قتيبة: موضونة منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض كما توضن حلَق الدرع، ومنه سمى الوضين: وهو نطاق من سيور ينسج فيدخل بعضها على بعض، وأنشدوا للأعشى:

ومن نَسْجِ داود مَوْضونةٌ ... تُساقُ مع الحيّ عِيراً فعِيرا

---

(1) انظر «زوائد الزهد» لابن المبارك (250).

(2) انظر «زوائد الزهد» لابن المبارك (249).

(3) **ضعيف موقوف**: الأثر عن ابن عباس ضعفه الألبانى فى ضعيف الترغيب والترهيب رقم (2197).

قالوا: موضونة، منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد.

قال هشيم: أنبأنا حصين عن مجاهد عن ابن عباس قال: مرمولة بالذهب، وقال مجاهد: موصولة بالذهب، وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس «موضونة: مصفوفة». فأخبر سبحانه أنها مرفوعة.

قال عطاء عن ابن عباس: قال سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت، والسرير مثل ما بين مكة وأيلة. وقال الكلبي: طول السرير في السماء مائة ذراع، فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس عليه، فإذا جلس عليه ارتفع مكانه.

فصل

أرائك الجنة

وأما ﴿الأَرَائِكِ﴾ فهي جمع أريكة. قال مجاهد عن ابن عباس: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ﴾، قال: لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة، فإذا كان سريراً بغير حجلة لا يكون أريكة، وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة، ولا تكون أريكة إلا والسرير في الحجلة، فإذا اجتمعا كانت أريكة.

وقال مجاهد: في الأسرة في الحجال. قال الليث: الأريكة سرير حجلة، فالحجلة والسرير أريكة وجمعها أرائك. وقال أبو إسحاق: ﴿الأَرَائِكِ﴾ الفرش في الحجال.

قلت: ههنا ثلاثة أشياء: أحدها: السرير، الثانية: الحجلة وهي البشخانة التي تعلق فوقه. والثالث: الفراش الذي على السرير، ولا يسمى السرير أريكة، حتى يجمع ذلك كله.

وفي الصحاح: الأريكة سرير منجد مزين في قبة أو بيت، فإذا لم يكن فيه سرير، فهو حجلة والجمع الأرائك.

وفي الحديث: «أن خاتم النبي ﷺ كان مثل زر الحجلة»[1] وهو الزر الذي يجمع بين طرفها من جملة أزرارها، والله أعلم.

---

(1) **صحيح:** أخرجه الترمذي (3643)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

الباب الثانى والخمسون

فى ذكـر خـدمـهـم وغلمـانـهـم

قال تعـالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ (الواقعة:17-18) وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ (الإنسان:19)، قال أبو عبيدة والفراء: مخلدون لا يهرمون ولا يتغيرون، قال: والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط: إنه لمخلد، وإذا لم تذهب أسنانه من الكبر قيل: هو مخلد، وقال آخرون: مخلدون مقرطون مسورون: أى فى آذانهم القرطة وفى أيديهم الأساور. وهذا اختيار ابن الأعرابى، قال: مخلدون مقرطون الخلدة، وجمعها خلد وهى القرطة.

وروى عمرو عن أبيه: خلَّد جاريته، إذا حلاها بالخلد وهى القرطة، وخلد إذا أسن ولم يشب، وكذلك قال سعيد بن جبير: مقرطون. واحتج هؤلاء بحجتين، إحداهما: أن الخلود عام لكل من فى الجنة، فلابد أن يكون الولدان موصوفين بتخليد يختص بهم، وذلك هو القرطة، الحجة الثانية: قول الشاعر:

ومخلَّدات باللُّجين كأنما ... أعجازُهن رواكد الكُثْبان

وقال الأولون: الخلد هو البقاء، قال ابن عباس: غلمان لا يموتون، وقول ترجمان القرآن فى هذا كاف ـ وهو قول مجاهد والكلبى ومقاتل ـ قالوا: لا يكبرون ولا يهرمون ولا يتغيرون، وجمعت طائفة بين القولين، وقالوا: هم ولدان لا يعرض لهم الكبر والهرم وفى آذانهم القرطة، فمن قال مقرطون أراد هذا المعنى، أن كونهم ولدان أمر لازم لهم وشبههم سبحانه باللؤلؤ المنثور لما فيه من البياض وحسن الخلقة، وفى كونه منثوراً فائدتان:

إحداهما: الدلالة على أنهم غير معطلين، بل مبثوثون فى خدمتهم وحوائجهم.

والثانية: أن اللؤلؤ إذا كان منثوراً ولاسيما على بساط من ذهب أو حرير، كان أحسن لمنظره وأبهى من كونه مجموعاً فى مكان واحد.

وقد اختلف فى هؤلاء الولدان هل هم من ولدان الدنيا أم أنشأهم الله فى الجنة إنشاء ؟ على قولين: فقال علىّ بن أبى طالب والحسن البصرى: هم أولاد المسلمين الذين يموتون ولا حسنة لهم ولا سيئة يكونون خدم أهل الجنة، وولدانهم إذ الجنة لا ولادة فيها.

قال الحاكم: ثنا عبد الرحمن بن الحسن، ثنا إبراهيم بن الحسن، ثنا آدم، ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن فى قوله تعالى: ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ قال: لم يكن لهم حسنات يجزون بها ولا سيئات

فيعاقبون عليها فوضعوا بهذا الموضع. ومن أصحاب هذا القول من قال: هم أطفال المشركين، فجعلهم اللّه خدماً لأهل الجنة، واحتج هؤلاء بما رواه يعقوب بن عبد الرحمن القارى عن أبى حازم المدينى عن يزيد الرقاشى عن أنس عن النبى ﷺ قال: «**سألت ربى للاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم فهم خدم أهل الجنة**»[1] يعنى الأطفال.

قال الدارقطنى: ورواه عبد العزيز بن الماجشون عن ابن المنكدر عن يزيد الرقاشى عن النبى ﷺ. انتهى، ورواه فضيل بن سليمان عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهرى عن أنس. وهذه الطرق ضعيفة فيزيد واه، وفضيل بن سليمان متكلم فيه، وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف.[2]

قال ابن قتيبة: واللاهون من لهيت عن الشىء إذا غفلت عنه وليس هو من لهوت، وأصحاب القول الأول لا يقولون: إن هؤلاء أولاد ولدوا لأهل الجنة فيها، وإنما يقولون: هم غلمان أنشأهم اللّه فى الجنة إنشاءاً كما أنشأ الحور العين.

قالوا: وأما ولدان أهل الدنيا فيكونون يوم القيامة أبناء ثلاث وثلاثين سنة لما رواه ابن وهب أنبأنا عمرو بن الحارث أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات من أهل الجنة من صغير وكبير يردون بنى ثلاثين سنة فى الجنة، لا يزيدون عليها أبداً وكذلك أهل النار**»[3] رواه الترمذى.

والأشبه أن هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة كالحور العين خدماً لهم وغلماناً، كما قال تعالى: ﴿**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ**﴾ وهؤلاء غير أولادهم، فإن من تمام كرامة اللّه تعالى لهم أن يجعل أبناءهم مخدومين معهم لا يجعلهم غلماناً لهم.

وقد تقدم فى حديث أنس عن النبى ﷺ: «**أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا... -وفيه- يطوف على ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون**»[4] والمكنون: المستور المصون الذى لم تبتذله الأيادى، وإذا تأملت لفظة الولدان ولفظة يطوف عليهم، واعتبرتها بقوله: ﴿**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ**﴾ وضممت ذلك إلى حديث أبى سعيد المذكور آنفاً، علمت أن الولدان غلمان أنشأهم اللّه تعالى فى الجنة خدماً لأهلها. واللّه أعلم.

---

(1) **حسن**: أخرجه أبو يعلى (1014) من طريق يزيد الرقاشى، وقال العلامة الألبانى فى «الصحيحة» (4/ 503): رجاله ثقات، غير الرقاشى فهو ضعيف وقال الألبانى: «وجملة القول أن الحديث حسن عندى بمجموع طرقه». وانظر صحيح الجامع (3592).

(2) انظر الصحيحة للألبانى (503)، وحسنه فيها بمجموع طرقه كما سبق بيانه.

(3) **ضعيف**: أخرجه الترمذى (2562)، وفى إسناده رشدين بن سعد ضعيف، ودراج عن أبى الهيثم ضعيف، وضعفه الألبانى فى ضعيف الترمذى.

(4) **ضعيف**: ضعفه الألبانى وانظر المشكاة (5765).

الباب الثالث والخمسون

فى ذكر نساء أهل الجنة وسراريهم وأصنافهن وحسنهن وصفائهن وجمالهن الظاهر والباطن الذى وصفهن الله تعالى به فى كتابه

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:25) فتأمل جلالة المبشر ومنزلته وصدقه وعظمة من أرسله إليك بهذه البشارة وقدر ما بشرك به وضَمَنَه لك على أسهل شىء عليك وأيسره، وجمع سبحانه فى هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنان وما فيها من الأنهار والثمار، ونعيم النفس بالأزواج المطهرة، ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه.

والأزواج: جمع زوج، والمرأة زوج الرجل وهو زوجها، هذا هو الأفصح، وهو لغة قريش وبها نزل القرآن كقوله تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة:35) ومن العرب من يقول: زوجة وهو نادر، لا يكادون يقولونه، وأما المطهرة فإن جرت صفةً على الواحدة فتجرى صفة على جمع التكسير إجراء له مجرى جماعة، كقوله تعالى ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً﴾ ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ ونظائره، والمطهرة: من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا، فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من أن تطمح به إلى غير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ.

قال عبد الله بن المبارك: ثنا شعبة عن قتادة عن أبى نضرة عن أبى سعيد عن النبى ﷺ: «﴿لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾، قال: **من الحيض والغائط والنجاسة والبصاق**» وقال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس: «﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنخمن» وقال ابن عباس أيضاً: مطهرة من القذر والأذى. وقال مجاهد: لا يبلن ولا يتغوطن ولا يمذين ولا يمنين ولا يحضن ولا يبصقن ولا يتنخمن، ولا يلدن. وقال قتادة: مطهرة من الإثم والأذى، طهرهن الله سبحانه من كل بول وغائط وقذر ومأثم. وقال عبد الرحمن بن زيد: المطهرة التى لا تحيض، وأزواج الدنيا لسن بمطهرات، ألا تراهن يَدمين ويتركن الصلاة والصيام، قال: وكذلك خلقت حواء

حتى عصت، فلما عصت قال الله: إني خلقتك مطهرة، وسأدميك كما دميت هذه الشجرة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (الدخان:51-56) فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه واشتماله على الثمار والأنهار، وحسن اللباس وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضاً، وتمام اللذة بالحور العين ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها، وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون هناك موتاً.

والحور: جمع حوراء وهى المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين. وقال زيد بن أسلم: الحوراء التى يحار فيها الطرف، و﴿عِينٍ﴾ حسان الأعين، وقال مجاهد: الحوراء التى يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون.

وقال الحسن: الحوراء شديدة بياض العين شديدة سواد العين، واختلف فى اشتقاق هذه اللفظة، فقال ابن عباس: الحور فى كلام العرب البيض، وكذلك قال قتادة: الحور البيض، وقال مقاتل: الحور البيض الوجوه. وقال مجاهد: الحور العين التى يحار فيهن الطرف بادياً مخ سوقهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه فى كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون. وهذا من الاتفاق، وليست اللفظة مشتقة من الحيرة. وأصل الحور: البياض. والتحوير: التبييض. والصحيح: مأخوذ من الحور فى العين، وهو شدة بياضها مع قوة سوادها، فهو يتضمن الأمرين.

وفى الصحاح: الحور شدة بياض العين فى شدة سوادها. امرأة حوراء: بينة الحور. وقال أبو عمرو: الحور، أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر، وليس فى بنى آدم حور، وإنما قيل: للنساء حور العين، لأنهن شبهن بالظباء والبقر، وقال الأصمعى: ما أدرى ما الحور فى العين؟ **قلت:** خالف أبو عمرو أهل اللغة فى اشتقاق اللفظة وردَّ الحور إلى السواد، والناس غيره إنما ردوه إلى البياض أو إلى بياض فى سواد، والحور فى العين: معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما، واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر، وعين حوراء: إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها، ولا تسمى المرأة حوراء حتى تكون مع حور عينها بيضاء لون الجسد. والعين: جمع عيناء وهى العظيمة العين من النساء، ورجل أعين إذا كان ضخم العين. وامرأة عيناء، والجمع عِين، والصحيح: أن العين اللاتى جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة.

قال مقاتل: العين حسان الأعين. ومن محاسن المرأة اتساع عينها فى طول، وضيق العين فى المرأة من العيوب، وإنما يستحب الضيق منها فى أربعة مواضع: فمها وخرق أذنها وأنفها، وما هنالك، ويستحب السعة منها فى أربعة مواضع: وجهها وصدرها وكاهلها وهو ما بين كتفيها وجبهتها، ويستحسن البياض منها فى أربعة مواضع: لونها وفرقها وثغرها وبياض عينها، ويستحب السواد منها فى أربعة مواضع: عينها وحاجبها وهدبها وشعرها، ويستحب الطول منها فى أربعة: قوامها وعنقها وشعرها وبنانها، ويستحب القصر منها فى أربعة -وهى معنوية-: لسانها ويدها ورجلها وعينها، فتكون قاصرة الطرف قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام، قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج، وعن بذله، ويستحب الدقة منها فى أربعة: خصرها وفرقها وحاجبها وأنفها.

فصل

وقوله تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجاً كما يزوج النعل بالنعل جعلناهم اثنين اثنين، قال يونس: قرناهم بهن وليس من عقد التزويج، قال: والعرب لا تقول: تزوجت بها وإنما تقول تزوجتها. قال ابن نصر: هذا والتنزيل يدل على ما قاله يونس وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ (الأحزاب:37)، ولو كان على تزوجت بها لقال زوجناك بها. وقال ابن سلام: تميم تقول: تزوجت امرأة وتزوجت بها، وحكاه الكسائى أيضاً. وقال الأزهرى: تقول العرب: زوجته امرأة وتزوجت امرأة وليس من كلامهم: تزوجت بامرأة، قال: وقوله تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ أى قرناهم. وقال الفراء: هى لغة فى أزدشنوءة قال الواحدى: وقول أبى عبيدة فى هذا أحسن، لأنه جعله من التزويج الذى هو بمعنى جعل الشئ زوجاً، لا بمعنى عقد النكاح، ومن هذا يجوز أن يقال: كان فرداً فزوجته بآخر، كما يقال شفعته بآخر، وإنما تمتنع الباء عند من يمنعها، إذا كان بمعنى عقد التزويج.

قلت: ولا يمتنع أن يراد الأمران معاً، فلفظ التزويج يدل على النكاح، كما قال مجاهد: أنكحناهم الحور، ولفظ الباء يدل على الاقتران والضم، وهذا أبلغ من حذفها والله أعلم. وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن:56-58) وصفهن سبحانه بقصر الطرف فى ثلاثة مواضع:

أحدها: هذا.

والثانى: قوله تعالى فى الصافات: ﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴾ .

والثالث: قوله تعالى فى ص: ﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾ ، والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم، وقيل: قصرن طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن وجمالهن، أن ينظروا إلى غيرهن، وهذا صحيح من جهة المعنى. وأما من جهة اللفظ: فقاصرات صفة مضافة إلى الفاعل، لحسان الوجوه وأصله قاصر طرفهن، أى ليس بطامح متعد.

قال آدم: حدثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله: ﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ قال: يقول قاصرات الطرف على أزواجهن فلا يبغين غير أزواجهن، قال آدم: حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يُردن غيرهم، واللّه ما هن متبرجات ولا متطلعات، وقال منصور عن مجاهد: قصرن أبصارهن وقلوبهن وأنفسهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم. وفى تفسير سعيد عن قتادة قال: قصرن أطرافهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم، وأما الأتراب فجمع ترب: وهو لدة الإنسان.

قال أبو عبيدة وأبو إسحاق: ﴿ أقران ﴾ أسنانهن واحدة، قال ابن عباس وسائر المفسرين: مُستويات على سن واحد وميلاد واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة. قال مجاهد: أتراب: أمثال. وقال أبو إسحَاق: أى هن فى غاية الشباب والحسن، وسمى سن الإنسان وقرنه تربه، لأنه مس تراب الأرض معه فى وقت واحد، والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهن أنهن لَيس فيهن عجائز قد فات حسنهن، ولا ولائد لا يطقن الوطء بخلاف الذكور، فإن فيهن الولدان وهم الخدم، وقد اختلف فى تفسير الضمير فى قوله ﴿ فيهن ﴾ فقالت طائفة: مفسره الجنتان وما حوتاه من القصور والغرف والخيام. وقالت طائفة: تفسيره الفرش المذكورة فى قوله: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ (الرحمن:54)، وفى بمعنى: على، وقوله تعالى: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ (الرحمن:56) قال أبو عبيدة: لم يمسهن، يقال ما طمث هذا البعير حبل قط أى ما مسه. وقال يونس: تقول العرب هذا جمل ما طمثه حبل قط أى ما مسه، وقال الفراء: الطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية، والطمث هو الدم، وفيه لغتان طمث يطمث ويطمُث، قال الليث: طمثت الجارية إذا افترعتها، والطامث فى لغتهم هى الحائض، قال أَبو الهيثم: يقال للمرأة: طمثت تطمث إذا أدميت بالافتضاض، وطمثت على فعلت تطمث إذا حاضت أول ما تحيض فهى طامث، وقال فى قول الفرزدق:

وَقَــعْنَ إِلىَّ لـم يُطْمــثْنَ قــبْلى وهُـــنّ أصــحُ من بيــضِ النَّعـــام

أى لم يمسس. قال المفسرون: لم يطأهن ولم يغشهن ولم يجامعهن هذه ألفاظهم، وهم مختلفون فى هؤلاء فبعضهم يقول هن اللواتى أنشئن فى الجنة فى حورها وبعضهم يقول يعنى نساء الدنيا أنشئن خلقاً آخر أبكاراً كما وصفهن.

قال الشعبى: نساء من نساء الدنيا لم يمسسن منذ أنشئن خلقاً.

وقال مقاتل: لأنهن خلقن فى الجنة، قال عطاء عن ابن عباس: هن الآدميات اللاتى متن أبكاراً.

وقال الكلبى: لم يجامعهن فى هذا الخلق الذى أنشئن فيه إنس ولا جان.

قلت: ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا، وإنما هن من الحور العين، أما نساء الدنيا فقد طمثهن الإنس، ونساء الجن قد طمثهن الجن، والآية تدل على ذلك.

قال أبو إسحق: وفى هذه الآية دليل على أن الجن يغشى، كما أن الإنس يغشى، ويدل على أنهن الحور اللاتى خلقن فى الجنة، أنه سبحانه جعلهن مما أعده الله فى الجنة لأهلها من الفواكه والثمار والأنهار والملابس وغيرها، ويدل عليه أيضاً الآية التى بعدها وهى قوله تعالى: ﴿ **حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ** ﴾ (الرحمن:72) ثم قال: ﴿ **لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ** ﴾.

قال الإمام أحمد: والحور العين لا يمتن عند النفخة فى الصور، لأنهن خلقن للبقاء، وفى الآية دليل لما ذهب إليه الجمهور، أن مؤمنى الجن فى الجنة كما أن كافرهم فى النار. وبوب عليه البخارى فى صحيحه فقال: باب ثواب الجن وعقابهم، ونص عليه غير واحد من السلف، قال ضمرة ابن حبيب: وقد سئل هل للجن ثواب؟ فقال: نعم، وقرأ هذه الآية ثم قال: إن الإنسيات للإنس والجنيات للجن، وقال مجاهد فى هذه الآية: إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع معه والضمير فى قوله (قبلهم) للمعنيين بقوله متكئين، وهم أزواج هؤلاء النسوة.

وقوله: ﴿ **كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ** ﴾ (الرحمن:58) قال الحسن وعامة المفسرين: أراد صفاء الياقوت فى بياض المرجان، شبههن فى صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان يدل عليه ما قاله عبد الله: إن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير، فيرى بياض ساقيها من ورائهن ذلك بأن الله يقول: ﴿ **كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ** ﴾ ألا وإن الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكاً ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر.

فصل

معانى مقصورات الخيام

وقال تعالى فى وصفهن: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ المقصورات المحبوسات. قال أبو عبيدة: خدرن فى الخيام، وكذلك قال مقاتل: محبوسات فى الخيام وفيه معنى آخر، وهو أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن، لا يرون غيرهم وهم فى الخيام، وهذا معنى قول من قال: قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم، ولا يطمحن إلى من سواهم، وذكره الفراء.

قلت: وهذا معنى ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ لكن أولئك قاصرات بأنفسهن وهؤلاء مقصورات، وقوله فى الخيام على هذا القول: صفة لحور، أى هن فى الخيام.

وليس معمولاً للمقصورات، وكأن أرباب هذا القول، فسروا بأن يكن محبوسات فى الخيام لا تفارقها إلى الغرف والبساتين.

وأصحاب القول الأول يجيبون عن هذا: بأن الله سبحانه وصفهن بصفات النساء المخدرات المصونات، وذلك أجمل فى الوصف، ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين، كما أن نساء الملوك وذويهم من النساء المخدرات المصونات لا يمنعن أن يخرجن فى سفر وغيره إلى منتزه وبستان ونحوه. فوصفهن اللازم لهن القصر فى البيت ويعرض لهن مع الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها، وأما مجاهد فقال: قاصرات قلوبهن على أزواجهن فى خيام اللؤلؤ، وقد تقدم وصف النسوة الأول بكونهن مقصورات الطرف، وهؤلاء بكونهن مقصورات، والوصفان لكلا النوعين فإنهما صفتا كمال. فتلك الصفة قصر الطرف عن طموحه إلى غير الأزواج، وهذه الصفة قصر الرجل عن التبرج والبروز والظهور للرجال.

فصل

معنى خيرات حسان

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ فالخيرات جمع خَيَرة وهى مخففة من خيِّرة كسيدة ولينة، وحسان: جمع حسنة فهى خيرات الصفات والأخلاق والشيم، حسان الوجوه.

قال وكيع: حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم بن أبى برة عن أبى عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال: «لكل مسلم خيرة، ولكل خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها كل يوم من كل

باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك، لا ترحات ولا زفرات ولا بخرات ولا طمّاحات» .[1]

فصل

من المقصودات بالإنشاء

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (الواقعة: 35 ـ 38) أعاد الضمير إلى النساء ولم يَجر لهن ذكر، لأن الفرش دلت عليهن إذ هى محلهن، وقيل الفرش فى قوله ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ كناية عن النساء، كما يكنى عنهن بالقوارير والأزر وغيرها، ولكن قوله مرفوعة يأبى هذا، إلا أن يقال: المراد رفعة القدر.

وقد تقدم تفسير النبى ﷺ للفرش وارتفاعها، فالصواب أنها الفرش نفسها ودلت على النساء؛ لأنها محلهن غالباً، قال قتادة وسعيد بن جبير: خلقناهن خلقاً جديداً، وقال ابن عباس: يريد نساء الآدميات، وقال الكلبى ومقاتل: يعنى نساء أهل الدنيا العجز الشمط، يقول تعالى: خلقناهن بعد الكبر والهرم بعد الخلق فى الدنيا، ويؤيد هذا التفسير حديث أنس المرفوع: «هن عجائزكم العمش الرُّمص»[2] رواه الثورى عن موسى بن عبيدة عن يزيد الرقاشى عنه، ويؤيده ما رواه يحيى الحمانى، حدثنا ابن إدريس عن ليث عن مجاهد عن عائشة أن رسول الله ﷺ «دخل عليها وعندها عجوز فقال من هذه؟ فقالت: إحدى خالاتى، قال: **أما إنه لا يدخل الجنة العجوز**[3]، فدخل على العجوز من ذلك ما شاء الله، فقال النبى ﷺ: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ **خلقاً آخر يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً، وأول من يكسى إبراهيم خليل الرحمن**[4]، ثم قرأ النبى ﷺ ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾».

قال آدم بن أبى إياس، حدثنا شيبان عن جابر الجعفى عن يزيد بن مرة عن سلمة بن يزيد قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول فى قوله: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ قال: يعنى الثيب والأبكار اللاتى كن فى الدنيا» .

---

(1) **ضعيف موقوف** : ذكره المنذرى فى «الترغيب والترهيب»، وضعفه الألبانى فى ضعيف الترغيب (2196).

(2) **ضعيف** : أخرج الترمذى عن موسى بن عبيدة، عن يزيد بن أبان عن أنس مرفوعاً بلفظ «إن من المنشآت اللائى كن فى الدنيا عجائز عمشاً رمصاً». وضعفه الألبانى فى ضعيف الترمذى.

(3) **حسن** : انظر غاية المرام فى تخريج أحاديث الحلال والحرام للألبانى (375).

(4) **صحيح** : أخرجه البخارى (3349) عن ابن عباس عن النبى ﷺ : «**إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً ثم قرأ** : ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ **وأو ما يكسى يوم القيامة إبراهيم**».

قال آدم: وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يدخل الجنة العُجزّ**، فبكت عجوز، فقال رسول الله ﷺ : **أخبروها أنها ليست يومئذ بعجوز، إنها يومئذ شابة، إن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾** ».

وقال ابن أبى شيبة: حدثنا أحمد بن طارق حدثنا مسعدة بن اليسع حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة: «أن النبى ﷺ أتته عجوز من الأنصار فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة، فقال نبى الله ﷺ : **إن الجنة لا يدخلها عجوز**، فذهب نبى الله ﷺ فصلى ثم رجع إلى عائشة فقالت عائشة: لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة، فقال ﷺ : **إن ذاك كذاك، إن الله تعالى إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكاراً**».

وذكر مقاتل قولاً آخر وهو اختيار الزجاج أنهن الحور العين التى ذكرهن، قيل: أنشأهن الله عز وجل لأوليائه لم يقع عليهن ولادة. والظاهر أن المراد به أنشأهن الله تعالى فى الجنة إنشاء، ويدل عليه وجوه:

أحدها: أنه قد قال فى حق السابقين: ﴿**يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ⑰ بِأَكْوَابٍ**﴾ -إلى قوله- ﴿**كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ**﴾ فذكر سررهم وآنيتهم وشرابهم وفاكهتهم وطعامهم وأزواجهم من الحور العين، ثم ذكر أصحاب الميمنة وطعامهم وشرابهم وفرشهم ونساءهم، والظاهر: أنهن مثل نساء من قبلهم خلقن فى الجنة.

الثانى: أنه سبحانه قال: ﴿**إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً**﴾ وهذا ظاهر أنه إنشاء أول لا ثان، لأنه سبحانه حيث يريد الإنشاء الثانى يقيده بذلك، كقوله: ﴿**وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ**﴾(النجم: 47) وقوله: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ**﴾ (الواقعة: 62).

الثالث: أن الخطاب بقوله: ﴿**وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً**﴾ إلى آخره للذكور والإناث، والنشأة الثانية عامة أيضاً للنوعين، وقوله: ﴿**إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً**﴾(الواقعة:35) ظاهره اختصاصهن بهذا الإنشاء، وتأمل كيف تأكيده بالمصدر، والحديث لا يدل على اختصاص العجائز المذكورات بهذا الوصف، بل يدل على مشاركتهن للحور العين فى هذه الصفات المذكورة، فلا يتوهم انفراد الحور العين عنهن بما ذكر من الصفات، بل هن أحق بها منهن، فالإنشاء واقع على الصنفين والله أعلم. وقوله: ﴿**عُرُبًا**﴾ جمع عروب وهن المتحببات إلى أزواجهن. قال ابن الأعرابى: العروب من النساء المطيعة لزوجها المتحببة إليه، وقال أبو عبيدة: العروب الحسنة التبعل.

قلت: يريد حسن مواقعتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع، وقال المبرد: هي العاشقة لزوجها، وأنشد للبيد:

وفي الحدوج عَروبٌ غير فاحشة ... ريّا الروادف يَعْشَى دونها البصرُ

وذكر المفسرون في تفسير «العُرُب» أنهن العواشق المتحببات الغنجات الشكلات المتعشقات الغلمات المغنوجات، كل ذلك من ألفاظهم. وقال البخاري في صحيحه: عُرُباً مثقلة واحدها عروب، مثل صبور وصُبُر تسميها أهل مكة: العربة، وأهل المدينة: الغنجة، وأهل العراق: الشكلة. «والعُرُب» المتحببات إلى أزواجهن، هكذا ذكره في كتاب «بدء الخلق»، وقال في كتاب التفسير في سورة الواقعة: عُرُباً مثقلة واحدها عَروب مثل صَبور وصُبُر تسميها أهل مكة: العَرِبة، وأهل المدينة: الغنجة، وأهل العراق: الشكلة.

قلت: فجمع سبحانه بين حسن صورتها وحسن عشرتها، وهذا غاية ما يطلب من النساء، وبه تكمل لذة الرجل بهن، وفي قوله: ﴿**لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ**﴾ (الرحمن:56) إعلام بكمال اللذة بهن، فإن لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواه لها فضل على لذته بغيرها، وكذلك هي أيضاً.

فصل

معنى الكواعب

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا**﴾ (النبأ:31-33) فالكواعب: جمع كاعب وهي الناهد. قال قتادة ومجاهد والمفسرون: قال الكلبي: هن المفلكات اللواتي تكعب ثديهن وتفلكت. وأصل اللفظة من الاستدارة. والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان، ليست متدلية إلى أسفل، ويسمين نواهد.

فصل

الحور العين

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده -يعني سوطه- من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً، ولأضاءت ما بينهما، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**». (1)

(1) صحيح : أخرجه البخاري (2796) عن أنس، وقد سبق تخريجه.

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ: «**إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتى تليها أضوأ كوكب درى فى السماء. ولكل امرئ منهم زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما فى الجنة أعزب**». (1)

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ: «**للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين، على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب**».(2)

وقال الطبرانى: حدثنا بكر بن سهل الدمياطى، حدثنا عمرو بن هشام البيروتى، حدثنا سليمان بن أبى كريمة عن هشام عن حسان عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت: «قلت: يا رسول الله أخبرنى عن قول الله عز وجل: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قال: وحور بيض ﴿عِينٌ﴾ **ضخام العيون شقر، الحوراء بمنزلة جناح النسر**، قلت: أخبرنى عن قوله عز وجل: ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ قال: **صفاؤهم صفاء الدر الذى فى الأصداف الذى لم تمسه الأيدى**، قلت: يا رسول الله أخبرنى عن قوله عز وجل ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ قال: **خيرات الأخلاق حسان الوجوه**، قلت: يا رسول الله أخبرنى عن قوله عز وجل: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ (الصافات:49) قال: **رقتهن كرقة الجلد الذى رأيته فى داخل البيضة مما يلى القشر وهو الغرقئ**، قلت: يا رسول الله أخبرنى عن قوله عز وجل ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ قال: **هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز رمصاً شمطاً خلقهن الله بعد الكبر، فجعلهن عذارى عرباً متعشقات محببات أتراباً على ميلاد واحد**، قلت: يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: **بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة**، قلت: يا رسول الله وبم ذاك؟ قال: **بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله تعالى، ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلى، مجامرهن الدر، وأمشاطهن الذهب، يقلن: نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، طوبى لمن كنا له وكان لنا**، قلت: يا رسول الله المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة ثم تموت فتدخل الجنة، ويدخلون معها، من يكون زوجها؟ قال: **يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهم خلقاً فتقول: أى رب، إن هذا كان أحسنهم معى خلقاً فى دار الدنيا فزوجنيه، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة**»(3) تفرد به

---

(1) صحيح: أخرجه البخارى (3246) ومسلم (2834)، وانفرد مسلم بلفظ «وما فى الجنة أعزب».

(2) أخرجه أحمد (8523)، [سبق تخريجه].

(3) منكر: أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (23/ 367/ 870) وذكره المنذرى فى «الترغيب والترهيب» وقال العلامة الألبانى: «منكر»، وانظر الحديث رقم (2230) فى «ضعيف الترغيب والترهيب».

سليمان بن أبى كريمة ضعفه أبو حاتم، وقال ابن عدى: عامة أحاديثه مناكير ولم أر للمتقدمين فيه كلاماً، ثم ساق هذا الحديث من طريقه، وقال: لا يعرف إلا بهذا السند.

وقال أبو يعلى الموصلى حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد، حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الأنصار عن أبى هريرة قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو فى طائفة من أصحابه، فذكر حديث الصور، وفيه: «**فأقول يا رب وعدتنى الشفاعة فشفعنى فى أهل الجنة يدخلون الجنة، فيقول الله: قد شفعتك وأذنت لهم فى دخول الجنة**»، فكان رسول الله ﷺ يقول: «**والذى بعثنى بالحق ما أنتم فى الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم، فيدخل رجل منهم على اثنين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله عز وجل فى الدنيا، يدخل على الأولى منهما فى غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجاً من سندس وإستبرق، وإنه ليضع يده بين كتفيها، ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها، وإنه لينظر إلى مخ ساقها، كما ينظر أحدكم إلى السلك فى قصبة الياقوت، كبده لها مرآة وكبدها له مرآة، فبينا هو عندها لا يملها ولا تمله، ولا يأتيها مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره ولا تشتكى قُبُلها، فبينما هو كذلك إذ نودى إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل، إلا أنه لا منى ولا منية، إلا أن تكون له أزواج غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما جاءت واحدة قالت: والله ما فى الجنة شىء أحسن منك، وما فى الجنة شىء أحب إلىَّ منك**». (1)

هذا قطعة من حديث الصور الذى تفرد به إسماعيل بن رافع. وقد روى له الترمذى وابن ماجه وضعفه أحمد ويحيى وجماعة. وقال الدارقطنى وغيره: متروك الحديث. وقال ابن عدى: عامة أحاديثه فيها نظر. وقال الترمذى وضعفه بعض أهل العلم. وسمعت محمداً، يعنى البخارى يقول: هو ثقة مقارب الحديث.

وقال لى شيخنا أبو الحجاج الحافظ: هذا الحديث مجموع من عدة أحاديث، ساقه إسماعيل غيره هذه السياقة، وشرحه الوليد بن مسلم فى كتاب مفرد، وما تضمنه معروف فى الأحاديث. والله أعلم.

وقال عبد الله بن وهب، حدثنا عمرو أن دراجاً حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن رسول الله ﷺ قال: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة،**

---

(1) **منكر** : ذكره المنذرى فى «الترغيب والترهيب»، وضعفه الألبانى فى «ضعيف الترغيب» بقوله : «منكر» حديث رقم (2224).

وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء»[1] رواه الترمذي، ولكن دراج أبو السمح بالطريق. قال أحمد: أحاديثه مناكير، وقال النسائي: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: ضعيف. وقال النسائي أيضاً: ليس بالقوي، وساق له ابن عدي أحاديث وقال: عامتها لا يتابع عليها.

وقال الدارقطني: ضعيف، وقال مرة: متروك. وأما يحيى بن معين فقد وثقه وأخرج عنه أبو حاتم ابن حبان في صحيحه، وقال عثمان بن سعيد الدارمي عن عليّ بن المديني: وهو ثقة.

وقال ابن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿**كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ**﴾ قال: «**ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك**». [2]

وقال الفريابي: أنبأنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «**ما من عبد يدخل الجنة إلا ويزوج ثنتين وسبعين زوجة ثنتان من الحور العين، وسبعون من أهل ميراثه من أهل الدنيا ليس منهن امرأة إلا ولها قبل شهي وله ذكر لا ينثني**». [3]

قلت: خالد هذا هو ابن يزيد بن عبد الرحمن الدمشقي وهّاه ابن معين. وقال أحمد: ليس بشيء. وقال النسائي: غير ثقة، وقال الدارقطني: ضعيف، وذكر ابن عدي له هذا الحديث مما أنكره عليه.

وقال أبو نعيم: حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا محمد بن حمويه حدثنا أحمد بن حفص، حدثني أبي، حدثني إبراهيم بن طهمان عن الحجاج عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**للمؤمنين في الجنة ثلاث وسبعون زوجة، فقلنا: يا رسول الله أو له قوة على ذلك! قال: إنه ليعطى قوة مائة**».

قلت: أحمد بن حفص هذا هو السعدي له مناكير، والحجاج هو ابن أرطأة، وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن علي الأبار، حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع، وأنبأنا محمد بن أحمد بن هشام بن حسان

(1) **ضعيف** : أخرجه الترمذي (2562)، وأحمد (11663)، وفي إسناده رشدين بن سعد ودراج، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي.

(2) **ضعيف** : أخرجه أحمد (11655) عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري من طريق ابن لهيعة. وضعفه الألباني في «المشكاة» (5652) وضعيف الترغيب والترهيب (2213).

(3) **ضعيف جداً** : أخرجه ابن ماجه (4337)، وقال الألباني : «إسناد ضعيف جداً، خالد بن يزيد هذا، ضعيف، واتهم بعضهم بالكذب» وانظر الضعيفة (4473).

السجزى ببغداد، حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان قالا: حدثنا حسين بن على الجعفى عن زائدة عن هشام ابن حسان عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال: «قيل يا رسول الله، هل نصل إلى نسائنا فى الجنة؟ فقال: **إن الرجل ليصل فى اليوم إلى مائة عذراء**»[1] قال الطبرانى: لم يروه عن هشام إلا زائدة تفرد به الجعفى. قال محمد بن عبد الواحد المقدسى: ورجال هذا الحديث عندى على شرط الصحيح.

وقال أبو الشيخ: حدثنا أبو يحيى بن سليم الرازى، حدثنا هناد بن السرى، حدثنا أبو أسامة عن هشام بن حسان عن زيد بن أبى الحوارى وهو زيد العمى عن ابن عباس قال: «قيل يا رسول الله أنفضى إلى نسائنا فى الجنة، كما نفضى إليهن فى الدنيا؟ قال: **والذى نفس محمد بيده إن الرجل ليفضى فى الغداة الواحدة إلى مائة عذراء**»، وزيد هذا قال فيه ابن معين: صالح، وقال مرة: لا شىء، وقال مرة: ضعيف يكتب حديثه، وكذلك قال أبو حاتم وقال الدارقطنى: صالح، وضعفه النسائى، وقال: السعدى متماسك، **قلت**: وحسبه رواية شعبة عنه.

فصل

حقيقة عدد زوجات المؤمن

والأحاديث الصحيحة إنما فيها أن لكل منهم زوجتين وليس فى الصحيح زيادة على ذلك، فإن كانت هذه الأحاديث محفوظة، فإما أن يراد بها ما لكل واحد من السرارى زيادة على الزوجتين، ويكونون فى ذلك على حسب منازلهم فى القلة والكثرة كالخدم والولدان، وإما أن يراد أن يعطى قوة من يجامع هذا العدد، ويكون هذا هو المحفوظ، فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال: له كذا وكذا زوجة.

وقد روى الترمذى فى جامعه من حديث قتادة عن أنس عن النبى ﷺ قال: «**يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا من الجماع**، قيل: يا رسول الله أو يطيق ذلك؟ قال: **يعطى قوة مائة**»[2] هذا حديث صحيح، فلعل من رواه: «**يفضى إلى مائة عذراء**». رواه بالمعنى أو يكون تفاوتهم فى عدد النساء بحسب تفاوتهم فى الدرجات. والله أعلم.

ولا ريب أن للمؤمن فى الجنة أكثر من اثنتين، لما فى الصحيحين من حديث أبى عمران الجونى عن أبى بكر عن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن للعبد المؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلاً للعبد المؤمن فيها أهلون، فيطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً**». [3]

---

(1) **صحيح** : قال العلامة الألبانى : «رواه البزار فى «مسنده» (3525 - الكشف) وأبو نعيم فى «صفة الجنة» (169/ 1/ شيخ الإسلام) والطبرانى فى «الصغير» (2/ 12)»، وقال الألبانى : وسنده صحيح لا نعلم له علة وصححه الألبانى فى «الصحيحة» (1/ 708).

(2) **حسن صحيح** : أخرجه الترمذى (2536)، وقال الألبانى : حسن صحيح فى تصحيحه للترمذى.

(3) سبق تخريجه

الباب الرابع والخمسون

فى ذكر المادة التى خلق منها الحور العين وما ذكر فيها من الآثار وذكر صفاتهن ومعرفتهن اليوم بأزواجهن

فأما المادة التى خلق منها الحور العين، فقد روى البيهقى من حديث الحارث بن خليفة قال: حدثنا شعبة حدثنا إسماعيل بن علية عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: «**الحور العين خلقن من الزعفران**»[1] قال البيهقى: وهذا منكر بهذا الإسناد، ولا يصح عن ابن علية.

قلت: ولكنه حديث فيه شعبة، وقال الطبرانى: حدثنا أحمد بن رشدين، حدثنا علىّ بن الحسن بن هارون الأنصارى، حدثنى الليث ابن ابنة الليث بن أبى سليم، قال: حدثتنى عائشة بنت يونس امرأة الليث بن أبى سليم عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال: «**خلق الحور العين من الزعفران**»[2] قال الطبرانى: لا يروى إلا بهذا الإسناد. تفرد به علىّ بن الحسين بن هارون.

قلت: وقد رواه إسحاق بن راهويه عن عائشة بنت يونس قالت: سمعت زوجى ليث بن أبى سليم يحدث عن مجاهد، فذكره موقوفاً[3] إليه وهو أشبه بالصواب، ورواه عقبة بن مكرم عن عبد الله بن زياد عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قوله. لا يصح رفع الحديث، وحسبه أن يصل إلى ابن عباس. وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: «إن لولى الله عروساً لم يلدها آدم ولا حواء، ولكن خلقت من زعفران» وهذا مروي عن صحابيين وهما ابن عباس وأنس. وعن تابعيين وهما أبو سلمة ومجاهد، وبكل حال فهن من المنشآت فى الجنة ليست مولودات بين الآباء والأمهات. والله أعلم.

---

(1) **ضعيف** : قال العلامة الألبانى : «أخرجه ابن الأعرابى فى «المعجم» (28/ 2) وأبو نعيم فى «صفة الجنة» (71/ 2) والخطيب فى «التاريخ» (7/ 99) من طريق الحارث بن خليفة، وقال أيضاً : وهذا إسناد ضعيف، الحارث بن خليفة قال ابن أبى حاتم (1/ 2/ 74) عن أبيه «مجهول» . انظر الضعيفة للألبانى (3539).

(2) **ضعيف** : انظر الضعيفة للألبانى (3539)، وضعفه الألبانى لجهالة على بن الحسن.

(3) **ضعيف** : قال العلامة الألبانى : «مدار الإسنادين - المرفوع والمقطوع- على عائشة بنت يونس، ولم أجد من ذكرها، عن زوجها ليث بن أبى سليم، وكان قد اختلط»، وانظر الضعيفة (3539).

وقد رواه الطبرانى من حديث عبيد اللّه بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أمامة عن النبى ﷺ ، وهذا الإسناد لا يحتج به،[1] ورواه أبو نعيم،حدثنا علىّ بن محمد الطوسى، حدثنا علىّ بن سعيد، حدثنا محمد بن إسماعيل الحسانى، حدثنا منصور بن المهاجر، حدثنا أبو النضر الأبّار عن أنس يرفعه: «**لو أن حوراء بصقت فى سبعة أبحر لعذبت البحار من عذوبة فمها، وخلق الحور العين من الزعفران**»[2] وإذا كانت هذه الخلقة الآدمية التى هى من أحسن الصور وأجملها، مادتها من تراب، وجاءت الصورة من أحسن الصور، فما الظن بصورة مخلوقة من مادة الزعفران الذى هناك !!! فالله المستعان.

وقد روى أبو نعيم من حديث عيسى بن يوسف بن الطباع، حدثنا حلبس بن محمد الكلابى، حدثنا سفيان الثورى، حدثنا مغيرة، حدثنا إبراهيم النخعى عن علقمة عن عبد اللّه بن مسعود قال: قال رسول اللّه ﷺ : «**سطع نور فى الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا هو من ثغر حوراء، ضحكت فى وجه زوجها**»[3] وروى بقية بن الوليد حدثنا بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال: «**إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول فما تريدون أن أمطركم؟ فلا يتمنون شيئاً إلا مطروا**» قال: يقول كثير: لئن أشهدنى اللّه ذلك لأقولن أمطرينا جوارى مزينات. وقد روى فى مادة خلقهن صفة أخرى. قال ابن أبى الدنيا حدثنا خالد بن خداش حدثنا عبد اللّه ابن وهب، حدثنا سعيد بن أيوب عن عقيل بن خالد عن الزهرى أن ابن عباس قال: «إن فى الجنة نهراً يقال له البيدخ عليه قباب من ياقوت تحته جوار ناشئات يقول أهل الجنة: انطلقوا بنا إلى البيدخ، فيجيئون فيتصفحون تلك الجوارى فإذا أعجب رجل منهم جارية مس معصمها فتتبعه»، وقال الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن الوليد بن عبدة قال: قال رسول اللّه ﷺ لجبريل: «**يا جبريل قف بى على الحور العين، فأوقفه عليهن. فقال: من أنتن؟ فقلن: نحن جوارى قوم كرام، حلوا فلم يظعنوا،وشبوا فلم يهرموا، ونقوا فلم يدرنوا**».

---

(1) **إسناده واهى** : قال الألبانى : «وهذا إسناد واه، عبيد الله بن زحر، وعلى بن يزيد، ضعيفان، وتركهما ابن حبان» [الضعيفة 3539].

(2) **ضعيف** : فى «الترغيب والترهيب» للمنذرى عن ابن عباس : «لو أن امرأة من نساء الجنة بصقت فى سبعة أبحر لكانت تلك الأبحر أحلى من العسل»، وضعفه الألبانى فى ضعيف الترغيب رقم (2227).

(3) **موضوع** : أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (6/ 374)، وفى «صفة الجنة» (71/ 1)، وضعفه الألبانى فى الضعيفة (3699).

وقال ابن المبارك: أنبأنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن خالد بن أبى عمران عن ابن عباس قال: كنا جلوساً مع كعب يوماً فقال: لو أن يداً من الحوراء دليت من السماء، لأضاءت لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، ثم قال: إنما قلت: يدها، فكيف بالوجه ببياضه وحسنه وجماله!!».

وفى مسند الإمام أحمد من حديث كثير بن مرة عن معاذ بن جبل عن النبى ﷺ قال: «**لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا**»[1]. وفى مراسيل عكرمة عن النبى ﷺ قال: «**إن الحور العين لأكثر عدداً منكن يدعون لأزواجهن يقلن: اللهم أعنه على دينك، وأقبل بقلبه على طاعتك، وبلغه بعزتك يا أرحم الراحمين**»[2] ذكره ابن أبى الدنيا من حديث أسامة بن زيد عن عطاء عنه. وذكر الأوزاعى عن حسان بن عطية عن ابن مسعود قال: «إن فى الجنة حوراء يقال لها اللعبة، كل حور الجنان يعجبن بها، يضربن بأيديهن على كتفها ويقلن: طوبى لك يا لعبة، لو يعلم الطالبون لك لجدوا، بين عينيها من كان يبتغى أن يكون له مثلى فليعمل برضاء ربى».

وقال عطاء السلمى لمالك بن دينار: «يا أبا يحيى شوقنا، قال: يا عطاء إن فى الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها، لولا أن الله تعالى كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا من حسنها، فلم يزل عطاء كمداً من قول مالك أربعين عاماً».

وقال أحمد بن أبى الحوارى: حدثنى جعفر بن محمد قال: لقى حكيم حكيماً، فقال: «أتشتاق إلى الحور العين؟ فقال: لا، فقال: فاشتق إليهن، فإن نور وجههن من نور الله عز وجل، فغشى عليه، فحمل إلى منزله فجعلنا نعوده شهراً».

وقال ربيعة بن كلثوم نظر إلينا الحسن ونحن حوله شباب فقال: «يا معشر الشباب، أما تشتاقون إلى الحور العين؟» وقال لى ابن أبى الحوارى حدثنى الحضرمى: «قال نمت أنا وأبو حمزة على سطح فجعلت أنظر إليه يتقلب على فراشه إلى الصباح فقلت: يا أبا حمزة ما رقدت الليلة، فقال: إنى لما اضطجعت تمثلت لى حوراء حتى كأنى أحسست بجلدها، وقد مس جلدى، فحدثت به أبا سليمان فقال: هذا رجل كان مشتاقاً».

---

(1) صحيح : انظر الصحيحة للألبانى (173).

(2) ضعيف : ضعفه الألبانى فى ضعيف «الترغيب والترهيب» حديث رقم (2229).

وقال ابن أبى الحوارى: سمعت أبا سليمان يقول: «ينشأ خلق الحور العين إنشاء، فإذا تكامل خلقهن ضربت عليهن الملائكة الخيام».

وذكر ابن أبى الدنيا عن صالح المرى عن يزيد الرقاشى قال[1]: «بلغنى أن نوراً سطع فى الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل من ذلك النور فيه، فقيل: ما هذا؟ قيل: حوراء ضحكت فى وجه زوجها، قال صالح: فشهق رجل من ناحية المجلس، فلم يزل يشهق حتى مات».

وقال ابن أبى الدنيا، حدثنا بشر بن الوليد: حدثنا سعيد بن زربى عن عبد الملك الجونى عن سعيد بن جبير، قال: سمعت ابن عباس يقول: «لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها، ولو أخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسنها مثل الفتيلة فى الشمس لا ضوء لها، ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض».[2]

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنى الحسين بن يحيى وكثير العنبرى، حدثنا خزيمة أبو محمد عن سفيان الثورى قال: «سطع نور فى الجنة فلم يبق موضع من الجنة إلا دخل فيه من ذلك النور، فنظروا فوجدوا ذلك من حوراء ضحكت فى وجه زوجها»، ورواه الخطيب فى تاريخه من حديث عبد الله بن محمد الكرخى، قال: حدثنى عيسى بن يوسف الطباع، حدثنى حلبس بن محمد، حدثنا سفيان الثورى عن مغيرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله عن النبى ﷺ قال: «**سطع نور فى الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا هو من ثغر حوراء ضحكت فى وجه زوجها**».[3]

وقال الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير: «إذا سبحت المرأة من الحور العين لم يبق شجرة فى الجنة إلا وردت».

وقال ابن المبارك: حدثنا الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير: «أن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن: طالما ما انتظرناكم، فنحن الراضيات فلا نسخط، والمقيمات فلا نظعن، والخالدات فلا نموت بأحسن أصوات سمعت وتقول: أنت حبى، ليس دونك مقصر، ولا وراءك معدل».[4]

(1) ضعيف: يزيد بن أبان الرقاشى، ضعفه ابن حجر، والذهبى. وصالح المرى: ضعفه يحيى بن معين، وعلى بن المدينى والدارقطنى والنسائى وقال: «متروك الحديث».

(2) ضعيف: ضعفه الألبانى فى «ضعيف الترغيب والترهيب» (2225).

(3) ضعيف: انظر ضعيف الجامع (3266).

(4) «زوائد الزهد» لابن المبارك (435).

الباب الخامس والخمسون

فى ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم والتذاذهم بذلك أكمل لذة، ونزاهة ذلك عن المذى والمنى والضعف، وأنه لا يوجب غسلاً

وقد تقدم حديث أبى هريرة: «قيل: يا رسول الله، أنفضى إلى نسائنا فى الجنة؟ فقال: **إن الرجل ليصل فى اليوم إلى مائة عذراء**» وإسناده صحيح، وتقدم حديث أبى موسى المتفق على صحته: «**إن للمؤمن فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلاً، فيها أهلون يطوف عليهم**».

وحديث أنس: «**يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا من الجماع**»، وصححه الترمذى وروى الطبرانى وعبد الله بن أحمد وغيرهما من حديث لقيط بن عامر أنه قال: «يا رسول الله على ما نطلع من الجنة؟ قال: **على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن، وفاكهة لعمر إلهك مما تعلمون، وخير من مثله، وأزواج مطهرة. قلت: يا رسول الله أو لنا فيها أزواج مصلحات؟ قال: الصالحات للصالحين، تلذذوا بهن مثل لذاتكم فى الدنيا ويلذذنكم، غير أن لا توالد**». (1)

وقال ابن وهب: أخبرنى عمرو بن الحارث عن دراج عن ابن حجيرة عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يا رسول الله أنطأ فى الجنة؟ قال: **نعم، والذى نفسى بيده دحماً دحماً، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً**». (2)

وقال الطبرانى: حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه، حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقى الواسطى، حدثنا معلى بن عبد الرحمن الواسطى، حدثنا شريك عن عاصم الأحول عن أبى المتوكل عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكاراً**». (3)

قال الطبرانى: لم يروه عن عاصم إلا شريك تفرد به معلى.

قال الطبرانى: وحدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقى، حدثنا عمرو بن أبى سلمة، حدثنا صدقة عن هاشم بن زيد عن سليم بن أبى يحيى أنه سمع أبا أمامة يحدث أنه سمع

(1) **إسناده ضعيف**: انظر «ظلال الجنة» للألبانى حديث رقم (636).
(2) **صحيح**: انظر الصحيحة للألبانى (3351).
(3) **ضعيف**: ضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (1830).

رسول الله ﷺ وسئل: «هل يتناكح أهل الجنة؟ قال: **بذكر لا يمل، وشهوة لا تنقطع دحماً دحماً**».(1)

قال الطبراني: وحدثنا أحمد بن يحيى الحلواني، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا خالد بن يزيد ابن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ سئل: «أيجامع أهل الجنة؟ قال: **دحماً دحماً، ولكن لا منى ولا منية**»(2) وهاشم وخالد وإن تكلم فيهما فليس الاعتماد عليهما، وقوله: «**لا منى ولا منية**». أي: لا إنزال ولا موت، وقال أبو نعيم: حدثنا أبو عليّ محمد ابن أحمد، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرى، حدثنا عبد الرحمن بن زياد، حدثنا عمار بن راشد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه سئل: «هل يمس أهل الجنة أزواجهم؟ قال: **نعم، بذكر لا يمل، وفرج لا يحفى، وشهوة لا تنقطع**». (3)

وقال الحسن بن سفيان في مسنده: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا عثمان بن أبي العاتكة عن عليّ بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال سئل رسول الله ﷺ: «هل ينكح أهل الجنة؟ قال: **إي والذي بعثني بالحق دحماً دحماً**، وأشار بيده، **ولكن لا منى ولا منية**»(4) وقال: سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن أبي عمرو عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ**﴾ (يس: 55) قال في افتضاض الأبكار. وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا أبو الربيع الزهراني ومحمد بن حميد، قالا: حدثنا يعقوب بن عبد الله، حدثنا حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ**﴾ قال شغلهم: افتضاض العذارى. وقال الحاكم: أنبأنا الأصم، أنبأنا العباس بن الوليد أخبرني شعيب عن الأوزاعي، في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ**﴾ قال: شغلهم افتضاض الأبكار. وقال مقاتل: شغلوا بافتضاض العذارى عن أهل النار فلا يذكرونهم ولا يهتمون لهم، وقال أبو الأحوص: شغلوا بافتضاض الأبكار على السرر في الحجال، وقال سليمان التيمي عن أبي مجلز، قلت لابن عباس عن قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ**﴾ ما شغلهم؟ قال: افتضاض الأبكار. وقال ابن أبي الدنيا، حدثنا فضيل بن عبد الوهاب، حدثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمي عن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿**فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ**﴾ قال: في افتضاض العذارى. حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير: «إن شهوته

---

(1) أخرجه الطبراني «الكبير» (8/ 160) (7674) وأبو نعيم «صفة الجنة» (368).

(2) الطبراني «الكبير» (8/ 96) (7479)، وأبو نعيم «صفة الجنة» (367).

(3) أبو نعيم «صفة الجنة» (366) وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي وهو ضعيف.

(4) أبو نعيم «صفة الجنة» (369).

لتجرى فى جسده سبعين عاماً يجد اللذة ولا يلحقهم بذلك جنابة، فيحتاجون إلى التطهير، ولا ضعف ولا انحلال قوة، بل وطؤهم وطء التذاذ ونعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه».

وأكمل الناس فيه أصونهم لنفسه فى هذه الدار عن الحرام، فكما أن من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة، ومن لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة، ومن أكل فى صحاف الذهب والفضة فى الدنيا لم يأكل فيها فى الآخرة، كما قال النبى ﷺ : **«إنها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة»**. (1)

فمن استوفى طيباته ولذاته وأذهبها فى هذه الدار حرمها هناك، كما نعى سبحانه على من أذهب طيباته فى الدنيا، واستمتع بها، ولهذا كان الصحابة ومن تبعهم يخافون من ذلك أشد الخوف، وذكر الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله: «أنه رآه عمر ومعه لحم قد اشتراه لأهله بدرهم فقال: ما هذا؟ !! قال: لحم اشتريته لأهلى بدرهم، فقال: أو كلما اشتهى أحدكم شيئاً اشتراه !! أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿ **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا** ﴾ (الأحقاف: 20).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا جرير بن حازم، قال: حدثنا الحسن قال: «قدم وفد أهل البصرة مع أبى موسى على عمر، فكنا ندخل عليه كل يوم وله خبز يلت، ربما وافقناها مأدومة بالسمن، وربما وافقناها مأدومة بالزيت، وربما وافقناها مأدومة باللبن، وربما وافقنا القدائد اليابسة، قد دقت ثم أغلى بماء، وربما وافقنا اللحم الغريض وهو قليل، فقال ذات يوم: إنى والله قد أرى تقديركم وكراهيتكم لطعامى، إنى والله لو شئت لكنت من ألينكم طعاماً، وأرقكم عيشاً، ولكنى سمعت الله تعالى: «عير قوماً بأمر فعلوه فقال: ﴿ **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا** ﴾ (الأحقاف:20)، **فمن ترك اللذة المحرمة لله استوفاها يوم القيامة أكمل ما تكون، ومن استوفاها هاهنا حرمها هناك أو نقص كمالها، فلا يجعل الله لذة من أوضع فى معاصيه ومحارمها كلذة من ترك شهوته لله أبداً**»(2) والله أعلم.

---

(1) صحيح : أخرجه أبو داود (3723)، والترمذى (1878)، وصححه الألبانى وانظر الإرواء (32).
(2) أخرجه أحمد «الزهد» ص (143).

الباب السادس والخمسون

في ذكر اختلاف الناس هل في الجنة حمل وولادة أم لا ؟

قال الترمذي في جامعه، حدثنا بندار، حدثنا معاذ بن هشام قال: حدثني أبي عن عامر الأحول، عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ : «**المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهى**» قال: هذا حديث حسن غريب، وقد اختلف أهل العلم في هذا. فقال بعضهم: في الجنة جماع ولا يكون ولد، هكذا روى عن طاوس ومجاهد وإبراهيم النخعي. وقال محمد - يعني البخاري - قال إسحاق بن إبراهيم في حديث النبي ﷺ : «إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان في ساعة كما يشتهى، ولكن لا يشتهى»(1). قال محمد: وقد روى عن أبي رزين العقيلي عن النبي ﷺ قال: «**إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد**» وأبو الصديق الناجي اسمه بكر بن عمرو، ويقال: بكر بن قيس. انتهى كلام الترمذي.

قلت: إسناد حديث أبي سعيد على شرط الصحيح فرجاله محتج بهم فيه، ولكنه غريب جداً، وتأويل إسحاق فيه نظر، فإنه قال: إذا اشتهى المؤمن الولد، فـ [إذا] للمتحقق الوقوع، ولو أريد ما ذكره من المعنى، لقال: لو اشتهى المؤمن الولد لكان حمله في ساعة، فإن ما لا يكون أحق بأداة لو كما أن المتحقق الوقوع أحق بأداة إذا، وقد قال أبو نعيم: حدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا سفيان الثوري عن أبان عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: «قيل يا رسول الله: أيولد لأهل الجنة، فإن الولد من تمام السرور؟ فقال: **نعم والذي نفسي بيده وما هو إلا كقدر ما يتمنى أحدكم فيكون حمله ورضاعه وشبابه**».(2)

حدثنا أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن أحمد الرازي بمكة، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، حدثنا سليمان بن داود القزاز، حدثنا يحيى بن حفص الأسدي. قال: سمعت أبا عمرو ابن العلاء يحدث عن جعفر بن زيد العبدي عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الرجل من أهل الجنة ليولد له كما يشتهى، فيكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة**».(3)

---

(1) صحيح : أخرجه الترمذي (2563)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

(2،3) أبو نعيم «صفة الجنة» (275).

وحديث معاذ بن هشام قال فيه بندار: عامر الأحوال، وقال عمرو بن على: عاصم الأحول، وقال الحاكم: أنبأنا الأصم، حدثنا محمد بن عيسى، حدثنا سلام بن سليمان، حدثنا سلام الطويل عن زيد العمى عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى يرفعه: «**إن الرجل من أهل الجنة ليشتهى الولد فى الجنة فيكون حمله وفصاله وشبابه فى ساعة واحدة**». قال البيهقى: هذا إسناد ضعيف بمرة، وأما حديث أبى رزين الذى أشار إليه البخارى فهو حديثه الطويل، ونحن نسوقه بطوله نجمل به الكتاب فعليه من الجلالة والمهابة ونور النبوة ما ينادى على صحته.

قال عبد الله ابن الإمام أحمد فى مسند أبيه(1): كتب إلىَّ إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك، فحدث بذلك عنى قال: حدثنى عبد الرحمن بن المغيرة الحزامى، قال: حدثنى عبد الرحمن بن عياش السمعى الأنصارى القبائى من بنى عمرو بن عوف عن دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلى عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر. قال دلهم: وحدثنيه أبو الأسود عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له: نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق. قال لقيط: فخرجت أنا وصاحبى حتى قدمنا على رسول الله ﷺ حين انصرف من صلاة الغداة، فقام فى الناس خطيباً فقال: «**أيها الناس ألا إنى قد خبأت لكم صوتى منذ أربعة أيام ألا لأسمعكم، ألا فهل من امرئ بعثه قومه؟ فقالوا: أعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ ؟ ألا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال ألا إنى مسئول، ألا هل بلغت، ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا ألا اجلسوا**، قال: فجلس الناس، وقمت أنا وصاحبى حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره، قلت: يا رسول الله ما عندك من علم الغيب؟ فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم أنى أبتغى سقطه، قال: **ضن ربك عز وجل بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله**، وأشار بيده قلت: وما هى؟ قال: **علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه، وعلم المنى حين يكون فى الرحم قد علمه ولا تعلمون وعلم ما فى غد ما أنت طاعمه غداً ولا تعلمه، وعلم يوم الغيث يشرف عليكم أذلين مشفقين، فيظل يضحك قد علم أن غيَركم إلى قريب**. قال لقيط: قلت: لن نعدم من رب يضحك خيراً، **وعلم يوم الساعة**، قلت: يا رسول الله، علمنا مما تُعلِّم الناس وما تعلم، فإنا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أحد، من

---

(1) سبق تخريجه ص 206 : حديث لقيط بن صبرة.

مذحج التى تربو علينا، وخثعم التى توالينا، وعشيرتنا التى نحن منها، قال: **تلبثون ما لبثتم ثم يتوفى نبيكم ثم تلبثون ما لبثتم، ثم تبعث الصائحة. لعمر إلهك ما تدع على ظهرها شيئاً إلا مات، والملائكة الذين مع ربك عز وجل، فأصبح ربك عز وجل يطوف فى الأرض وخلت عليه البلاد، فأرسل ربك عز وجل السماء تهضب من عند العرش، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى تجعله من عند رأسه، فيستوى جالساً فيقول: ربك مَهْيَم، لما كان فيه. يقول: يا رب أمتنى اليوم ولعهده بالحياة يحسبه حديثاً بأهله،** فقلت: يا رسول الله، كيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياح والبلى والسباع؟ قال: **أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله، الأرض أشرفت عليها وهى مَدَرة بالية. فقلت: لا تحيا أبداً ثم أرسل ربك عز وجل عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أياماً حتى أشرفت عليها وهى شرية واحدة، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعهم من الماء على أن يجمع نبات الأرض، فيخرجون من الأضواء ومن مصارعهم فتنظرون إليه وينظر إليكم،** قال: قلت: يا رسول الله، فكيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه، قال: **أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله عز وجل: الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما، ويريانكم ساعة واحدة، لا تضارون فى رؤيتهما، ولعمر إلهك، لهو أقدر على أن يراكم وترونه منهما،** قلت: يا رسول الله فما يفعل بنا ربنا عز وجل إذا لقيناه؟ قال: **تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا يخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من الماء، فينضح قلبكم بها، فلعمر إلهك ما يخطئ وجه أحد منكم منها قطرة، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء، وأما الكافر فتحطمه بمثل الحمم الأسود، ألا ثم ينصرف نبيكم رسول الله ﷺ، ويفترق على أثره الصالحون فيسلكون جسراً من النار فيطأ أحدكم الجمرة فيقول: حس، فيقول ربك: أوانه، فيطلعون على حوض الرسول ﷺ على أظمأ والله ناهلة قط ما رأيتها، فلعمر ربك ما يبسط واحد منكم يده إلا وقع عليها قدح مطهرة من الطَّوف والبول والأذى، وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منهما واحداً** قال: قلت: يا رسول الله: فبم تبصر؟ قال: **بمثل بصرك ساعتك هذه،** وذلك مع طلوع الشمس فى يوم أشرقته الأرض، ثم واجهته الجبال. قال: قلت: يا رسول الله فبم نجزى من حسناتنا وسيئاتنا؟ قال: **الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها إلا أن يعفو،** قال: قلت: يا رسول الله ما الجنة ما النار؟ قال: **لعمر إلهك إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً، وأن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً،** قال: قلت يا رسول الله فعلى ما نطلع من

الجنة؟ قال: **على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها من صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وبفاكهة لعمر إلهك مما تعلمون وخير من مثله معه. وأزواج مطهرة**، قلت: يا رسول اللّه، ولنا فيها أزواج أو منهن مصلحات؟ قال: **الصالحات للصالحين، تلذذونهن مثل لذاتكم فى الدنيا ويلذذن بكم غير أن لا توالد**، قال لقيط: فقلت: أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه، فلم يجبه النبى ﷺ : فقلت: يا رسول اللّه علام أبايعك؟ قال: فبسط النبى ﷺ يده، وقال: **على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وذيال الشرك وأن لا تشرك باللّه إلهاً غيره**، قال، قلت: وإن لنا ما بين المشرق والمغرب؟ فقبض النبى ﷺ يده وبسط أصابعه وظن أنى مشترط شيئاً لا يعطينيه.

قال: قلت، نحل منها حيث شئنا ولا يجنى امرئ إلا نفسه فبسط يده، وقال: ذلك لك تحل حيث شئت ولا يجنى عليك إلا نفسك. قال: فانصرفنا عنه ثم قال: **إن هذين لعمر إلهك من اتقى الناس فى الأولى والآخرة**، فقال له كعب بن الحذرية أخو بنى بكر بن كلاب: من هم يا رسول اللّه؟ قال: **بنو المنتفق أهل ذلك**، قال فانصرفنا وأقبلت عليه فقلت: يا رسول اللّه، هل لأحد ممن مضى من خير فى جاهليتهم؟ قال: **قال رجل من عرض قريش، واللّه إن أباك المنتفق لفى النار**، قال: فكأنه وقع حر بين جلدى ووجهى ولحمى مما قال لأبى على رؤوس الناس، فهممت أن أقول وأبوك يا رسول اللّه، ثم إذا الأخرى أجهل، فقلت يا رسول اللّه وأهلك؟ قال: **وأهلى لعمر اللّه ما أتيت عليه من قبر عامرى أو قرشى من مشرك فقل: أرسلنى إليك محمد ﷺ ، فأبشرك بما يسوؤك تجر على وجهك وبطنك فى النار**.

قال: قلت: يا رسول اللّه ما فعل بهم ذلك، وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه وكانوا يحسبون مصلحين؟ قال: **ذلك بأن اللّه عز وجل بعث فى آخر كل سبع أمم -يعنى- نبياً، فمن عصى نبيه كان من الضالين، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين**».

هذا حديث كبير مشهور لا يعرف إلا من حديث أبى القاسم عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن المدنى ثم من رواية إبراهيم بن حمزة الزبيرى المدنى عنه، وهما من كبار علماء أهل المدينة ثقتان يحتج بهما فى الحديث، احتج بهما الإمام محمد بن إسماعيل البخارى وروى عنهما فى مواضع من كتابه. رواه أئمة الحديث فى كتبهم منهم أبو عبد الرحمن بن عبد اللّه ابن الإمام أحمد وأبو بكر أحمد بن عمرو بن أبى عاصم وأبو القاسم الطبرانى، وأبو الشيخ الحافظ

وأبو عبد الله ابن منده والحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه والحافظ أبو النعيم الأصفهانى وغيرهم على سبيل القبول والتسليم.

قال الحافظ أبو عبد الله ابن منده: روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصغانى وعبد الله ابن أحمد بن حنبل وغيرهما وقرؤوه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين فلم ينكره أحد منهم ولم يتكلم فى إسناده، وكذلك أبو زرعة وأبو حاتم على سبيل القبول. وقال أبو الخير ابن حمدان: هذا حديث كبير ثابت حسن مشهور. وسألت شيخنا أبا الحجاج المزى عنه فقال عليه جلالة النبوة.

وقال نفاة الإيلاد: فهذا حديث صريح فى انتفاء الولد وقوله (إذا اشتهى) معلق بالشرط، ولا يلزم من التعليق وقوع المعلق ولا المعلق به، وإذا وإن كانت ظاهرة فى المحقق فقد تستعمل لمجرد التعليق الأعم من المحقق وغيره، قالوا: وفى هذا الموضع يتعين ذلك لوجوه:

أحدها: حديث أبى رزين هذا.

والثانى: قوله تعالى: ﴿**وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ**﴾ (البقرة:25) وهن اللاتى طهرن من الحيض والنفاس والأذى. قال سفيان: أنبأنا ابن أبى نجيح عن مجاهد: مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبصاق والمنى والولد، قال أبو معاوية حدثنا أبى جريج عن عطاء: ﴿**أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ**﴾ قال: من الولد والحيض والغائط والبول.

الثالث: قوله: (**غير أنه لا منى ولا منية**) وقد تقدم. والولد إنما يخلق من ماء الرجل، فإذا لم يكن هناك منى ولا مذى ولا نفخ فى الفرج لم يكن هنا إيلاد.

الرابع: أنه قد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: «**يبقى فى الجنة فضل فينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم إياها**»[1] ولو كان فى الجنة إيلاد لكان الفضل لأولادهم وكانوا أحق به من غيرهم.

الخامس: أن الله سبحانه وتعالى جعل الحمل والولادة مع الحيض والمنى، فلو كانت النساء يحبلن فى الجنة لم ينقطع عنهن الحيض والإنزال.

---

(1) **صحيح** : أخرجه البخارى (7384)، ومسلم (2848)، وأحمد (13391) عن قتادة عن أنس.

السادس: أن اللّه سبحانه قدر التناسل فى الدنيا، لأنه قدر الموت وأخرجهم إلى هذه الدار قرناً بعد قرن، وجعل لهم أمداً ينتهون إليه، فلولا التناسل لبطل النوع الإنسانى، ولهذا الملائكة لا تتناسل، فإنهم لا يموتون كما تموت الإنس والجن، فإذا كان يوم القيامة أخرج اللّه سبحانه الناس كلهم من الأرض، وأنشأهم للبقاء لا للموت فلا يحتاجون إلى تناسل يحفظ النوع الإنسانى إذ هو منشأ للبقاء والدوام، فلا أهل الجنة يتناسلون ولا أهل النار يتناسلون.

السابع: أنه سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ (الطور:21) فأخبر سبحانه أنه يكرمهم بإلحاق ذرياتهم الذين كانوا لهم فى الدنيا، ولو كان ينشئ لهم فى الجنة ذرية أخرى لذكرهم كما ذكر ذرياتهم الذين كانوا فى الدنيا، لأن قرة أعينهم كانت تكون بهم، كما هى بذرياتهم من أهل الدنيا.

الثامن: أنه إما أن يقال باستمرار التناسل فيها لا إلى غاية أو إلى غاية، ثم ينقطع وكلاهما مما لا سبيل إلى القول به لاستلزام الأول اجتماع أشخاص لا تتناهى، واستلزم الثانى انقطاع نوع من لذة أهل الجنة وسرورهم وهو محال، ولا يمكن أن يقال: بتناسل يموت معه نسل ويخلفه نسل إذ لا موت هناك.

التاسع: أن الجنة لا ينمو فيها الإنسان كما ينمو فى الدنيا، فلا ولدان أهلها ينمون ويكبرون ولا الرجال ينمون كما تقدم، بل هؤلاء ولدان صغار لا يتغيرون، وهؤلاء أبناء ثلاث وثلاثين لا يتغيرون، ولو كان فى الجنة ولادة لكان المولود ينمُو ضرورة حتى يصير رجلاً. ومعلوم أن من مات من الأطفال يردون أبناء ثلاث وثلاثين من غير نمو. يوضحه:

الوجه العاشر: أن اللّه سبحانه وتعالى ينشئ أهل الجنة نشأة الملائكة أو أكمل من نشأتهم بحيث لا يبولون ولا يتغوطون ولا ينامون، ويلهمون التسبيح، ولا يهرمون على تطاول الأحقاب، ولا تنمو أبدانهم بل القدر الذى جعلوا عليه لازم لهم أبداً واللّه تعالى أعلم. فهذا ما فى هذه المسألة، فأما قول بعضهم: إن القدرة صالحة والكل ممكن، وقول آخرين: إن الجنة دار المكلفين التى يستحقونها بالعمل وأمثال هذه المباحث فرخيصة، وهى فى كتب الناس. وباللّه التوفيق.

وقال الحاكم: قال الأستاذ أبو سهل: أهل الزيغ ينكرون هذا الحديث يعنى حديث الولادة فى الجنة. وقد روى فيه غير إسناد، وسئل النبى ﷺ عن ذلك فقال: يكون ذلك على نحو مما روينا

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ**﴾ (الزخرف:71)، وليس بالمستحيل أن يشتهى المؤمن الممكن من شهواته المصفى المقرب المسلط على لذاته قرة عين وثمرة فؤاد من الذين أنعم الله عليهم بأزواج مطهرة.

فإن قيل: ففى الحديث أنهن لا يحضن ولا ينفسن فأنى يكون الولد؟

قلت: الحيض سبب الولادة الممتد أمده بالحمل على الكره والوضع عليه كما أن جميع ملاذ الدنيا من المشارب والمطاعم والملابس على ما عرف من التعب والنصب، وما يعقب كل منهما مما يحذر منه ويخاف من عواقبه، وهذه خمرة الدنيا المحرمة المسئولية على كل بلية قد أعدها الله تعالى لأهل الجنة منزوعة البلية موفرة اللذة فلم لا يجوز أن يكون على مثله الولد!! انتهى كلامه.

قلت: النافون للولادة فى الجنة لم ينفوها لزيغ فى قلوبهم، ولكن لحديث أبى رزين «**غير أن لا توالد**»، وقد حكينا قول عطاء وغيره أنهن مطهرات من الحيض والولد، وقد حكى الترمذى عن أهل العلم من السلف والخلف فى ذلك قولين، وحكينا قول أبى إسحاق بإنكاره، وقال أبو أمامة فى حديثه: «**غير أن لا منى ولا منية**» والجنة ليست دار تناسل بل دار بقاء وخلد لا يموت من فيها فيقوم نسله مقامه. وحديث أبى سعيد الخدرى هذا أجود أسانيده إسناد الترمذى، وقد حكم بغرابته وأنه لا يعرف إلا من حديث أبى الصديق الناجى، وقد اضطرب لفظه فتارة يروى عنه (إذا اشتهى الولد)، وتارة (إنه ليشتهى الولد)، وتارة (إن الرجل من أهل الجنة ليولد له)، فالله أعلم، فإن كان رسول الله ﷺ قد قاله فهو الحق الذى لا شك فيه، وهذه الألفاظ لا تنافى بينها ولا تناقض حديث أبى رزين «**غير أن لا توالد**» إذ ذاك نفى للتوالد المعهود فى الدنيا، ولا ينفى ولادة حمل الولد فيها ووضعه وسنه وشبابه فى ساعة واحدة، فهذا ما انتهى إليه علمنا القاصر فى هذه المسألة، ولقد أتينا فيها بما لعلك لا تجده فى غير هذا الكتاب. والله أعلم بالصواب.



الباب السابع والخمسون

فى ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين وما فيه من الطرب واللذة

قال تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ** ﴾ (الروم:14، 15)، قال محمد بن جرير: حدثنى محمد بن موسى الحرشى حدثنا عامر بن يساف قال: سألت يحيى بن أبى كثير عن قوله عز وجل: ﴿ **فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ** ﴾ قال الحبرة: اللذة والسماع، حدثنا عبد الله بن محمد الفريابى حدثنا ضمرة بن ربيعة عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير فى قوله: ﴿ **يُحْبَرُونَ** ﴾ قال: السماع فى الجنة. ولا يخالف هذا قول ابن عباس: يكرمون. وقول مجاهد، وقتادة: ينعمون، فلذة الأذن بالسماع من الحبرة والنعيم.

وقال الترمذى: حدثنا هناد وأحمد بن منيع قالا: حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علىّ قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن فى الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها، يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له**»[1] وفى الباب عن أبى هريرة وأبى سعيد وأنس وحديث علىّ حديث غريب.

قلت: وفى الباب عن ابن أبى أوفى وأبى أمامة، وعبد الله بن عمر أيضاً، فأما حديث أبى هريرة: فقال جعفر الفريابى، حدثنا سعيد بن حفص حدثنا محمد بن مسلمة عن أبى عبد الرحيم عن زيد بن أبى أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبى صالح عن أبى هريرة قال: «إن فى الجنة نهراً طول الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات، ويغنين بأصوات حتى يسمعها الخلائق، ما يرون فى الجنة لذة مثلها، فقلنا: يا أبا هريرة وما ذاك الغناء؟ قال: إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب عز وجل» هكذا رواه موقوفاً.[2]

وروى أبو نعيم فى صفة الجنة من حديث مسلمة بن علىّ عن زيد بن واقد عن رجل عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن فى الجنة شجرة جذوعها من ذهب، وفروعها من زبرجد ولؤلؤ، فتهب لها ريح فيصطفقن فما سمع السامعون بصوت شىء قط ألذ منه**».[3]

---

(1) **ضعيف** : أخرجه الترمذى (2564)، وضعفه الألبانى فقال : «وعلته عبد الرحمن بن إسحاق هذا وهو ضعيف»، وانظر الضعيفة (1982).

(2) **صحيح موقوف** : صححه الألبانى فى «صحيح الترغيب والترهيب» (3751) موقوفاً على أبى هريرة وانظره فى الضعيفة (11/ 49).

(3) **ضعيف جداً** : ضعفه الألبانى فى «ضعيف الترغيب والترهيب» (2203) بقوله : ضعيف جداً.

وأما حديث أنس: فقال أبو نعيم: أنبأنا عبد الله بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم، حدثنا ابن أبى فديك عن ابن أبى ذئب عن عون بن الخطاب بن عبد الله بن رافع عن ابن لأنس عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الحور يغنين فى الجنة، نحن الحور الحسان، خلقن لأزواج كرام**»[1] ورواه ابن أبى الدنيا، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا إسماعيل بن عمرو، حدثنا ابن أبى ذئب عن أبى عبد الله بن رافع عن بعض ولد أنس فذكره.

وأما حديث ابن أبى أوفى، فقال أبو نعيم: حدثنا عبد الله محمد بن جعفر من أصله حدثنا حامد بن يحيى البلخى، حدثنا يونس بن محمد المؤدب، حدثنا الوليد بن أبى ثور حدثنى سعد الطائى عن عبد الرحمن بن سابط عن ابن أبى أوفى قال: قال رسول الله ﷺ : «**يزوج إلى كل واحد من أهل الجنة أربعة آلاف بكر، وثمانية آلاف أيم، ومائة حوراء، فيجتمعن فى كل سبعة أيام فيقلن بأصوات حسان، لم تسمع الخلائق بمثلهن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن، طوبى لمن كان لنا وكنا له**»[2]

وأما حديث أبى أمامة، فقال جعفر الفريابى: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، حدثنا خالد بن يزيد أبى مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبى أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «**ما من عبد يدخل الجنة، إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين، يغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن، وليس بمزامير الشيطان**».[3]

وأما حديث ابن عمر، فقال الطبرانى: حدثنا أبو رفاعة عمارة بن وثيمة بن موسى الفرات المصرى، حدثنا سعيد بن أبى مريم، حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط، إن مما يغنين به: نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرن بقرة أعيان، وإن ما يغنين به نحن الخالدات فلا نمتنه، نحن الآمنات فلا نخفنه، نحن المقيمات فلا نعنه**»[4] قال الطبرانى: لم يروه عن زيد بن أسلم إلا محمد تفرد به ابن أبى مريم.

---

(1) **صحيح** : صححه الألبانى، وانظر الصحيحة (3002)، و«صحيح الترغيب والترهيب» (3750).

(2) **منكر** : ضعفه الألبانى فى «ضعيف الترغيب والترهيب» (2233) بقوله : «منكر».

(3) **ضعيف جداً** : أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (8/ 113/ 7478)، وقال العلامة الألبانى : «ضعيف جداً»، وانظر الضعيفة (5028).

(4) **صحيح** : عزاه المنذرى للطبرانى فى «الصغير والأوسط»، وقال : ورواتهما رواة الصحيح، وصححه الألبانى فى «صحيح الترغيب» (3749).

وقال ابن وهب: حدثني سعيد بن أبي أيوب قال: قال رجل من قريش لابن شهاب: هل فى الجنة سماع فإنه حُبب إلىَّ السماع؟ فقال: إى والذى نفس ابن شهاب بيده، إن فى الجنة لشجراً حمله اللؤلؤ والزبرجد، تحته جوار ناهدات يتغنين بالقرآن يقلن: نحن الناعمات لا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضاً، فأجبن الجوارى، فلا يدرى أصوات الجوارى أحسن أم أصوات الشجر».

قال ابن وهب: وحدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد «أن الحور العين يغنين أزواجهن فيقلن: نحن الخيرات الحسان، أزواج شبان كرام، ونحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن، فى صدر إحداهن مكتوب: أنت حبى وأنا حبك انتهت نفسى عندك، لم تر عيناى مثلك» وقال ابن المبارك: حدثنا الأوزاعى حدثنا يحيى بن أبى كثير: «إن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن: طالما انتظرناكم، فنحن الراضيات فلا نسخط، والمقيمات فلا نظعن، والخالدات فلا نموت، بأحسن أصوات سمعت. تقول: أنت حبى وأنا حبك، ليس دونك مقصر ولا وراءك معدل».

فصل

قال ابن أبى الدنيا: حدثنى دحيم بن الفضل القرشى، حدثنا رواد بن الجراح عن الأوزاعى قال: «بلغنى أنه ليس من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل، فيأمره الله تبارك وتعالى فيأخذ فى السماع: فما يبقى ملك فى السموات إلا قطع عليه صلاته، فيمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث، فيقول الله عز وجل: وعزتى لو يعلم العباد قدر عظمتى ما عبدوا غيرى»، وحدثنى داود بن عمرو الضبى، حدثنا عبد الله بن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان: أسكنوهم رياض المسك. ثم يقول للملائكة أسمعوهم تمجيدى وتحميدى».

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنى محمد بن الحسين، حدثنى عبد الله بن أبى بكر، حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار فى قوله عز وجل: ﴿**وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ**﴾قال: إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع فوضع فى الجنة، ثم نودى: يا داود مجدنى بذلك الصوت الحسن الرخيم الذى كنت تمجدنى به فى دار الدنيا، قال: فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنان فذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ**﴾(ص: 40) .

وذكر حماد بن سلمة عن ثابت البنانى وحجاج الأسود عن شهر بن حوشب قال: «إن الله

جل ثناؤه يقول للملائكة: إن عبادى كانوا يحبون الصوت الحسن فى الدنيا فيدعونه من أجلى فأسمعوا عبادى، فيأخذون بأصوات من تهليل أو تسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثله قط».

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد فى كتاب «الزهد» لأبيه: حدثنى علىّ بن مسلم الطوسى، حدثنا سيار، حدثنا جعفر، حدثنا مالك بن دينار «فى قوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ قال: يقيم الله سبحانه داود عند ساق العرش فيقول: يا داود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم، فيقول: إلهى كيف أمجدك وقد سلبتنيه فى دار الدنيا؟ قال: فيقول: الله عز وجل: فإنى أرده عليك، قال: فيرده عليه فيزداد صوته قال: فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة».

وقال ابن أبى داود: حدثنا مسلم بن إبراهيم الحرانى حدثنا مسكين بن بكير عن الأوزاعى عن عبدة بن أبى لبابة قال: «إن فى الجنة شجرة ثمرها زبرجد وياقوت ولؤلؤ، فيبعث الله ريحاً فتصفق فيسمع لها أصوات لم يسمع ألذ منها».

حدثنا أبو بكر ابن يزيد، وإبراهيم بن سعيد قالا: حدثنا أبو عامر العقدى حدثنا زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال: «إن فى الجنة شجرة على ساق قدر ما يسير الراكب فى ظلها مائة عام فيتحدثون فى ظلها فيشتهى بعضهم، فيذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحاً من الجنة، فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا».

حدثنى إبراهيم بن سعيد، حدثنا علىّ بن عاصم، حدثنا سعيد بن أبى سعيد الحارثى قال: حدثت: «أن فى الجنة آجاماً من قصب من ذهب حملها اللؤلؤ، فإذا اشتهى أهل الجنة أن يسمعوا صوتاً حسناً بعث الله على تلك الآجام ريحاً فتأتيهم بكل صوت يشتهونه».

فصل

ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع، وذلك حين يسمعون كلام الرب جل جلاله وخطابه وسلامه عليهم ومحاضرته لهم، ويقرأ عليهم كلامه، فإذا سمعوه منه، فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك، وسيمر بك أيها السنى من الأحاديث الصحاح والحسان فى ذلك ما هو من أحب سماع لك فى الدنيا وألذ لأذنك وأقره لعينك، إذ ليس فى الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرب تعالى، وسماع كلامه منه ولا يعطى أهل الجنة شيئاً أحب إليهم من ذلك.

وقد ذكر أبو الشيخ عن صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة قال: «إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله فيقرأ عليهم القرآن، وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذى هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والذهب والزمرد، فلم تقر أعينهم بشىء، ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين قريرة أعينهم، إلى مثلها من الغد».

الباب الثامن والخمسون

فى ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم

قال الترمذى: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا عاصم بن علىّ حدثنا المسعودى عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه: «أن رجلاً سأل النبى ﷺ فقال: يا رسول الله هل فى الجنة من خيل؟ قال: «**إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك فى الجنة حيث شئت إلا فعلت**»، قال: وسأله رجل فقال: يا رسول الله هل فى الجنة من إبل؟ قال: فلم يقل ما قال لصاحبه، قال: **إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك**». (1)

حدثنا سويد بن نصر أنبأنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط عن النبى ﷺ نحوه بمعناه، وهذا أصح من حديث المسعودى.

حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسى، حدثنا أبو معاوية عن واصل بن السائب عن أبى سورة عن أبى أيوب قال: «أتى النبى ﷺ أعرابى فقال: يا رسول الله إنى أحب الخيل أفى الجنة خيل؟ قال رسول الله ﷺ : **إن دخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه ثم طار بك حيث شئت**». (2) قال الترمذى: هذا حديث ليس إسناده بالقوى ولا نعرفه من حديث أبى أيوب إلا من هذا الوجه، وأبو سورة هو ابن أخى أبى أيوب يضعف فى الحديث، ضعفه ابن معين جداً، قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أبو سورة هذا منكر الحديث يروى مناكير عن أبى أيوب لا يتابع عليها.

قلت: أما حديث علقمة بن مرثد، فقد اضطرب فيه علقمة، فمرة يقول عن سليمان بن بريدة عن أبيه، ومرة يقول عن عبد الرحمن بن سابط عن عبد الرحمن بن ساعدة قال: «كنت أحب الخيل فقلت: هل فى الجنة خيل يا رسول الله». ومرة يقول عن عبد الرحمن بن سابط عن النبى ﷺ ، والترمذى جعل هذا أصح من حديث المسعودى لأن سفيان أحفظ منه، وأثبت. وقد رواه أبو نعيم من حديث علقمة هذا فقال عن أبى صالح عن أبى هريرة: «أن أعرابياً

---

(1) ضعيف : أخرجه الترمذى (2543)، وضعفه الألبانى فى ضعيف الترمذى، المشكاة (5642).

(2) ضعيف : أخرجه الترمذى (2544)، وضعفه الألبانى فى ضعيف الترمذى والضعيفة.

قال: يا رسول الله فى الجنة إبل؟ قال: **يا أعرابى إن يدخلك الله الجنة رأيت فيها ما تشتهى نفسك وتلذ عينك**» ورواه أيضاً من حديث علقمة عن يحيى بن إسحاق عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ فى ذكر الجنة فقال: «**والفردوس أعلاها سمواً وأوسعها محلة ومنها تفجر أنهار الجنة، وعليها يوضع العرش يوم القيامة**، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله إنى رجل حبب إلىَّ الخيل فهل فى الجنة خيل؟ قال: **إى والذى نفسى بيده إن فى الجنة خيلاً وإبلاً هفافة تزف بين خلال ورق الجنة، يتزاورون عليها حيث شاؤوا**، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله إنى حبب إلىّ الإبل» وذكر الحديث. وأما حديث أبى سورة فلا يعرف إلا من حديث واصل بن السائب عنه ولم يروه عنه غيره، وغير يحيى بن جابر الطائى. وقد أخرج له أبو داود حديث: «**ستفتح عليكم الأمصار وتجندون أجناداً**»[1] وأخرج له ابن ماجه عن أبى أيوب: «رأيت النبى ﷺ توضأ فخلل لحيته»[2] وحديثاً آخر فى تفسير قوله تعالى ﴿**حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا**﴾ وأخرج له الترمذى حديث «**خيل الجنة**» فقط. ورواه أبو نعيم من حديث جابر بن نوح عن واصل به وقال: «**إن أهل الجنة ليتزاورون على نجائب بيض، كأنها الياقوت، وليس فى الجنة من البهائم إلا الخيل والإبل**».

وقال أبو الشيخ حدثنا القاسم بن زكريا، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا مروان بن معاوية عن الحاكم بن أبى خالد عن الحسن البصرى عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لها أجنحة لا تروث ولا تبول فقعدوا عليها ثم طارت بهم فى الجنة، فيتجلى لهم الجبار، فإذا رأوه خروا سجداً فيقول لهم الجبار تبارك وتعالى: ارفعوا رؤوسكم فإن هذا ليس يوم عمل، إنما هو يوم نعيم وكرامة، قال: فيرفعون رؤوسهم فيمطر الله عليهم طيباً، فيمرون بكثبان المسك، فيبعث الله على تلك الكثبان ريحاً، فتهيجها عليهم حتى إنهم ليرجعون إلى أهليهم وإنهم لشعث غبر**».

وقال عبد الله بن المبارك حدثنا: همام عن قتادة عن عبد الله بن عمرو قال: «فى الجنة عتاق الخيل، وكرائم النجائب يركبها أهلها».[3]

---

(1) **ضعيف** : أخرجه أبو داود (2525)، وضعفه الألبانى فى ضعيف أبى داود.

(2) **صحيح لغيره** : أخرجه ابن ماجه (433)، عن أبى سورة عن أبى أيوب الأنصارى، وقال العلامة الألبانى فى صحيح ابن ماجه : «صحيح بما قبله».

(3) ابن المبارك «زوائد الزهد» (231).

الباب التاسع والخمسون

فى زيارة أهل الجنة بعضهم بعضاً، وتذاكرهم ما كان بينهم فى الدنيا

قال تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ (الصافات: 50، 57) أخبر سبحانه وتعالى: أن أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض يتحدثون، ويسأل بعضهم بعضاً عن أحوال كانت فى الدنيا، فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم: كان لى قرين فى الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة، ويقول ما حكاه الله عنه يقول: أئنك لمن المصدقين بأنا نبعث ونجازى بأعمالنا ونحاسب بها بعد أن مزقنا البلى، وكنا تراباً وعظاماً، ثم يقول المؤمن لإخوانه فى الجنة: هل أنتم مطلعون فى النار لننظر منزلة قرينى هذا وما صار إليه.

هذا أظهر الأقوال وفيها قولان آخران: أحدهما أن الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدث بعضهم بعضاً: هل أنتم مطلعون؟ رواه عطاء عن ابن عباس.

والثانى: إنه من قول الله عز وجل لأهل الجنة، يقول لهم: هل أنتم مطلعون؟

والصحيح القول الأول. وأن هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه، والسياق كله والإخبار عنه وعن حال قرينه. قال كعب «بين الجنة والنار كوى، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له فى الدنيا اطلع من بعض تلك الكوى».

وقوله: ﴿ فَاطَّلَعَ ﴾، أى أشرف. قال مقاتل: لما قال لأهل الجنة ﴿ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴾ قالوا له: إنك أعرف به منا، فاطلع أنت فأشرف فرأى قرينه فى وسط الجحيم، ولولا أن الله عرفه إياه لما عرفه، لقد تغير لونه وجهه وغيره العذاب أشد تغيير: فعندها قال: ﴿ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾. أى إن كدت لتهلكنى، ولولا أن أنعم الله علىَّ بنعمه لكنت من المحضرين معك فى العذاب.

وقال تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ (الطور: 25-28)

وقال الطبراني: حدثنا الحسين بن إسحاق حدثنا سهل بن عثمان حدثنا المسيب بن شريك عن بشر بن نمير عن القاسم عن أبي أمامة قال: سئل رسول الله ﷺ: «أيتزاور أهل الجنة؟ قال: **يزور الأعلى الأسفل، ولا يزور الأسفل الأعلى، إلا الذين يتحابون في الله عز وجل يأتون منها حيث شاؤوا على النوق محتقبين الحشايا»**. [1]

وقال الدورقي: حدثنا أبو سلمة التبوذكي حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: «بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى» وقد تقدم حديث علقمة بن مرثد عن يحيى بن إسحاق عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة، وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبدوس، حدثنا الحسن بن حماد، حدثنا جابر بن نوح عن واصل بن السائب عن أبي سورة عن أبي أيوب يرفعه: «**إن أهل الجنة يتزاورون على النجائب**»[2] وقد تقدم، فأهل الجنة فيها يتزاورون فيها ويستزير بعضهم بعضاً، وبذلك تتم لذتهم وسرورهم. ولهذا قال حارثة للنبي ﷺ وقد سأله: «**كيف أصبحت يا حارثة؟** قال: أصبحت مؤمناً حقاً، قال: **إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟** قال: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يعذبون فيها، فقال: **عبد نوَّر الله قلبه**».

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا عبد الله، حدثني سلمة بن شبيب، حدثنا سعيد بن دينار عن الربيع بن صبيح[3] عن الحسن عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض؟ فيسير سرير هذا إلى سرير هذا وسرير هذا إلى سرير هذا، حتى يجتمعا جميعاً، فيقول أحدهما لصاحبه: تعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا**»، قال: وحدثنا حمزة بن العباس: أنبأنا عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا إسماعيل بن عياش قال: حدثني ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلي

---

(1) ضعيف: أخرجه الطبراني (8/ 240) (7936) «الكبير» وقال الهيثمي: (10/ 279): رواه الطبراني وفيه بشر بن نمير وهو متروك.

(2) ضعيف: أخرجه الطبراني (1/ 204/ 1)، وضعفه الألباني في الضعيفة (3172).

(3) ضعيف: ضعفه الألباني في الضعيفة (5029)، وقال: «أخرجه العقيلي في الضعفاء (ص149-150)، وأبو الشيخ في «العظمة» (3/ 1119/ 610)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (76/ 239)».

عن شفى بن مـاتع أن رسـول اللّه ﷺ قـال: «**إن من نعيـم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب، وأنهم يؤتون فى الجنة بخيل مسرجة ملجمة، لا تروث ولا تبول، فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء اللّه عز وجل فيأتيهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، فيقولون: أمطرى علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهى ذلك فوق أمانيهم. ثم يبعث اللّه ريحاً غير مؤذية فتنسف كثباناً من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم فيأخذ ذلك المسك فى نواصى خيولهم وفى مفارقها وفى رؤوسهم، ولكل رجل منهم جمة على ما اشتهت نفسه، فيتعلق ذلك المسك فى تلك الجمام، وفى الخيل، وفيما سوى ذلك من الثياب ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء اللّه تعالى، فإذا المرأة تنادى بعض أولئك: يا عبد اللّه أما لك فينا حاجة؟ فيقول: ما أنت ومن أنت؟ فتقول: أنا زوجك وحبك، فيقول: ما كنت علمت بمكانك. فتقول المرأة: أو ما تعلم أن اللّه قال: ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** (السجدة:17)، **فيقول: بلى، وربى، فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفاً، لا يلتفت ولا يعود، ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة**». (1)

حدثنى حمزة أنبأنا عبد اللّه بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا رشدين بن سعد قال: حدثنى ابن أنعم أن أبا هريرة قال: «إن أهل الجنة ليتزاورون على العيس الجون عليها رحال الميس، تثير مناسمها غبار المسك، خطام أو زمام أحدها خير من الدنيا وما فيها». (2)

وذكر ابن أبى الدنيا من حديث أبى اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمر بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه سأل جبريل عن هذه الآية: **﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ﴾** (الزمر:68) قال: هم الشهداء يبعثهم اللّه متقلدين أسيافهم حول عرشه: فأتاهم ملائكة من المحشر بنجائب من ياقوت، أزمتها الدر الأبيض، برحال الذهب أعنتها السندس والإستبرق، ونمارقها ألين من الحرير، مد خطاها مد أبصار الرجال، يسيرون فى الجنة على خيول، يقولون عند طول

---

(1) أخرجه ابن أبى الدنيا «صفة الجنة» (240).

(2) **ضعيف موقوف** : انظر ضعيف الترغيب والترهيب للألبانى (2238).

النزهة: انطلقوا بنا ننظر كيف يقضى الله بين خلقه، يضحك الله إليهم، وإذا ضحك الله إلى عبد فى موطن فلا حساب عليه».

قال ابن أبى الدنيا: وحدثنا الفضل بن جعفر حدثنا جعفر بن حسن حدثنا أبى عن الحسن ابن علىّ عن علىّ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن فى الجنة لشجرة يخرج منها أعلاها حلل، ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت، لا تروث ولا تبول، لها أجنحة خطوها مد بصرها، فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاؤوا، فيقول الذين أسفل منهم درجة: يا رب بم بلغ عبادك هذه الكرامة كلها؟ قال: فيقال لهم: كانوا يصلون بالليل وكنتم تنامون، وكانوا يصومون وكنتم تأكلون، وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون، وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون». (1)

فصل

زيارة الله تبارك وتعالى

ولهم زيارة أخرى أعلى من هذه وأجلّ، وذلك حين يزورون ربهم تبارك وتعالى، فيريهم وجهه ويسمعهم كلامه، ويحل عليهم رضوانه.

وسيمر بك ذكر هذه الزيارة عن قريب، إن شاء الله تعالى.

(1) ابن أبى الدنيا «صفة الجنة» (243).

الباب الستون

فى ذكر سوق الجنة وما أعد الله تعالى فيه لأهلها

قال مسلم فى صحيحه حدثنا سعيد بن عبد الجبار الصيرفى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**إن فى الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجملاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً**»(1) ورواه الإمام أحمد فى مسنده عن عفان عن حماد بن سلمة، وقال: «**فيها كثبان المسك فإذا خرجوا إليها هبت الريح**». (2)

وقال ابن أبى عاصم فى كتاب السنة: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبى العشرين عن الأوزاعى عن حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب أنه لقى أبا هريرة. فقال أبو هريرة: «أسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة. فقال سعيد أوفيها سوق؟ قال: نعم، أخبرنى رسول الله ﷺ: **أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم، فيؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله تبارك وتعالى، فيبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة، فيوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ياقوت، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم دنى على كثبان المسك والكافور، وما يرون أن أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلساً، قال أبو هريرة فقلت: يا رسول الله وهل نرى ربنا عز وجل؟ قال: نعم، قال: هل تمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا: لا، قال: فكذلك لا تمارون فى رؤية ربكم تبارك وتعالى، ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة، حتى يقول: يا فلان ابن فلان، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا ! فيذكره ببعض غدراته فى الدنيا، فيقول: بلى. فيقول: يا رب أفلم تغفر لى؟ فيقول: بلى، فبمغفرتى بلغت منزلتك هذه، قال فبينما هم على ذلك، غشيتهم سحابة من فوقهم، فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط، ثم يقول ربنا تبارك وتعالى: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم، قال: فيأتون سوقاً قد حفت بها الملائكة فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب، قال: فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه شىء ولا يشترى، وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً، قال: فيقبل ذو البزة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دنى، فيروعه ما يرى عليه من اللباس والهيئة، فما ينقضى آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغى**

---

(1) صحيح: أخرجه مسلم (2833). (2) أخرجه أحمد (13968).

لأحد أن يحزن فيها، قال: ثم ننصرف إلى منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقلن: مرحباً وأهلاً بحبنا، لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه، فيقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار تبارك وتعالى، وبحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا»(1) ورواه الترمذى فى صفة الجنة عن محمد بن إسماعيل عن هشام بن عمار، وليس فى هذا الإسناد من ننظر فيه إلا عبد الحميد بن حبيب وهو كاتب الأوزاعى، فلا ننكر عليه تفرده عن الأوزاعى بما لم يروه غيره. وقد قال الإمام أحمد وأبو حاتم الرازى: هو ثقة، وأما دحيم والنسائى فضعفاه، ولا يعرف أنه حدث عن غير الأوزاعى، والترمذى قال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. (2) . **قلت:** وقد رواه ابن أبى الدنيا عن الحكم بن موسى حدثنا معلى بن زياد عن الأوزاعى قال: نبئت أن سعيد بن المسيب لقى أبا هريرة فذكره. وقال الترمذى: حدثنا أحمد بن منيع وهناد قالا حدثنا أبو معاوية أنبأنا عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علىّ بن أبى طالب قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن فى الجنة لسوقاً ما فيها شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها»**(3) قال: هذا حديث غريب.

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا سليمان التيمى عن أنس بن مالك قال: **«يقول أهل الجنة انطلقوا إلى السوق، فينطلقون إلى الكثبان أو قال الجبال، فإذا رجعوا إلى أزواجهم، قالوا: إنا لنجد لكُنَّ ريحاً ما كانت لكُنَّ، إذ خرجنا من عندكن قال: فيقلن لقد رجعتم بريح ما كانت لكم إذ خرجتم من عندنا»** قال ابن المبارك: وأنبأنا حميد الطويل عن أنس بن مالك، قال: **«إن فى الجنة** لسوقاً على كثبان مسك يخرجون إليها ويجتمعون إليها، فيبعث الله تعالى ريحاً فتدخلهم بيوتهم فيقول لهم أهلوهم إذا رجعوا إليهم: قد ازددتم بعدنا حسناً، ويقولون لأهلهم: قد ازددتم بعدنا حسناً». (4) وقال الحافظ محمد بن عبد الله الحضرمى المعروف بمطين: حدثنا أحمد بن محمد بن طريف البجلى، حدثنا أبى، حدثنا محمد بن كثير، حدثنى جابر الجعفى عن أبى جعفر عن علىّ بن الحسين عن جابر بن عبد الله قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون، فقال: **يا معشر المسلمين إن فى الجنة لسوقاً ما يباع فيها ولا يشترى إلا الصور، من أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها»**(5) والله أعلم.

---

(1) **إسناده ضعيف** : أخرجه ابن أبى عاصم فى «السنة» (585)، وقال العلامة الألبانى فى تحقيقه : «إسناده ضعيف، لضعف هشام وعبد الحميد».

(2) ضعيف : أخرجه الترمذى (2549) صفة الجنة، وابن ماجه (4336)، وضعفه الألبانى وانظر الضعيفة (1722).

(3) ضعيف : أخرجه الترمذى (2550)، وضعفه الألبانى وانظر الضعيفة (1982)، وعلته عبد الرحمن بن إسحاق هذا وهو ضعيف.

(4) صحيح : انظر صحيح الترغيب والترهيب (3753)، وقال : «رواه ابن أبى الدنيا موقوفاً بإسناد جيد».

(5) ضعيف جداً : أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» (5794)، وأبو نعيم فى «صفة الجنة» (2/ 42/ 195)، وفى إسناده محمد بن كثير الكوفى، قال فيه البخارى : «منكر الحديث» راجع الضعيفة للألبانى (5369).

الباب الحادي والستون

في ذكر زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في مسنده: حدثنا إبراهيم بن محمد قال: حدثني موسى بن عبيدة قال: حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبد الله بن عبيد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك يقول: «أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها وكتة إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: ما هذه؟ قال: الجمعة فضلت بها أنت وأمتك، فالناس لكم فيها تبع: اليهود والنصارى، ولكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له، وهو عندنا يوم المزيد، قال النبي ﷺ: يا جبريل وما يوم المزيد؟ قال: إن ربك اتخذ في الفردوس وادياً أفيح فيه كثب المسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد، عليها الشهداء والصديقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله تعالى: أنا ربكم قد صدقتم وعدي فسلوني أعطكم، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك، فيقول: قد رضيت عنكم ولكم عليّ ما تمنيتم، ولديّ مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير، وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم، وفيه تقوم الساعة»[1]، ولهذا الحديث طرق سنشير إليها في باب المزيد إن شاء الله تعالى.

وروى أبو نعيم من حديث شيبان بن جسر عن فرقد عن الحسن عن أبي برزة الأسلمي عن النبي ﷺ قال: **«إن أهل الجنة ليغدون في حلة ويروحون في أخرى، كغدو أحدكم ورواحه، إلى ملك من ملوك الدنيا، كذلك يغدون ويروحون إلى زيارة ربهم عز وجل، وذلك لهم بمقادير ومعالم يعلمون تلك الساعة التي يأتون فيها ربهم عز وجل»**، قال: ورواه جعفر بن جسر بن فرقد عن أبيه مثله، وذكر أبو نعيم أيضاً من حديث أبي إسحاق عن الحارث عن عليّ قال: **«إذا سكن أهل الجنة الجنة، أتاهم ملك فيقول لهم: إن الله تبارك وتعالى يأمركم أن تزوروه، فيجتمعون، فيأمر الله تبارك وتعالى داود عليه السلام، فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل، ثم توضع مائدة الخلد** قالوا: يا رسول الله وما مائدة الخلد؟ قال: **زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب، فيطعمون ثم يسقون ثم**

(1) حسنه الشافعي (374) وانظر الإرواء (1/ 49-50).

يكسون فيقولون: لم يبق إلا النظر فى وجه ربنا عز وجل، فيتجلى لهم فيخرون سجداً، فيقال لهم: لستم فى دار عمل، وإنما أنتم فى دار جزاء». [1]

وقال ابن أبى الدنيا:[2] حدثنا أبو موسى إسحاق بن إبراهيم الهروى، حدثنا القاسم بن يزيد الموصلى، قال: حدثنى أبو إلياس قال: حدثنى محمد بن علىّ بن الحسين قال: قال رسول الله ﷺ، وقال أبو نعيم حدثنى محمد بن علىّ بن حبيش، حدثنا إبراهيم بن شريك، حدثنا أحمد ابن يونس حدثنا المعافَى بن عمران وكان من خيار الناس، قال: حدثنى إدريس بن سنان عن وهب بن منبه عن محمد بن علىّ قال إدريس: ثم لقيت محمد بن علىّ بن الحسين ابن فاطمة فحدثنى قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن فى الجنة شجرة يقال لها: طوبى، لو سخر الجواد الراكب أن يسير فى ظلها لسار فيها مائة عام، ورقها برود خضر، وزهرها رياط صفر. وأفنائها سندس وإستبرق، وثمرها حلل، وصمغها زنجبيل وعسل، وبطحاؤها ياقوت أحمر وزمرد أخضر، وترابها مسك وحشيشها زعفران، مونع والألنجوج يؤججان من غير وقود ويتفجر من أصلها أنهار السلسبيل والمعين والرحيق، وظلها مجلس من مجالس أهل الجنة يألفونه، ومتحدث يجمعهم. فبينا هم يوماً يتحدثون فى ظلها إذ جاءتهم الملائكة يقودون نجباً جبلت من الياقوت، ثم نفخ فيها الروح مزمومة بسلاسل من ذهب، كأن وجوهها المصابيح نضارة وحسناً، وَبَرها خز أحمر ومرعزى أبيض مختلطان، لم ينظر الناظرون إلى مثلها، عليها رحال ألواحها من الدر والياقوت، مفصصة باللؤلؤ والمرجان وصفافها من الذهب الأحمر، ملبسة بالعبقرى والأرجوان، فأناخوا إليهم تلك النجائب، ثم قالوا لهم: إن ربكم تبارك وتعالى يقرئكم السلام ويستزيركم لتنظروا إليه، وينظر إليكم، وتحيونه ويحييكم ويكلمكم وتكلمونه، ويزيدكم من فضله وسعته إنه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم.**

فيتحول كل رجل منهم على راحلته، ثم انطلقوا صفاً واحداً معتدلاً لا يفوت منه شيء شيئاً ولا يفوت أذن ناقة أذن صاحبتها ولا بركت ناقة بركت صاحبتها، ولا يمرون بشجرة من أشجار الجنة إلا أتحفتهم بثمرتها، وزحلت لهم عن طريقهم، كراهية أن ينثلم صفهم أو يفرق بين الرجل ورفيقه. فلما رفعوا إلى الجبار تبارك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم، وتجلى لهم فى عظمته العظيمة، فقالوا: ربنا أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والإكرام.

---

(1) ضعيف جداً: في «صفة الجنة» لأبو نعيم (394)، انظر «ضعيف الترغيب والترهيب» للألبانى (2240).

(2) أخرجه ابن أبى الدنيا (53) «صفة الجنة».

فقال لهم ربهم تبارك وتعالى: إنى السلام ومنى السلام، ولى حق الجلال والإكرام، مرحباً بعبادى الذين حفظوا وصيتى، وراعوا عهدى، وخافونى بالغيب وكانوا منى على كل حال مشفقين، قالوا: وعزتك وجلالك وعلو مكانك ما قدرناك حق قدرك، وما أدينا إليك كل حقك، فائذن لنا بالسجود لك، فقال لهم ربهم تبارك وتعالى: إنى قد وضعت عنكم مؤنة العبادة، وأرحت لكم أبدانكم، فلطالما أنصبتم لى الأبدان، وأعنيتم لى الوجوه، فالآن أفضيتم إلى روحى ورحمتى وكرامتى، فسلونى ما شئتم وتمنوا علىَّ أعطكم أمانيكم فإنى لن أجزيكم اليوم بقدر أعمالكم، ولكن بقدر رحمتى وكرامتى وطَولى وجلالى وعلو مكانى وعظمة شأنى. فما يزالون فى الأمانى والعطايا والمواهب، حتى إن المقصر منهم فى أمنيته ليتمنى مثل جميع الدنيا منذ خلقها الله عز وجل إلى يوم أفناها، فقال لهم ربهم تبارك وتعالى: لقد قصرتم فى أمانيكم ورضيتم بدون ما يحق لكم، فقد أوجبت لكم ما سألتم وتمنيتم وألحقت بكم ذريتكم وزدتكم ما قصرت عنه أمانيكم»[1] ولا يصح رفعه إلى النبى ﷺ، وحسبه أن يكون من كلام محمد بن على، فغلط فيه بعض هؤلاء الضعفاء، فجعله من كلام النبى ﷺ.

وإدريس بن سنان هذا هو سبط وهب بن منبه ضعفه ابن عدى. وقال الدارقطنى: متروك، وأما أبو إلياس المتابع له فلا يدرى من هو. وأما القاسم بن يزيد الموصلى الراوى عنه فمجهول أيضاً، ومثل هذا لا يصح رفعه. والله أعلم.

وقال الضحاك فى قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾(مريم: 85) قال: على النجائب عليها الرحال.

---

(1) موضوع: أخرجه أبو نعيم «صفة الجنة» (411)، وانظر «ضعيف الترغيب والترهيب» للألبانى (2242).

الباب الثانى والستون

فى ذكر السحاب والمطر الذى يصيبهم فى الجنة

قد تقدم فى حديث سوق الجنة أنه يغشاهم يوم الزيارة سحابة من فوقهم فتمطر عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه قط.

وقال بقية بن الوليد: حدثنا بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال: «إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة، فتقول: ماذا تريدون أن أمطركم؟ فلا يتمنون شيئاً إلا مطروا».

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنى أزهر بن مروان، حدثنا عبد الله بن عرادة الشيبانى عن عبد الرحمن ابن بديل عن أبيه عن صيفى اليمامى، قال: سأله عبد العزيز بن مروان عن وفد أهل الجنة قال: إنهم يفدون إلى الله سبحانه وتعالى كل خميس فيوضع لهم أسرة، كل إنسان منهم أعرف بسريره منك بسريرك هذا الذى أنت عليه، فإذا قعدوا عليه وأخذ القوم مجالسهم قال الله تعالى: أطعموا عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى. فيطعمو ثم يقول: أسقوهم.

قال: فيأتون بآنية من ألوان شتى مجتمعة فيشربون منها. ثم يقول: عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى قد طعموا وشربوا فكِّهوهم، فتجيء ثمرات شجرة مدلاة فيأكلون منها ما شاؤوا، ثم يقول: عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى قد طعموا وشربوا وفكهوا أكسوهم، فتجيء ثمرات شجر أخضر وأصفر وأحمر، وكل لون لم تنبت إلا الحلل، فينشر عليهم حللاً وقمصاً، ثم يقول: عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا، طيبوهم فيتناثر عليهم المسك مثل رذاذ المطر. ثم يقول: عبادى وجيرانى وخلقى ووفدى قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا وطيبوا لأتجلين لهم حتى ينظروا إلىَّ، فإذا تجلى لهم فنظروا إليه نضرت وجوههم، ثم يقال لهم: ارجعوا إلى منازلكم فتقول لهم أزواجهم: خرجتم من عندنا على صورة، ورجعتم على غيرها؟ فيقولون: ذلك أن الله جل ثناؤه تجلى لنا فنظرنا إليه فنضرت وجوهنا». (1)

---

(1) أثر ضعيف: ابن أبى الدنيا «صفة الجنة» (331)، وانظر ضعيف الترغيب والترهيب (2241).

وقال عبد اللّه بن المبارك أنبأنا إسماعيل بن عياش، قال: حدثنى ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلى عن شُفى بن ماتع الأصبحى أن رسول اللّه ﷺ قال: «**إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب، وأنهم يؤتون فى الجنة بخيل ملجمة مسرجة لا تروث ولا تبول، يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء اللّه، فيأتيهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، فيقولون: أمطرى علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهى ذلك فوق أمانيهم، ثم يبعث اللّه ريحاً غير مؤذية فتنسف كثباناً من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم، فيأخذون ذلك المسك فى نواصى خيولهم وفى مفارقها وفى رؤوسهم، ولكل رجل منهم جمة على ما اشتهت نفسه، فيتعلق ذلك المسك فى تلك الجمام. وفى الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء اللّه، فإذا المرأة تنادى بعض أولئك: يا عبد اللّه أما لك فينا حاجة؟ فيقول: ما أنت ومن أنت، فتقول: أنا زوجتك وحبك. فيقول: ما كنت علمت بمكانك، فتقول المرأة: أو ما تعلم أن اللّه تعالى قال: ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** (السجدة:17) **فيقول: بلى وربى، فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفاً، ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم**». (1)

فصل

المطر سبب للرحمة والبعث والطيب

وقد جعل اللّه سبحانه وتعالى السحاب وما يمطره سبباً للرحمة والحياة فى هذه الدار، وبجعله سبباً لحياة الخلق فى قبورهم حيث يمطر على الأرض أربعين صباحاً مطراً متداركاً من تحت العرش، فينبتون تحت الأرض كنبات الزرع ويبعثون يوم القيامة والسماء تطش عليهم، وكأنه واللّه أعلم أثر ذلك المطر العظيم كما يكون فى الدنيا، ويثير لهم سحاباً فى الجنة يمطرهم، ما شاؤوا من طيب غيره، وكذلك أهل النار ينشئ لهم سحاباً يمطر عليهم عذاباً إلى عذابهم، كما أنشأ لقوم هود وقوم شعيب سحاباً أمطرهم عذاباً أهلكهم فهو سبحانه ينشئه للرحمة والعذاب.

---

(1) **ضعيف مرسل:** فى «زوائد الزهد» لابن المبارك (239)، انظر ضعيف الترغيب والترهيب للألبانى (2236).

الباب الثالث والستون

فى ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ (الإنسان:20) قال ابن أبى نجيح عن مجاهد ﴿ مُلْكًا كَبِيرًا ﴾ قال عظيماً، وقال استئذان الملائكة عليهم لا تدخل عليهم إلا بإذن، وقال كعب فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ قال: يرسل إليهم ربهم الملائكة فتأتى الملائكة فتستأذن عليهم، وقال بعضهم: الخدم، ولا تدخل الملائكة عليهم إلا بإذن.

وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أنه ذكر مراكب أهل الجنة ثم تلا: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾

وقال ابن أبى الحوارى سمعت أبا سليمان يقول فى قول الله عز وجل:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ قال: الملك الكبير، أن رسول رب العزة يأتيه بالتحفة واللطف، فلا يصل إليه حتى يستأذن عليه فيقول للحاجب: استأذن على ولىّ اللّه، فإنى لست أصل إليه، فيُعلم ذلك الحاجب حاجباً آخر وحاجباً بعد حاجب، ومن داره إلى دار السلام باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن، فالملك الكبير أن رسول رب العزة لا يدخل عليه إلا بإذن، وهو يدخل على ربه بلا إذن.

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا صالح بن مالك، حدثنا صالح المرى، حدثنا يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك يرفعه: «إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم».[1] حدثنى محمد بن عباد بن موسى، أنبأنا زيد بن الحباب عن أبى هلال الراسبى، أنبأنا الحجاج بن عتاب العبدى عن عبد اللّه بن معبد الزمانى عن أبى هريرة قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنى، من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه»[2] وحدثنى محمد بن عباد، حدثنا زيد بن الحباب، عن أبى هلال حدثنا حميد بن هلال قال: «ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن ليس منهم

(1) ضعيف: انظر ضعيف الترغيب والترهيب (2188)، و «صفة الجنة» لابن أبى الدنيا (206).

(2) اثر ضعيف: انظر ضعيف الترغيب والترهيب (2189). و «صفة الجنة» لابن أبى الدنيا (207).

خازن إلا على عمل ليس عليه صاحبه».[1] حدثنى هارون بن سفيان، أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا المفضل بن فضالة عن أبيه عن زهرة بن معبد عن أبى عبد الرحمن الحبلى قال: «إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ».

حدثنى هارون بن سفيان، حدثنا محمد بن عمر، أخبرنا محمد بن هلال عن أبيه عن أبى هريرة قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة، وما فيهم دنى، لمن يغدو عليه عشرة آلاف خادم، مع كل خادم طرفة ليست مع صاحبه». [2]

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا يحيى بن أيوب، حدثنى عبيد الله بن زحر، عن محمد بن أبى أيوب المخزومى، عن أبى عبد الرحمن المعافرى قال: «إنه ليصفّ للرجل من أهل الجنة سماطان لا يرى طرفاهما من غلمانه، حتى إذا مر مشوا وراءه». وقال أبو خيثمة: حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد، كما بين الجابية وصنعاء».** [3]

وقال عبد الله بن المبارك: أخبرنا بقية بن الوليد، حدثنى أرطأة بن المنذر قال: سمعت رجلاً من مشيخة الجند يقال له: أبو الحجاج قال: جلست إلى أبى أمامة فقال: «إن المؤمن يكون متكئاً على أريكته إذا دخل الجنة وعنده سماطان من الخدم، وعند طرف السماطين باب مبوب، فيقبل الملك من ملائكة الله عز وجل ليستأذن فيقوم أدنى الخدم إلى الباب، فإذا هو بالملك يستأذن فيقول للذى يليه: هذا ملك يستأذن، ويقول للذى يليه: ملك يستأذن، حتى يبلغ المؤمن فيقول: ائذنوا له، فيقول أقربهم إلى المؤمن ائذنوا له، ويقول الذى يليه للذى يليه: ائذنوا له كذلك، حتى يبلغ أقصاهم الذى عند الباب فيفتح له، فيدخل فيسلم ثم ينصرف».

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا قبيصة، حدثنا سليمان العنبرى عن الضحاك بن مزاحم قال: «بينا ولى الله فى منزله إذ أتاه رسول من الله عز وجل، فقال للآذن:

---

(1) انظر صحيح الترغيب والترهيب (3705)، وصفة الجنة لابن أبى الدنيا (207).

(2) اثر ضعيف: انظر ضعيف الترغيب والترهيب (2189).

(3) ضعيف: انظر ضعيف الجامع (266)، وضعيف الترمذى (2562) للألبانى، وضعيف الترغيب والترهيب (2187).

استأذن لرسول الله على ولى الله، فيدخل الآذن فيقول: يا ولى الله، هذا رسول الله يستأذن عليك، قال: ائذن له فيأذن له فيدخل على ولى الله، فيضع ما بين يديه تحفة، فيقول: يا ولى الله إن ربك يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تأكل من هذه، قال: فيشبهه بطعام أكله أيضاً فيقول: إنما أكلت هذا الآن، فيقول: إن ربك يأمرك أن تأكل منها، فيأكل منها فيجد منها طعم كل ثمرة فى الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿ **وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا** ﴾ (البقرة: 25).

وفى صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة، عن النبى ﷺ قال: «**سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أى رب. كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول: رضيت ربى، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال فى الخامسة: رضيت رب فيقول لك هذا وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك، فيقول رضيت رب**» وذكر الحديث. وقد تقدم ذكره بتمامه.

وقال البزار فى مسنده: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا المغيرة بن سلمة، حدثنا وهيب عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال: «خلق الله تبارك وتعالى الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وغرسها بيده، وقال لها: تكلمى، فقالت: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ ، فدخلتها الملائكة، فقالت: طوبى لك منزلة الملوك»[1] هكذا رواه وهب عن الجريرى موقوفاً، ورواه عدى بن الفضل عن الجريرى فرفعه. وقال البزار: ولا نعلم أحداً رفعه إلا عدى بن الفضل بهذا الإسناد، وعدى بن الفضل ليس بالحافظ، وهو شيخ بصرى.

قلت: عدى بن الفضل هذا تفرد به ابن ماجه، وقد ضعفه يحيى بن معين وأبو حاتم. والحديث صحيح موقوف. والله أعلم.

وقد تقدم ذكر التيجان على رؤوسهم، وإنما يلبسها الملوك.

---

(1) **صحيح:** ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب، وقال: رواه الطبرانى والبزار، واللفظ له مرفوعاً وموقوفاً، وقال: لا نعلم أحداً رفعه إلا عدى بن الفضل. وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (3714).

الباب الرابع والستون

فى أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور فى الخلد
وأن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها

قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة:16-17) وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذى أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم، حين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين فى الجنة.

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**قال الله عز وجل: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»[1]، ومصداق ذلك فى كتاب الله ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وفى لفظ آخر فيهما «**يقول الله عز وجل: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ذخراً بله ما أطلعتكم عليه**[2] ثم قرأ: ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ الآية».

وفى بعض طرق البخارى «قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ ».

وفى صحيح مسلم من حديث سهل بن سعد الساعدى قال: «شهدت من رسول الله ﷺ مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى. ثم قال فى آخر حديثه: **فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**، ثم قرأ هذه الآية ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ».

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**لقاب قوس أحدكم فى الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب**»[3] وقد تقدم حديث أبى أمامة عن النبى ﷺ : «**ألا**

---

(1) صحيح: أخرجه البخارى (3244)، ومسلم (2824)، الجنة وصفة نعيمها.

(2) صحيح: أخرجه مسلم (2825)، وأحمد (22319).

(3) صحيح: أخرجه البخارى (2793)، وقد سبق.

مشمر للجنة، فإن الجنة لا خطر لها، هى ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام فى أبد فى دار سليمة، وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة فى محلة عالية بهية».

ولو لم يكن من خطر الجنة وشرفها إلا أنه لا يسأل بوجه الله غيرها، لكفاها شرفاً وفضلاً. كما فى سنن أبى داود من حديث سليمان بن معاذ عن محمد بن المنكدر عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**». (1)

وفى معجم الطبرانى من حديث بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : «**لما خلق الله جنة عدن، خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ثم قال لها: تكلمى. فقالت: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾** ». (2)

وفى صحيح البخارى من حديث سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها**». (3)

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن همام عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**لَقيدُ سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والأرض**»(4) وهذا الإسناد على شرط الصحيحين.

وقال الترمذى: حدثنا سويد بن نصر، حدثنا ابن المبارك، أنبأنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ ، قال: «**لو أن ما يُقلُّ ظفر مما فى الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو أن رجلاً من أهل الجَنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم**»(5)، قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من حديث ابن لهيعة، وقد روى يحيى بن أيوب هذا الحديث عن يزيد بن أبى حبيب، وقال عن عمر بن سعد بن أبى وقاص عن النبى ﷺ .

---

(1) ضعيف: أخرجه أبو داود (1671)، وضعفه الألبانى فى ضعيف أبى داود.

(2) ضعيف: عزاه السيوطى فى «الجامع الصغير» للطبرانى، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (4771).

(3) صحيح: أخرجه البخارى (2892).

(4) سبق تخريجه.

(5) صحيح: أخرجه الترمذى (2538)، وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى.

قلت: وقد رواه ابن وهب، أنبأنا عمرو يعنى ابن الحارث أن سليمان بن حميد حدثه أن عامر ابن سعد بن أبى وقاص حدثه -قال سليمان: لا أعلم إلا أنه حدثنى عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لو أن ما أقل ظفر من الجنة برز للدنيا لتزخرف له ما بين السماء والأرض**».

وفى الباب عن أنس بن مالك وأبى سعيد الخدرى وعبد الله بن عمرو بن العاص:

وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده، وجعلها مقراً لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهى المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن ملاطها فهو المسك الأذفر، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب.

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة واحدة إلا ساقها من ذهب وفضة، لا من الحطب والخشب. وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل.

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكن من رقائق الحلل. وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى.

وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور، وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة فى صفاء القوارير.

وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع فى ظلها مائة عام لا يقطعها، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير فى ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفى عام.

وإن سألت عن خيامها وقبابها، فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلاً من جملة تلك الخيام، وإن سألت عن علاليها وجواسقها فهى غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب فى الأفق الذى لا تكاد تناله الأبصار.

وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب، وإن سألت عن فرشها فبطائنها من إستبرق

مفروشة فى أعلى الرتب، وإن سألت عن أرائكها فهى الأسرة عليها البشخانات، وهى الحجال مزررة بأزرار الذهب، فما لها من فروج ولا خلال.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر، وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبى البشر، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين، وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين، وأعلى منهما سماع خطاب رب العالمين.

وإن سألت عن مطاياهم التى يتزاورون عليها، فنجائب أنشأها اللّه مما شاء تسير بهم حيث شاءوا من الجنان. وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرءوس ملابس التيجان. وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون.

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم، فهن الكواعب الأتراب، اللاتى جرى فى أعضائهن ماء الشباب، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود، وللرمان ما تضمنته النهود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللدقة واللطافة ما دارت عليه الخصور، تجرى الشمس فى محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا تبسمت، إذا قابلت حبها فقل ما شئت فى تقابل النيرين، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيبين. وإن ضمها إليه فَما ظنك بتعانق الغصنين، يُرى وجهه فى صحن خدها، كما يُرى فى المرآة التى جلاها صيقلها، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها. لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحاً. ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، ولآمن مَنْ على ظهرها باللّه الحى القيوم. ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصاله أشهى إليه من جميع أمانيها، لا تزداد على تطاول الأحقاب إلا حسناً وجمالاً، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالاً، مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها ولا يخلق ثوب جمالها، ولا يمل طيب وصالها، قد قصرت طرفها على زوجها، فلا تطمح لأحد سواه وقصرت طرفه عليها فهى غاية أمنيته وهواه، إن نظر إليها سرته، وإن أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته، فهو معها فى غاية الأمانى والأمان، هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان، كلما نظر إليها ملأت قلبه سروراً، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤاً منظوماً ومنثوراً، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نوراً.

وإن سألت عن السن فأتراب في أعدل سن الشباب، وإن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر، وإن سألت عن الحُدُق فأحسن سواد في أصفى بياض في أحسن حَوَر، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان، وإن سألت عن النهود فهن الكواعب، نهودهن كألطف الرمان، وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان، وإن سألت عن حسن الخلُق فهن الخيرات الحسان، اللاتي جُمِع لهن بين الحسن والإحسان، فأعطين جمال الباطن والظاهر، فهن أفراح النفوس وقرة النواظر.

وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العُرُب المتحببات إلى الأزواج بلطافة التبعل التي تمتزج بالزوج أى امتزاج.

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها. وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت: هذه الشمس متنقلة في بروج فلكها، وإذا حاضرت زوجها فياحسن تلك المحاضرة. وإن خاصرته فيالذة تلك المعانقة والمخاصرة:

وحديثُها السِّحر الحلالُ لو أنه — لم يجن قتل المسلم المتحرِّزِ

إنْ طال لم يملل وإنْ هي حدَّثت — ودَّ المحدَّثُ أنَّها لم توجِزِ

إن غنت فيالذة الأبصار والأسماع، وإن آنست وأمتعت فياحبذا تلك المؤانسة والإمتاع. وإن قبلت فلا شيء أشهى إليه من ذلك التقبيل، وإن نولت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل.

هذا، وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه، كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه، وذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد من رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد، فاستمع يوم ينادي المنادي: يا أهل الجنة، إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحي على زيارته، فيقولون: سمعاً وطاعة، وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعداً. وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي منهم أحداً، أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه، فنصب هناك، ثم نصبت لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، وجلس أدناهم -وحاشاهم من الدنيا أن يكون فيهم دني- على كثبان المسك ما يرون

أن أصحاب الكراسى فوقهم فى العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادى: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. فيقولون: ما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا. ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار. بينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رءوسهم فإذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم وقال: يا أهل الجنة، سلام عليكم، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ويضحك إليهم، ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادى الذين أطاعونى بالغيب، ولم يرونى، فهذا يوم المزيد، فيجتمعون على كلمة واحدة أن قد رضينا فارض عنّا، فيقول: يا أهل الجنة، إنى لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتى. هذا يوم المزيد فسلونى: فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه. فيكشف الرب جل جلاله الحجب، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله سبحانه وتعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا. ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى إنه ليقول يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته فى الدنيا، فيقول: يا رب ألم تغفر لى؟ فيقول: بلى بمغفرتى بلغت منزلتك هذه.

فيالذة الأسماع بتلك المحاضرة، وياقرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم فى الدار الآخرة، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ (القيامة: 22 ـ 25).

فحيَّ على جنَّات عدنٍ فإنَّها ... منازلُك الأولى وفيها المخيمُ
ولكننا سَبْى العدوِّ فهل ترى ... نعودُ إلى أوطاننا ونسلَّمُ

الباب الخامس والستون

فى رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة، كما يرى القمر ليلة البدر، وتجليه لهم ضاحكاً إليهم

هذا الباب أشرف أبواب الكتاب، وأجلها قدراً، وأعلاها خطراً، وأقرها لعيون أهل السنة والجماعة، وأشدها على أهل البدعة والفرقة، وهى الغاية التى شمر إليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون. إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من التنعيم، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم، اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون، ومن حبل الله منقطعون، وعلى مسبة أصحاب رسول الله ﷺ عاكفون. وللسنة وأهلها محاربون، ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون.

أولئك أحزاب الضلال وشيعة اللعين، وأعداء الرسول وحزبه. وقد أخبر الله سبحانه عن أعلم الخلق به فى زمانه، وهو كليمه ونجيه وصفيه من أهل الأرض، أنه سأل ربه تعالى النظر إليه فقال له ربه تبارك وتعالى: ﴿**لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا**﴾ (الأعراف: 143) .

وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة:

أحدها: أن لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال، وهو عند فروخ اليونان والصابئة والفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه، فيالله العجب كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران وبما يستحيل عليه ويجب له وأشد تنزيهاً له منه ؟

الوجه الثانى: أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله، ولو كان محالاً لأنكره عليه،

ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه، ولما سأل عيسى ابن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال: ﴿ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (هود: 46 ـ 47).

الوجه الثالث: أنه أجابه بقوله ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ ولم يقل إني لا أُرى، ولا إني لست بمرئي، ولا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله.

وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى مرئي، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى، يوضحه:

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿ وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار، فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف؟

الوجه الخامس: أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً مكانه، وليس هذا بممتنع في مقدوره، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالاً في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته، ولو كانت الرؤية محالاً لكان ذلك نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام فالأمران عندكم سواء.

الوجه السادس: قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى، فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله ولأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه، وأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذا الدار، فالبشر أضعف.

الوجه السابع: أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه إليه، وخاطبه وناجاه وناداه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يُسمَع مخاطبة كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكاره الرؤية إلا بإنكار التكليم، وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين، فأنكروا أن يكلم أحداً أو يراه أحد، ولهذا سأله موسى النظر إليه لما أسمعه كلامه وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه، فلم يخبره باستحالة ذلك عليه، ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه.

وأما قوله تعالى: ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ فإنما يدل على النفى فى المستقبل، ولا يدل على دوام النفى، ولو قيدت بالتأبيد فكيف إذا أطلقت قال الله تعالى: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ مع قوله تعالى: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ (الزخرف:77) .

فصل

الدليل الثانى: قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلاقُوهُ ﴾ (البقرة: 223) وقوله تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ ﴾ (البقرة: 249) وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحى السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية ولا ينتقض هذا بقوله تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾ (التوبة: 77) فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى فى عرصات القيامة، بل والكفار أيضاً كما فى الصحيحين من حديث التجلى يوم القيامة، وسيمر بك عن قريب إن شاء اللّه تعالى، وفى هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة:

أحدها: أنه لا يراه إلا المؤمنون.

والثانى: يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك.

والثالث: يراه المنافقون دون الكفار.

والأقوال الثلاثة فى مذهب أحمد وهى لأصحابه، وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها لهم فى تكليمه، ولشيخنا فى ذلك مصنف مفرد، حكى فيه الأقوال الثلاثة وحجج أصحابها، وكذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ ﴾ (الانشقاق: 6). إن عاد الضمير على العمل فهو رؤيته فى الكتاب مسطوراً مثبتاً. وإن عاد على الرب سبحانه وتعالى فهو لقاؤه الذى وعد به.

فصل

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (يونس:25،26) .

فالحسنى: الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم، كذلك فسرها رسول الله ﷺ الذى أنزل عليه القرآن، والصحابة من بعده، كما روى مسلم فى صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب قال: «قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: **إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً ويريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويزحزحنا عن النار ؟ ! فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه. وهى الزيادة**»(1).

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا مسلم بن سالم البلخى عن نوح بن أبى مريم عن ثابت عن أنس قال: «سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: **للذين أحسنوا العمل فى الدنيا الحسنى وهى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله**».

وقال محمد بن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء عن كعب بن عجرة عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: **الزيادة النظر إلى وجه الرحمن جل جلاله**» **قلت**: عطاء هذا هو الخراسانى، وليس بعطاء بن أبى رباح.

قال ابن جرير: وحدثنا ابن عبد الرحيم، حدثنا عمرو بن أبى سلمة، قال: سمعت زهيراً، وقال يعقوب بن سفيان، حدثنا صفوان بن صالح، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا زهير بن محمد قال: حدثنى من سمع أبا العالية الرياحى يحدث عن أبى بن كعب قال: «سألت رسول الله ﷺ عن الزيادة فى كتاب الله عز وجل قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: 26) قال: **الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل**».

وقال أسد السنة: حدثنا قيس بن الربيع عن أبان عن أبى تميمة الهجيمى أنه سمع أبا موسى يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**يبعث الله عز وجل يوم القيامة منادياً ينادى يا أهل الجنة، بصوت يسمع أولهم وآخرهم، إن الله وعدكم الحسنى، والحسنى: الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل**».

وقال ابن وهب بن منبه: أخبرنى شبيب عن أبان عن أبى تميمة الهجيمى، أنه سمع أبا موسى الأشعرى يحدث عن رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة منادياً ينادى: يا أهل الجنة، بصوت يسمع أولهم وآخرهم: إن الله وعدكم الحسنى وزيادة، الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الرحمن**».

(1) **صحيح**: أخرجه مسلم (181)، والترمذى (2552)، (3105)، وابن ماجه (187)، ولفظه قريب من لفظ الترمذى أكثر من مسلم.

وأما الصحابة: فقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمن هو ابن مهدى، حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن عامر بن سعد عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** ﴾ قال: النظر إلى وجه الله الكريم.

وبهذا الإسناد عن أبى إسحق عن مسلم بن يزيد عن حذيفة: ﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** ﴾ قال: النظر إلى وجه ربهم تبارك وتعالى.

وحدثنا على بن عيسى، حدثنى شبابة، حدثنا أبو بكر الهذلى قال: سمعت أبا تميمة الهجيمى يحدث عن أبى موسى الأشعرى قال: «إذا كان يوم القيامة يبعث الله عز وجل إلى أهل الجنة منادياً ينادى: هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون إلى ما أعد لهم من الكرامة فيقولون: نعم، فيقول ﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** ﴾ النظر إلى وجه الرحمن عز وجل».

وقال عبد الله بن المبارك عن أبى بكر الهذلى: أنبأنا أبو تميمة قال: سمعت أبا موسى الأشعرى يخطب الناس فى جامع البصرة ويقول: إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة ملكاً إلى أهل الجنة، فيقول: يا أهل الجنة، هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون فيرون الحلى والحلل والأنهار والأزواج المطهرة، فيقولون: نعم. قد أنجزنا الله ما وعدنا، ثم يقول الملك: هل أنجزكم الله ما وعدكم ثلاث مرات، فلا يفقدون شيئاً مما وعدوا فيقولون: نعم، فيقول: قد بقى لكم شىء، إن الله عز وجل يقول: ﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** ﴾ ألا إن الحسنى: الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل.

وفى تفسير أسباط بن نصر عن إسماعيل السدى عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس، وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود: ﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ** ﴾ فقال: أما الحسنى فالجنة، وأما الزيادة فالنظر إلى وجه الله، وأما القتر فالسواد.

وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى، وعامر بن سعد، وإسماعيل بن عبد الرحمن السدى، والضحاك بن مزاحم، وعبد الرحمن بن سابط، وأبو إسحاق السبيعى، وقتادة وسعيد بن المسيب، والحسن البصرى، وعكرمة مولى ابن عباس، ومجاهد بن جبر: الحسنى: الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى، وقال غير واحد من السلف فى الآية: ﴿ **وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ** ﴾ (يونس: 26) بعد النظر إليه. والأسانيد عنهم بذلك صحيحة، ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى التى هى الجنة دل على أنها أمر آخر وراء الجنة وقدر زائد عليها. ومن فسر الزيادة بالمغفرة والرضوان فهو من لوازم رؤية الرب تبارك وتعالى.

فصل

السخط يحجب الرؤية

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿**كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾ (المطففين14: 15) ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته وسماع كلامه فلو لم يره المؤمنون، ولم يسمعوا كلامه: كانوا أيضاً محجوبين عنه، وقد احتج بهذه الحجة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة، فذكره الطبري وغيره عن المزني، قال: سمعت الشافعي يقول في قوله عز وجل: ﴿**كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾ قال: فيها دلالة على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة.

وقال الحاكم: حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها ما تقول في قول الله تعالى: ﴿**كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾ (المطففين: 15) فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضَى، قال الربيع: فقلت: يا أبا عبد الله وبه تقول ؟ قال: نعم وبه أدين الله، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله عز وجل.

ورواه الطبري في شرح السنة من طريق الأصم أيضاً، وقال أبو زرعة الرازي: سمعت أحمد ابن محمد بن الحسين يقول: سئل محمد بن عبد الله بن الحكم، هل يرى الخلق كلهم ربَّهم يوم القيامة المؤمنون والكفار ؟ فقال محمد: ليس يراه إلا المؤمنون. قال محمد: وسئل الشافعي عن الرؤية فقال: يقول الله عز وجل: ﴿**كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾ ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله عز وجل.

فصل

والدليل الخامس: قوله عز وجل: ﴿**لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾ (ق: 35) قال الطبراني: قال عليّ بن أبي طالب وأنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله عز وجل، وقاله من التابعين: زيد بن وهب وغيره.

فصل

الدليل السادس: قوله عز وجل: ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ﴾ (الأنعام: 103)

والاستدلال بهذا أعجب فإنه من أدلة النفاة. وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه، وقال لي: أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله، إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله، فمنها هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها. فإن الله سبحانه وتعالى إنما ذكرها في سياق التمدح. ومعلوم أن المدح به إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمراً وجودياً كتمدحه بنفي السِّنَة والنوم المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب، والإعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن لكمال صمديته وغناه، ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته. ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً. فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فلو كان المراد بقوله: ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾ أنه لا يُرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال، لمشاركة المعدوم له في ذلك. فإن العدم الصرف لا يُرى ولا تدركه الأبصار، والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض، فإذاً: المعنى أنه يُرى ولا يُدرك ولا يُحاط به، كما كان المعنى في قوله: ﴿ **وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ** ﴾ أنه يعلم كل شيء وفي قوله: ﴿ **وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ** ﴾ أنه كامل القدرة وفي قوله: ﴿ **وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ﴾ أنه كامل العدل، وفي قوله: ﴿ **لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ** ﴾ أنه كامل القيومية.

فقوله: ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾ يدل على غاية عظمته، وأنه أكبر من كل شيء وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلاَّ** ﴾ (الشعراء: 61، 62).

فلم ينف موسى الرؤية، ولم يريدوا بقولهم: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ إنا لمرئيون. فإن موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى إدراكهم إياهم بقوله «كلا» وأخبر الله سبحانه أنه لا يخالف دركهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ (طه: 77) فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يُرى ولا يُدرك كما يُعلم ولا يُحاط به، وهذا هو الذى فهمته الصحابة والأئمة من الآية.

قال ابن عباس: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ لا تحيط به الأبصار، وقال قتادة: هو أعظم من أن تدركه الأبصار. وقال عطية: ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم، فذلك قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عياناً ولا تدركه أبصارهم، بمعنى أنها لا تحيط به، إذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأن شيئاً يحيط به وهو بكل شىء محيط، وهكذا يُسمِع كلامه من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه، وهكذا يعلم الخلق ما علمهم ولا يحيطون بعلمه.

ونظير هذا: استدلالهم على نفى الصفات بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهذا من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله، وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها، وإلا فلو أريد بها نفى الصفات لكان العدم المحض أولى بهذا المدح منه؛ مع أن جميع العقلاء إنما يفهمون من قول القائل: فلان لا مثل له وليس له نظير، ولا شبيه ولا مثل، أنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها. وكلما كثرت أوصافه ونعوته فات أمثاله، وبعُد عن مشابهة أضرابه. فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ من أدل شىء على كثرة نعوته وصفاته، وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ من أدل شىء على أنه يُرى ولا يُدرك، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الحديد: 4).

من أدل شىء على مباينة الرب لخلقه، فإنه لم يخلقهم فى ذاته، بل خلقهم خارجاً عن ذاته، ثم بان عنهم باستوائه على عرشه، وهو يعلم ما هم عليه فيراهم وينفذهم بصره، ويحيط بهم علماً وقدرة وإرادة وسمعاً وبصراً، فهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا، وتأمل حسن هذه المقابلة لفظاً ومعنى بين قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (الأنعام: 103).

فإنه سبحانه لعظمته يتعالى أن تدركه الأبصار وتحيط به، وللطفه وخبرته يدرك الأبصار فلا تخفى عليه فهو العظيم فى لطفه، اللطيف فى عظمته، العالى فى قربه، القريب فى علوه، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الشورى:11)، ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الأنعام:103).

فصل

الدليل اللغوى فى إثبات الرؤية

الدليل السابع: قوله عز وجل: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة:22،23) وإذا أنت أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراده منها وجدتها منادية نداء صريحاً، أن الله سبحانه يُرى عياناً بالأبصار يوم القيامة، وإن أبيت إلا تحريفها الذى يسميه المحرفون تأويلاً، فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك، ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول مثل هذه النصوص. وهذا الذى أفسد الدين والدنيا، وإضافة النظر إلى الوجه الذى هو محله فى هذه الآية وتعديته بأداة (إلى) الصريحة فى نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدى بإلى خلاف حقيقته. وموضوعه صريح فى أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التى فى الوجه، إلى نفس الرب جل جلاله. فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه، فإن عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله: ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ (الحديد:13)، وإن عدى بفى فمعناه التفكر والاعتبار كقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (الأعراف:185)، وإن عدى بإلى فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله: ﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ (الأنعام: 99). فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذى هو محل البصر ؟ !

قال يزيد بن هارون: أنبأنا مبارك عن الحسن قال: نظرت إلى ربها تبارك وتعالى فنضرت بنوره، فاسمع أيها السنى تفسير النبى ﷺ وأصحابه والتابعين وأئمة الإسلام لهذه الآية. قال ابن مردويه فى تفسيره: حدثنا إبراهيم عن محمد، حدثنا صالح بن أحمد، حدثنا يزيد بن الهيثم، حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا مصعب بن المقدام، حدثنا سفيان عن ثوير بن أبى فاختة عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ قال: من البهاء والحسن، ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة:23)، قال: فى وجه الله عز وجل.

وقال أبو صالح عن ابن عباس، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. قال: تنظر إلى وجه ربها عز وجل. وقال عكرمة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ قال: من النعيم ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلى ربها نظراً، ثم حكى عن ابن عباس مثله. وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث.

فصل

الأحاديث الدالة على الرؤية

وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة، رواها عنه أبو بكر الصديق وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وجرير بن عبد الله البجلي وصهيب بن سنان الرومي وعبد الله بن مسعود الهذلي وعليّ بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري وعدي بن حاتم الطائي وأنس بن مالك الأنصاري وبريدة بن الحصيب الأسلمي وأبو رزين العقيلي، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو أمامة الباهلي، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر وعائشة أم المؤمنين، وعبد الله ابن عمر وعمارة بن رويبة، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص - وحديثه موقوف - وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة، وفضالة ابن عبيد - وحديثه موقوف - ورجل من أصحاب النبي ﷺ غير مسمى.

فهاك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن، وتلقها بالقبول والتسليم وانشراح الصدر، لا بالتحريف والتبديل وضيق العطن، ولا تكذب بها فمن كذب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين، وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين.

فصل

فأما حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحق الطالقاني، قال: حدثني النضر بن شميل المازني، قال: حدثني أبو نعامة قال: حدثني أبو هنيدة البراء بن نوفل عن والان العدوي عن حذيفة عن أبي بكر الصديق قال: «أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم فصلى الغداة ثم جلس، حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله ﷺ، ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب، كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الآخرة، ثم قام إلى أهله، فقال الناس لأبي بكر: ألا تسأل رسول الله ﷺ ما شأنه ؟ صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قط، قال: فسأله، فقال: «**نعم عرض عليَّ ما هو كائن من أمر الدنيا وأمر الآخرة، فجمع الأولون والآخرون في صعيد واحد، ففظع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم ﷺ والعرق يكاد**

يلجمهم، فقالوا: يا آدم أنت أبو البشر، وأنت اصطفاك الله عز وجل اشفع لنا إلى ربك، قال: لقد لقيت مثل الذى لقيتم، انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم، إلى نوح: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: 33).

قال: فينطلقون إلى نوح ﷺ، فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فأنت اصطفاك الله واستجاب لك فى دعائك ولم يدع على الأرض من الكافرين دياراً، فيقول: ليس ذاكم عندى، انطلقوا إلى إبراهيم ﷺ فإن الله اتخذه خليلاً، فينطلقون إلى إبراهيم، فيقول: ليس ذاكم عندى، انطلقوا إلى موسى ﷺ فإن الله عز وجل كلمه تكليماً، فيقول موسى ﷺ: ليس ذكم عندى، ولكن انطلقوا إلى عيسى ابن مريم ﷺ، فإنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى. فيقول عيسى: ليس ذاكم عندى، انطلقوا إلى سيد ولد آدم، انطلقوا إلى محمد ﷺ، فليشفع لكم إلى ربكم عز وجل، قال: فينطلق فيأتى جبريل ربه تبارك وتعالى فيقول الله عز وجل: ائذن له وبشره بالجنة، فينطلق به جبريل ﷺ فيخر ساجداً قدر جمعة، ويقول الله عز وجل: ارفع رأسك، وقل تسمع، واشفع تشفع، قال: فيرفع رأسه فإذا نظر إلى وجه ربه خر ساجداً قدر جمعة أخرى، فيقول الله عز وجل: ارفع رأسك، وقل تسمع، واشفع تشفع، قال: فيذهب ليقع ساجداً فيأخذ جبريل بضبعيه فيفتح الله عز وجل عليه من الدعاء شيئاً لم يفتحه على بشر قط، فيقول: أى رب خلقتنى سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، حتى إنه ليَرد على الحوض أكثر ما بين صنعاء وأيلة، ثم يقال: ادعوا الصديقين فيشفعون، ثم يقال: ادعوا الأنبياء قال فيجيء النبى ومعه العصابة، والنبى ومعه الخمسة والستة. والنبى وليس معه أحد. ثم يقال: ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا، قال: فإذا فعلت الشهداء ذلك، قال: يقول الله عز وجل: أنا أرحم الراحمين أدخلوا جنتى من كان لا يشرك بى شيئاً، قال: فيدخلون الجنة، ثم يقول الله عز وجل: انظروا فى النار هل تلقون من أحد عمل خيراً قط؟ قال: فيجدون فى النار رجلا، فيقول له: هل عملت خيراً قط؟ فيقول: لا، غير أنى كنت أسامح الناس فى البيع، فيقول الله عز وجل: اسمحوا لعبدى كإسماحه إلى عبيدى. ثم يُخرجون من النار رجلاً يقول له: هل عملت خيراً قط ؟ فيقول: لا، غير أنى أمرت ولدى إذا مت، فأحرقونى بالنار ثم اطحنونى حتى إذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بى إلى البحر فاذرونى فى الريح، فوالله لا يقدر على رب العالمين أبداً. فقال الله عز وجل له: لم فعلت ذلك؟ قال: من مخافتك، قال، فيقول

الله عز وجل: انظر إلى مُلْك أعظم ملك، فإن لك مثله وعشرة أمثاله، قال فيقول: أتسخر بى وأنت الملك، قال: وذلك الذى ضحكت منه من الضحى». [1]

فصل

وأما حديث أبى هريرة وأبى سعيد:[2] ففى الصحيحين عن أبى هريرة: «أن ناساً قالوا يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: **هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر**؟ قالوا: لا يا رسول الله؟ قال: **هل تضارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب**؟ قالوا: لا، قال: **فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة** فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى فى صورة غير صورته التى يعرفون، فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله عز وجل فى صورته التى يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم، فأكون أنا وأمتى أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله عز وجل، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المجازى حتى ينجو، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول: لا إله إلا الله، فيعرفونهم بأثر السجود، وتأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة فى حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار، وهو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، فيقول: أى رب اصرف وجهى عن النار، فإنه قد قشبنى ريحها وأحرقنى ذكاؤها، فيدعو الله ما شاء أن يدعوه، ثم يقول تبارك وتعالى: هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا أسألك غيره. فيعطى ربه من عهود ومواثيق ما شاء فيصرف الله وجهه عن النار،

---

(1) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (15)، وصحح إسناده أحمد شاكر فى تخريج المسند.

(2) **صحيح**: أخرجه البخارى (4581)، ومسلم (183)، عن أبى سعيد. وأخرجه البخارى (6574)، ومسلم (182)، عن أبى هريرة.

فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أى رب قدمنى إلى باب الجنة، فيقول الله: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك: لا تسألنى غير الذى أعطيتك؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك !! فيقول أى رب فيدعو الله حتى يقول له: فهل إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك، فيعطى ربه ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام على باب الجنة انفقهت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور، فسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أى رب أدخلنى الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ! فيقول: أى رب، لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك الله منه قال: ادخل الجنة، فإذا دخلها، قال الله له: تمن، فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره فيقول: تمن من كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأمانى، قال الله عز وجل: لك ذلك ومثله معه.

قال عطاء بن يزيد وأبو سعيد الخدرى مع أبى هريرة: لا يرد عليه من حديثه شيئاً حتى إذا حدث أبو هريرة إن الله عز وجل قال لذلك الرجل: ومثله معه. قال أبو سعيد: وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة قال أبو هريرة: ما حفظت إلا قوله: ذلك لك ومثله معه. قال أبو سعيد: أشهد أنى حفظت من رسول الله ﷺ قوله: ذلك لك وعشرة أمثاله. قال أبو هريرة: وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً الجنة». (1)

وفى الصحيحين أيضاً عن أبى سعيدى الخدرى: «أن ناساً فى زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ: **نعم هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب ؟ وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب ؟** قالوا: لا يا رسول الله. قال: **ما تضارون فى رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى النار ؛ حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، وغبَّر أهل الكتاب، فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون ؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا رب فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سرَاب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون فى النار. ثم يدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم:**

---

(1) صحيح: أخرجه البخارى (806، 6574)، ومسلم (182).

كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال: ماذا تبغون ؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، قال فيشار إليهم ألا تردون، فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون فى النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى فى أدنى صورة من التى رأوه فيها. قال: فما تنتظرون ؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليها ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها ؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه. ثم يرفعون رءوسهم، وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم، قيل: يا رسول الله وما الجسر ؟ قال: دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب ومسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلَّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس فى نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذى نفسى بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً، قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه، فيقولون: ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً. ثم يقولون: ربنا، لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا. ثم يقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً قط، وكان أبو سعيد الخدرى يقول: إن لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ (النساء:40).

فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيُخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حُمماً فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر، ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض.

فقالوا: يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال: **فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم. فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين، فيقول: لكم عندى أفضل من هذا. فيقولون: يا ربنا وأى شىء أفضل من هذا ؟ فيقول: رضائى فلا أسخط عليكم بعده أبداً»**. [1]

فصل

وأما حديث جرير بن عبد الله ففى الصحيحين[2] من حديث إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عنه قال: كنا جلوساً مع النبى ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: **«إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا، لا تضامون فى رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾** (ق: 39) ».

رواه عن إسماعيل بن أبى خالد عبد الله بن إدريس الأودى ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن محمد المحاربى وجرير بن عبد الحميد وعبيدة بن حميد وهشيم بن بشير وعلىّ بن عاصم وسفيان بن عيينة ومروان بن معاوية وأبو أسامة وعبد الله بن نمير ومحمد بن عبيد وأخوه يعلى بن عبيد ووكيع بن الجراح ومحمد بن فضيل والطفاوى ويزيد بن هارون وإسماعيل بن أبى خالد وعنبسة بن سعيد والحسن بن صالح بن يحيى وورقاء بن عمرو وعمار ابن رزيق وأبو الأغر سعيد بن عبد الله ونصر بن طريف وعمار بن محمد والحسن بن عياش أخو أبى بكر ويزيد بن عطاء وعيسى بن يونس وشعبة بن الحجاج وعبد الله بن المبارك وأبو حمزة السكرى وحسين بن واقد ومعتمر بن سليمان وجعفر بن زياد وخداش بن المهاجر وهريم بن سفيان ومندل بن علىّ وأخوه حبان بن علىّ وعمرو بن مرثد وعبد الغفار بن القاسم ومحمد بن بشر الجريرى ومالك بن مغول وعصام بن النعمان وعلىّ بن القاسم الكندى وعبيدة بن الأسود الهمدانى وعبد الجبار بن العباس والمعلى بن هلال ويحيى بن زكريا بن أبى زائدة والصباح بن محارب ومحمد بن عيسى وسعيد بن حازم وأبان بن أرقم وعمرو بن النعمان ومسعود بن سعد الجعفى وعثام بن على وحسن بن حبيب وسنان بن هارون البرجمى ومحمد بن يزيد الواسطى

---

(1) صحيح: أخرجه البخارى (7440)، ومسلم (183).

(2) صحيح: أخرجه البخارى (554)، مواقيت الصلاة، و (7435) فى التوحيد، ومسلم (633).

وعمرو بن هشام ومحمد بن مروان ويعلى بن الحارث المحاربى وشعيب بن راشد والحسن بن دينار وسلام بن أبى مطيع وداود بن الزبرقان وحماد بن أبى حنيفة ويعقوب بن حبيب وحكام ابن سلم وأبو مقاتل بن حفص ومسيب بن شريك وأبو حنيفة النعمان بن ثابت وعمرو بن شمر الجعفى وعمرو بن عبد الغفار الفقهى وسيف بن هارون البرجمى أخو سنان وعابد بن حبيب ومالك بن سعير بن الخمس ويزيد بن عطاء مولى ابن عوانة وخالد بن يزيد العصرى وعبيد الله ابن موسى وخالد بن عبد الله القحطان وأبو كدينة يحيى بن المهلب ورقبة بن مصقلة ومعمر بن سليمان الرقى ومرجى بن رجاء وعمرو بن جرير ويحيى بن هاشم السمسار وإبراهيم بن طهمان وخارجة بن مصعب وعبد الله بن عثمان شريك شعبة وعبد الله بن فروخ وزيد بن أبى أنيسة، وجوده فقال: «**ستعاينون ربكم عز وجل كما تعاينون هذا القمر**» وأبو شهاب الحناط وقال: «**سترون ربكم عياناً**» وحارثة بن هرم وعاصم بن حكيم ومقابل بن سليمان وأبو جعفر الرازى والحسن بن أبى جعفر والوليد بن عمرو وأخوه عثمان بن عمرو وعبد السلام بن عبد الله بن قرة العنبرى ويزيد بن عبد العزيز وعلى بن صالح بن حى وزفر بن الهذيل والقاسم بن معن، تابع إسماعيل بن أبى خالد عن قيس جماعة منهم بيان بن بشر ومجالد بن سعيد وطارق بن عبد الرحمن وجرير بن يزيد بن جرير البجلى وعيسى بن المسيب كلهم عن قيس بن أبى حازم عن جرير فكل هؤلاء شهدوا على إسماعيل بن أبى خالد وشهد إسماعيل بن أبى خالد على قيس، وشهد قيس بن أبى حازم على جرير بن عبد الله، وشهد جرير على رسول الله ﷺ فكأنك تسمع رسول الله ﷺ وهو يقول ويبلغه لأمته ولا شىء أقر لأعينهم منه، وشهدت الجهمية والفرعونية والرافضة والقرامطة والباطنية وفروخ الصابئة والمجوس واليونان بكفر من اعتقد ذلك وأنه من أهل التشبيه والتجسيم، وتابعهم على ذلك كل عدو للسنة وأهلها، والله تعالى ناصر كتابه وسنة رسوله، ولو كره الكافرون.

فصل

وأما حديث صهيب: فرواه مسلم فى صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله عز وجل: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل**، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: 26)، وهذا حديث رواه الأئمة عن حماد وتلقوه عن نبيهم بالقبول والتصديق.

فصل

وأما حديث عبد الله بن مسعود، فقال الطبرانى[1]: حدثنا محمد بن النضر الأزدى وعبد الله ابن أحمد بن حنبل والحضرمى قالوا: حدثنا إسماعيل بن عبيد الله بن أبى كريمة الحرانى حدثنا محمد بن سلمة الحرانى عن أبى عبد الرحيم عن زيد بن أبى أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبى عبيدة عن عبد الله عن مسروق بن الأجدع، حدثنا عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «**يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم، قياماً أربعين سنة، شاخصة أبصارهم إلى السماء، ينتظرون فصل القضاء، قال: وينزل الله عز وجل فى ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسى، ثم ينادى مناد: أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذى خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً أن يولى كل أناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون فى الدنيا، أليس ذلك عدلاً من ربكم؟ قالوا: بلى، قال: فلينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون فى الدنيا، قال: فينطلقون، ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون. فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون، قال: ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيراً شيطان عزير، ويبقى محمد ﷺ وأمته، فيأتيهم الرب عز وجل فيقول: ما لكم لا تنطلقون كما انطلق الناس ؟ قال: فيقولون: إن لنا إلهاً ما رأيناه بعد، فيقول: هل تعرفونه إن رأيتموه ؟ فيقولون: إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفْناه، قال فيقول: ما هى ؟ فيقولون: يكشف عن ساقه، فعند ذلك يكشف عن ساق فيخرون له سجداً ويبقى قوم ظهورهم كصياصى البقر يريدون السجوْد فلا يستطيعون، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون، ثم يقول: ارفعوا رءوسكم فيرفعون رءوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوراً مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه، ومنهم من يعطى نوراً أصغر من ذلك، ومنهم من يعطى نوراً مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى نوراً أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على إبهام قدمه يضىء مرة ويطفأ مرة. فإذا أضاء قدم قدمه فمشى، وإذا طفئ قام، والرب تبارك وتعالى أمامهم حتى يمر فى النار فيبقى أثره كحد السيف دحض مزلة قال: ويقول مروا فيمرون على قدر نورهم منهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالسحاب، ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الفرس، ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذى أعطى نوره على قدر إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تخر يد وتعلق يد وتخر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فلا يزال كذلك حتى يخلص، فإذا خلص وقف عليها ثم قال: الحمد لله لقد أعطانى الله ما لم يعط أحداً إذ نجانى منها بعد إذ رأيتها قال: فينطلق به إلى غدير باب الجنة فيغتسل**

(1) صحيح: سبق تخريجه، وهو عند مسلم (181) الإيمان.

فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم، فيرى ما فى الجنة من خلال الباب فيقول: رب أدخلنى الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى له: أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار؟! فيقول: يا رب اجعل بينى وبينها حجاباً لا أسمع حسيسها. قال: فيدخل الجنة قال: ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك، كأنما الذى هو فيه إليه حلم، فيقول: رب أعطنى ذلك المنزل فيقول: فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره ! فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، وأى منزل يكون أحسن منه ؟ قال فيعطاه فينزله، ويرى أمام ذلك منزلاً كأنما الذى هو فيه إليه حلم. قال: أى رب أعطنى ذلك المنزل فيقول الله عز وجل: فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره، فيقول: لا وعزتك لا أسأل غيره وأى منزل يكون أحسن منه ؟ قال: فيعطى فينزله قال: ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر كأنما الذى هو فيه إليه حلم، فيقول: رب أعطنى ذلك المنزل فيقول الله جل جلاله: فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره، فيقول: لا وعزتك لا أسأل غيره. وأى منزل يكون أحسن منه؟ قال: فيعطاه فينزله ثم يسكت، فيقول الله عز وجل: ما لك لا تسأل ؟ فيقول: رب لقد سألتك حتى استحييتك وأقسمت لك حتى استحييتك، فيقول الله عز وجل: ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه ؟ فيقول: أتستهزئ بى وأنت رب العزة، فيضحك الرب عز وجل من قوله. قال: فرأيت عبد الله بن مسعود إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك. فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث هذا الحديث مراراً، كلما بلغت هذا المكان ضحكت؟ فقال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يحدث هذا الحديث مراراً كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضراسه، قال: فيقول الرب عز وجل: لا، ولكنى على ذلك قادر سَلْ، فيقول: ألحقنى بالناس فيقول: الحق بالناس قال: فينطلق يرمل فى الجنة حتى إذ دنا من الناس رفع له قصر من درة فيخر ساجداً فيقال له: ارفع رأسك ما لك؟ فيقول: رأيت ربى أو تراءى لى ربى، فيقال له: إنما هو منزل من منازلك. قال: ثم يلقى رجلاً فيتهيأ للسجود، فيقال له: مه ما لك؟ فيقول: رأيت أنك ملك من الملائكة فيقول له: إنما أنا خازن من خزانك عبد من عبيدك تحت يدى ألف قهرمان على مثل ما أنا عليه، قال: فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر قال: وهو فى درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء كل جوهرة تفضى إلى جوهرة فيها سبعون باباً كلٌ يفضى إلى جوهرة خضراء مبطنة بحمراء كل جوهرة تفضى إلى جوهرة على غير لون الأخرى، فى كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف أدناهن حوراء عيناء، عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللها، كبدها مرآته وكبده مرآتها إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت فى عينه سبعين ضعفاً عما كانت قبل ذلك، فيقول لها: والله لقد ازددت فى عينى سبعين ضعفاً، وتقول: والله وأنت لقد ازددت فى عينى سبعين ضعفاً. فيقال له: أشرف قال: فيشرف، فيقال له: ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصره، قال فقال عمر: ألا تسمع ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب، عن أدنى أهل الجنة منزلاً فكيف أعلاهم ؟

قال كعب: يا أمير المؤمنين فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت إن الله عز وجل جعل داراً فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة، ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة، ثم قرأ كعب: **﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** (السجدة: 17) قال: وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه، ثم قال: من كان كتابه فى عليين نزل تلك الدار التى لم يرها أحد؛ حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير فى ملكه فما تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه فيستبشرون بريحه فيقولون: واهاً لهذه الريح هذا رجل من أهل عليين، قد خرج ليسير فى ملكه، فقال: ويحك يا كعب هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها، فقال كعب: والذى نفسى بيده إن لجهنم يوم القيامة لزفرة ما يبقى من ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا لركبتيه حتى إن إبراهيم خليل الله يقول: «رب نفسى نفسى لو كان لك عمل سبعين نبياً إلى عملك لظننت أنك لا تنجو». (1)

هذا حديث كبير حسن رواه المصنفون فى السنة كعبد الله بن أحمد والطبرانى والدارقطنى فى كتاب الرؤية رواه عن ابن صاعد، حدثنا محمد بن أبى عبد الرحمن المقرئ قال: حدثنا أبى حدثنا ورقاء بن عمر، حدثنا أبو طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبى هند عن أبى عبيد الله عن عبد الله ورواه من طريق عبد السلام بن حرب، حدثنا الدالانى، حدثنا المنهال بن عمرو عن أبى عبيدة به ورواه من طريق زيد بن أبى أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبى عبيدة به، ورواه من طريق أحمد بن أبى طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبى هند عن أبى عبيدة.

فصل

وأما حديث على بن أبى طالب: فقال يعقوب بن سفيان، حدثنا محمد بن المصفى، حدثنا سويد بن عبد العزيز، حدثنا عمرو بن خالد عن زيد بن على عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب قال: قال رسول الله ﷺ: **«يزور أهل الجنة الرب تبارك وتعالى فى كل جمعة وذكر ما يعطون قال: ثم يقول الله تبارك وتعالى: اكشفوا حجاباً فيكشف حجاب ثم حجاب، ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن وجهه، فكأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾** (ق: 35)».

---

(1) صحيح: أخرجه الطبرانى فى الكبير (9/ 357)، حديث رقم (9763)، وذكره المنذرى فى «الترغيب والترهيب» وقال: «رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى من طرق أحدها صحيح واللفظ له والحاكم وقال: صحيح الإسناد»، وصححه الألبانى أيضاً فى «صحيح الترغيب» (3591).

فصل

وأما حديث أبى موسى: ففى الصحيحين عنه عن النبى ﷺ قال: «**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن**». (1)

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى وعفان قالا: حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عمارة عن أبى بردة عن أبى موسى قال: قال رسول الله ﷺ : «**يجمع الله عز وجل الأمم فى صعيد واحد يوم القيامة فإذا بدا لله أن يصدع بين خلقه، مُثِّل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يقحموهم النار، ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول من أنتم ؟ فنقول: نحن المسلمون، فيقول: ما تنتظرون ؟ فنقول: ننتظر ربنا عز وجل. قال: فيقول: وهل تعرفونه إن رأيتموه ؟ فيقولون: نعم، فيقول: كيف تعرفونه ولم تروه، فيقولون: نعم، إنه لا عدْل له، فيتجلى لنا ضاحكاً فيقول: أبشروا يا أيها المسلمون. فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت مكانه فَى النار يهودياً أو نصرانياً**»(2) وقال حماد بن سلمة عن علىّ بن زيد عن عمارة القرشى عن أبى بردة عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: «**يتجلى لنا ربنا تبارك وتعالى ضاحكاً يوم القيامة**» (3) وذكر الدارقطنى من حديث أبان بن أبى عياش عن أبى تميمة الهجيمى عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: «**يبعث الله يوم القيامة منادياً بصوت يسمعه أولهم وآخرهم أن الله عز وجل وعدكم الحسنى وزيادة، فالحسنى: الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل**». (4)

فصل

وأما حديث عدى بن حاتم: ففى صحيح البخارى قال: «**بينا نحن عند النبى ﷺ إذ أتى إليه** رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتى إليه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: **يا عدى هل رأيت الحيرة؟**

---

(1) **صحيح** : أخرجه البخارى (4878) فى تفسير القرآن، ومسلم (180) الإيمان.

(2) **صحيح** : أخرجه أحمد (19544)، وعبد بن حميد فى «مسنده» (1/ 191) رقم (540)، بهذا الإسناد، وقال الألبانى -رحمه الله-: «وهذا إسناد ضعيف، عمارة هذا لم أعرفه، وقوله: «بدا لله» منكر. وعلى بن زيد -وهو ابن جدعان- ضعيف الحفظ، لكن الحديث صحيح فى الجملة، فإن له شاهداً من حديث جابر ابن عبد الله، من رواية أبى الزبير». وانظر الصحيحة للألبانى (755).

(3) **صحيح** : أخرجه ابن خزيمة فى «التوحيد» (153)، والطبرانى فى «الكبير»، وأحمد،والآجرى فى «الشريعة» من طريق حماد بن سلمة: ثنا على بن زيد عن عمارة القرشى عن أبى بردة بن أبى موسى عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ فذكره. والحديث صححه الألبانى فى الصحيحة (755).

(4) **إسناده ضعيف** : أبان بن أبى عياش قال فيه أحمد وابن حجر : «متروك».

قلت: لم أرها وقد أنبئت عنها قال: **فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله**- قلت: فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيئ الذين سعروا البلاد- **ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى**، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: **كسرى بن هرمز. ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فيقولن: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك ؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم»**.(1)

قال عدي: سمعت النبي ﷺ يقول: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة**»، قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ».

فصل

وأما حديث أنس بن مالك، ففي الصحيحين من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك - وفي لفظ فيلهمون لذلك - فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ؟ فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو الخلق، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله عز وجل، قال: فيأتون نوحاً فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمداً ﷺ، عبداً قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**.

قال: قال رسول الله ﷺ: **فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا أنا رأيته فأقع ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، فيقال: يا محمد ارفع رأسك قل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع،**

(1) صحيح : أخرجه البخاري (3595).

فأرفع رأسى فأحمد ربى، بتحميد يعلمنيه ربى، فأشفع فيحد لى حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود، فأقع ساجداً، فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى، ثم يقال: ارفع رأسك يا محمد، وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع، فأرفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربى ثم أشفع فيحد لى حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدرى فى الثالثة أو فى الرابعة. قال: فأقول يا رب ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن أى وجب عليه الخلود». [1]

وذكر ابن خزيمة عن ابن عبد الحكم عن أبيه وشعيب بن الليث عن الليث، حدثنا معتمر بن سليمان عن حميد عن أنس قال: «يلقى الناس فى القيامة ما شاء الله أن يلقوه من الحبس فيقولون: **انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا الى ربنا»**، فذكر الحديث إلى أن قال: «**فينطلقون إلى محمد ﷺ فأقول: أنا لها، فأنطلق حتى أستفتح باب الجنة فيفتح لى، فأدخل وربى على عرشه، فأخر ساجداً**» وذكر الحديث.

وقال أبو عوانة وابن أبى عروبة وهمام وغيرهم عن أنس فى هذا الحديث: «**فأستأذن على ربى فإذا رأيته وقعت ساجداً**»، وقال عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس: «**فآتى ربى وهو على سريره أو كرسيه فأخر له ساجداً**»،[2] وساقه ابن خزيمة بسياق طويل، وقال فيه: «**فأستفتح فإذا نظرت إلى الرحمن وقعت له ساجداً**». ورؤية النبى ﷺ لربه فى هذا المقام ثابتة عنه ثبوتاً يقطع به أهل العلم بالحديث والسنة، وفى حديث أبى هريرة: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا صاحب لواء الحمد ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة ولا فخر، آخذ بحلقة باب الجنة، فيؤذن لى فيستقبلنى وجه الجبار جل جلاله فأخر له ساجداً**». [3]

وقال الدارقطنى: حدثنا محمد بن إبراهيم النسائى العدل بمصر، حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر القاضى، حدثنا أبو بكر إبراهيم بن محمد، أخبرنا الخليل بن عمر الأشج عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس عن النبى ﷺ فى قوله عز وجل: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾(يونس:26) قال: «**النظر إلى وجه الله عز وجل**».

حدثنا أبو صالح عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الأصبهانى ومحمد بن جعفر بن أحمد

---

(1) **صحيح** : أخرجه البخارى (4476)، تفسير القرآن ومسلم (193).

(2) **ضعيف** : ضعفه الألبانى فى «الضعيفة» (1579)، وقال: «وقد ذكره الذهبى فى «العلو» من رواية البخارى عن أنس مختصراً جداً». وقال رحمه الله: «ولم أقف على إسناده».

(3) **صحيح** : أخرجه الترمذى (3148)، عن أبى نضرة عن أبى سعيد، وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى، ورواه أحمد، عن أبى نضرة عن ابن عباس أما حديث أبى هريرة فلم أصل إليه.

المطيرى ومحمد بن على بن إسماعيل الأيلى قالوا: حدثنا عبد الله بن روح المدائنى، حدثنا سلام بن سليمان، حدثنا ورقاء وإسرائيل وشعبة وجرير بن عبد الحميد كلهم قالوا: حدثنا ليث عن عثمان بن أبى حميد عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أتانى جبريل وفى كفه كالمرآة البيضاء يحملها فيها كالنكتة السوداء، فقلت: ما هذه التى فى يدك يا جبريل؟ فقال: هذه الجمعة، قلت: وما الجمعة ؟ قال: لكم فيها خير كثير، قلت: وما يكون لنا فيها؟ قال: يكون عيداً لك ولقومك من بعدك، وتكون اليهود والنصارى تبعاً لكم، قلت: وما لنا فيها؟ قال: لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئاً هو له قسم إلا أعطاه إياه، أو ليس له بقسم إلا ادخر له فى آخرته ما هو أعظم منه، قلت: ما هذه النكتة التى هى فيها؟ قال: هى الساعة ونحن ندعوه يوم المزيد، قلت: وما ذاك يا جبريل؟ قال: إن ربك اتخذ فى الجنة وادياً أفيح فيه كثبان من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين عز وجل على كرسيه فيحف الكراسى بكراسى من نور، فيجىء النبيون حتى يجلسوا على تلك الكراسى وتحف الكراسى بمنابر من نور ومن ذهب مكللة بالجوهر، ثم يجىء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر، ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم، حتى يجلسوا على تلك الكثبان، ثم يتجلى لهم عز وجل فيقول: أنا الذى صدقتكم وعدى، وأتممت عليكم نعمتى، وهذا محل كرامتى فاسألونى. فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم فيفتح لهم فى ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة. ثم يرتفع على كرسيه عز وجل ويرتفع معه النبيون والصديقون، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم وهى لؤلؤة بيضاء أو زبرجدة خضراء أو ياقوتة حمراء، غرفها وأبوابها منها، وأنهارها مطردة فيها، وأزواجها وخدامها وثمارها متدلية فيها، فليسوا إلى شىء أحوج منهم إلى يوم الجمعة، ليزدادوا نظراً إلى ربهم، ويزدادوا منه كرامة**». [1]

هذا حديث كبير عظيم الشأن، رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول، وجمل به الشافعى مسنده[2]، فرواه عن إبراهيم بن محمد قال: حدثنى موسى بن عبيدة، قال: حدثنى أبو الأزهر عن عبيد الله ابن عبد أنه سمع أنس بن مالك فذكره بنحوه وقد تقدم لفظه. ثم قال الشافعى: أنبأنا إبراهيم قال: حدثنى أبو عمران إبراهيم بن الجعد عن أنس شبيهاً به وزاد فيه أشياء. ورواه محمد بن إسحاق قال: حدثنى ليث بن أبى سليم عن عثمان بن عمير عن أنس به وقال فيه: «**ثم يتجلى لهم ربهم عز وجل حتى ينظروا إلى وجهه الكريم**» وذكر باقى الحديث. ورواه عمرو بن أبى

---

(1) انظر كنز العمال (21063)، وكتاب «الرؤية» للدارقطنى.

(2) انظر مسند الشافعى (1/ 70).

قيس عن أبي ظبية عن عاصم عن عثمان بن عمير أبي اليقظان عن أنس وجوّده وفيه: «فإذا كان يوم الجمعة نزل على كرسيه ثم حف الكرسي بمنابر من نور، فيجيء النبيون حتى يجلسوا عليها ويجيء أهل الغرف حتى يجلسوا على الكثب، قال: ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى، فينظرون إليه فيقول: أنا الذى صدقتكم وعدى وأتممت عليكم نعمتى. وهذا محل كرامتى سلونى. فيسألونه الرضى، قال: رضاى أنزلكم دارى. وأنالكم كرامتى. سلونى فيسألونه الرضى، قال: فيشهدهم بالرضا ثم يسألونه حتى تنتهى رغبتهم»[1] وذكر الحديث، ورواه على بن حرب: حدثنا إسحاق بن سليمان، حدثنا عنبسة بن سعيد عن عثمان بن عميرة ورواه الحسن بن عرفة حدثنا عمار بن محمد بن أخت سفيان الثورى عن ليث بن أبى سليم عن عثمان عن أنس. وقال فيه: «**ثم يرتفع على كرسيه، ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم**».

ورواه الدارقطنى من طريق آخر من حديث قتادة عن أنس قال: سمعته يقول: «بينا نحن حول رسول الله ﷺ إذ قال: **أتانى جبريل فى يده كالمرآة البيضاء فى وسطها كالنكتة السوداء، قلت: يا جبريل ما هذا ؟ قال: هذا يوم الجمعة، يعرضه عليكم ربك ليكون لك عيداً ولأمتك من بعدك، قال: قلت يا جبريل ما هذه النكتة السوداء ؟ قال: هذه الساعة وهى تقوم يوم الجمعة. وهو سيد أيام الدنيا، ونحن ندعوه فى الجنة يوم المزيد، قال: قلت يا جبريل ولم تدعونه يوم المزيد ؟ قال: لأن الله اتخذ فى الجنة وادياً أفيح من مسك أبيض. فإذا كان يوم الجمعة نزل ربنا عز وجل على كرسيه إلى ذلك الوادى. وقد حف الكرسى بمنابر من ذهب مكللة بالجوهر. وقد حفت تلك المنابر بكراسى من نور. ثم يؤذن لأهل الغرف فيقبلون يخوضون كثبان المسك إلى الركب. عليهم أسورة الذهب والفضة وثياب السندس والحرير. حتى ينتهوا إلى ذلك الوادى. فإذا اطمأنوا فيه جلوساً بعث الله عليهم ريحاً يقال لها: المثيرة، فثارت ينابيع المسك الأبيض فى وجوههم وثيابهم وهم يومئذ جرد مرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين تضرب جمائمهم إلى سررهم على صورة آدم يوم خلقه الله عز وجل، فينادى رب العزة تبارك وتعالى رضوان وهو خازن الجنة، فيقول: يا رضوان ارفع الحجب بينى وبين عبادى وزوارى. فإذا رفع الحجب بينه وبينهم فرأوا بهاءه ونوره هبوا له بالسجود، فيناديهم تبارك وتعالى بصوته: ارفعوا رؤوسكم فإنما كانت العبادة فى الدنيا وأنتم اليوم فى دار الجزاء، سلونى ما شئتم فأنا ربكم الذى صدقتكم وعدى، وأتممت عليكم نعمتى، فهذا محل كرامتى فسلونى ما شئتم، فيقولون: ربنا وأى خير لم تفعله بنا، ألست الذى أعنتنا على سكرات الموت، وآنست منا**

(1) بهذا اللفظ وجدته فى مسند الحارث (زوائد الهيثمى) (1/ 301)، عن أيوب بن خوط عن عثمان عن أنس به.

الوحشة فى ظلمة القبور، وآمنت روعتنا عند النفخة فى الصور ؟ ألست أقلت لنا عثراتنا، وسترت علينا القبيح من فعلنا، وثبتَّ على جسر جهنم أقدامنا ؟ ألست الذى أدنيتنا من جوارك وأسمعتنا لذاذة منطقك. وتجليت لنا بنورك فأى خير لم تفعله بنا ؟ فيعود الله عز وجل، فيناديهم بصوته فيقول: أنا ربكم الذى صدقتكم وعدى. وأتممت عليكم نعمتى فسلونى. فيقولون: نسألك رضاك فيقول: برضائى عنكم أقلتكم عثراتكم. وسترت عليكم القبيح من أموركم. وأدنيت منى جواركم. وأسمعتكم لذاذة منطقى وتجليت لكم بنورى. فهذا محل كرامتى فسلونى. فيسألونه حتى تنتهى مسألتهم ثم يقول عز وجل: سلونى فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم، ثم يقول الله عز وجل: سلونى. فيقولون: رضينا ربنا وسلمنا فيريهم من مشهد فضله وكرامته ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ويكون ذلك بمقدار متفرقهم من الجمعة. قال أنس: فقلت بأبى أنت وأمى يا رسول الله وما مقدار متفرقهم؟ قال: كقدر الجمعة إلى الجمعة. قال: ثم يحمل عرش ربنا تبارك وتعالى إلى العليين معهم الملائكة والنبيون، ثم يؤذن لأهل الغرفات فيعودون إلى غرفهم وهما غرفتان من زمردتين خضراوين وليسوا إلى شىء أشوق منهم إلى الجمعة لينظروا إلى ربهم عز وجل. وليزيدهم من مزيد فضله وكرامته. قال أنس: سمعته من رسول الله ﷺ وليس بينى وبينه أحد». ورواه الدارقطنى أيضاً عن أبى بكر النيسابورى قال: أخبرنى العباس بن الوليد بن مزيد قال: أخبرنى محمد بن شعيب قال: أخبرنى عمر مولى عفرة عن أنس. ورواه محمد بن خالد بن خلى: حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، حدثنا صفوان قال: قال أنس: قال رسول الله ﷺ. ورواه أبو بكر ابن أبى شيبة: حدثنا عبد الرحمن بن محمد عن ليث عن عثمان عن أنس. ورواه إمام الأئمة محمد بن إسحق بن خزيمة عن زهير بن حرب: حدثنا جرير عن ليث عن عثمان بن أبى حميد عن أنس، ورواه عن الأسود بن عامر قال: ذكر لى عن شريك عن أبى اليقظان عن أنس. ورواه ابن بطة فى (الإبانة) من حديث الأعمش عن أبى وائل عن حذيفة. وسيأتى سياقه، وقد جمع ابن أبى داود طرقه.

فصل

وأما حديث بريدة بن الحصيب: فقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة: حدثنا أبو خالد عبد العزيز بن أبان القرشى، حدثنا بشير بن المهاجر عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يومَ القيامة، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان»**. (١)

(١) فى «السنة» لابن أبى عاصم وصحح إسناده الألبانى: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان» من طريق وكيع عن خيثمة عن عدى بن حاتم عن النبى ﷺ، ولم أجد إسناد ابن القيم.

فصل

وأما حديث أبى رزين العقيلى: فرواه الإمام أحمد من حديث شعبة وحماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حُدُس عن أبى رزين قال: «قلنا: يا رسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة ؟ قال: **نعم**، قال: قلت: وما آية ذلك فى خلقه ؟ قال: **أليس كلكم ينظر إلى القمر ليلة البدر** ؟ قلنا: نعم، قال: **الله أكبر وأعظم**». (1)

قال عبد الله قال أبى والصواب حُدُس. وقال أبو داود سليمان بن الأشعث: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة به. فقد اتفق شعبة وحماد بن سلمة وحسبك بهما على روايته عن يعلى بن عطاء ورواه الناس عنهما، وعن أبى رزين فيه إسناد آخر قد تقدم ذكره فى حديثه الطويل وأبو رزين العَقيلى له صحبة وعداده من أهل الطائف: وهو لقيط بن عامر ويقال: لقيط بن صبرة، هكذا قال البخارى، وابن أبى حاتم وغيرهما وقيل: هما اثنان، ولقيط بن عامر غير لقيط بن صبرة. والصحيح الأول. وقال ابن عبد البر: من قال لقيط بن صبرة نسبه إلى جده وهو لقيط بن عامر بن صبرة.

فصل

وأما حديث جابر بن عبد الله: فقال الإمام أحمد: حدثنا روح حدثنا ابن جريج قال: أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابراً يسأل عن الورود فقال: «**يجىء يوم القيامة على كذا وكذا، أى فوق الناس، فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد، الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليك فيتجلى لهم تبارك وتعالى يضحك قال: فينطلق بهم ويتبعونه، ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً، ثم يتبعونه على جسر جهنم وعليه كلاليب وحسك، تأخذ من شاء الله ثم يطفأ نور المنافق ثم ينجو المؤمنون فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، وسبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم فى السماء ثم كذلك ثم تحل الشفاعة حتى يخرج من النار مَنْ قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه من خير ما يزن شعيرة. فيُجْعلون بفناء الجنة ويَجْعل أهلَ الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشىء فى السيل، ويذهب حراقه ثم يسأل حتى يجعل الله له الدنيا وعشرة أمثالها معها**». (2)

---

(1) **حسن** : أخرجه أحمد (15753)، وأبو داود (4731)، وابن ماجه (180)، وابن أبى عاصم (458) «السنة»، وابن حبان (39)، وحسنه الألبانى فى «ظلال الجنة».

(2) **صحيح** : أخرجه مسلم (191) الإيمان، وأحمد (14656).

رواه مسلم في صحيحه، وهذا الذي وقع في الحديث من قوله. (على كذا وكذا) قد جاء مفسراً في رواية صحيحة ذكرها عبد الحق في الجمع بين الصحيحين: «**يجيء يوم القيامة على تل مشرفين على الخلائق**».

وقال عبد الرزاق: أنبأنا رباح بن زيد قال: حدثني ابن جريج قال أخبرني زياد بن سعد أن أبا الزبير أخبره عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**يتجلى لنا الرب تبارك وتعالى ينظرون إلى وجهه، فيخرون له سجداً، فيقول: ارفعوا رؤوسكم فليس هذا بيوم عبادة**». (1)

وقال الدارقطني: أنبأنا أحمد بن عيسى بن السكن، حدثنا أحمد بن محمد بن عمر بن يونس، حدثنا محمد بن شرحبيل الصنعاني قال: حدثني ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**يتجلى لنا ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكاً**»(2) وروى أبو قرة عن مالك بن أنس عن زياد بن سعد: حدثنا أبو الزبير عن جابر أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم**»، **فذكر الحديث، وفيه: «فيقول: أتعرفون الله عز وجل إن رأيتموه، فيقولون: نعم، فيقول: وكيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون: نعلم أنه لا عِدْل له، قال: فيتجلى لهم تبارك وتعالى، فيخرون له سجداً**».

وقال ابن ماجه في سننه: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا أبو عاصم العباداني عن الفضل بن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، وهو قول الله عز وجل: ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾** (يس: 58) **قال: فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم وتبقى فيهم بركته ونوره عليهم في ديارهم**». (3)

وقال حرب في مسائله: حدثنا يحيى بن أبي حزم حدثنا يحيى بن محمد أبو عاصم العباداني فذكره. وعند البيهقي في هذا الحديث سياق آخر رواه أيضاً من طريق العباداني عن الفضل بن عيسى(4) عن ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أهل الجنة في مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة، فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف. فقال: يا أهل الجنة سلوني. قالوا: نسألك الرضى عنا قال: رضائي أحلكم داري وأنالكم كرامتي، هذا أوانها فسلوني،**

---

(1) هذه اللفظة نحوها في «المعجم الأوسط» (3/ 26) عن أبي موسى.

(2) **صحيح**: صححه الألباني من طريق ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر، وانظر الصحيحة (2751).

(3) **ضعيف**: أخرجه ابن ماجه (184) المقدمة، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه.

(4) **موضوع**: انظر ضعيف الترغيب والترهيب للألباني (2244).

قالوا: نسألك الزيادة. قال: فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر أزمتها زمرد أخضر وياقوت أحمر، فجاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها، فيأمر الله عز وجل بأشجار عليها الثمار فتجيء جوار من الحور العين وهن يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت، أزواج قوم مؤمنين كرام، ويأمر الله عز وجل بكثبان من مسك أبيض أذفر فيثير عليهم ريحاً يقال لها: المثيرة، حتى تنتهى بهم إلى جنة عدن وهى قصبة الجنة، فتقول الملائكة: يا ربنا قد جاء القوم. فيقول: مرحباً بالصادقين مرحباً بالطائعين، قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تبارك وتعالى فيتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضاً، ثم يقول: أرجعوهم إلى القصور بالتحف، فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضاً، فقال رسول الله ﷺ: فذلك قوله تعالى: ﴿نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ (فصلت:32) » رواه فى (كتاب البعث والنشور)، وفى (كتاب الرؤية) قال: وقد مضى فى هذا الكتاب، وفى كتاب الرؤية ما يؤكد هذا الخبر، وقال الدارقطنى: أنبأنا الحسن بن إسماعيل، أنبأنا أبو الحسن على بن عبدة، حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن ابن أبى ذئب عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال النبى ﷺ: «إن الله عز وجل يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبى بكر خاصة».

فصل

وأما حديث أبى أمامة: فقال ابن وهب: أخبرنى يونس بن يزيد عن عطاء الخراسانى عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى عن عمرو بن عبد الله الحضرمى عن أبى أمامة قال: «خطبنا رسول الله ﷺ يوماً فكان أكثر خطبته ذكر الدجال يحذرناه، ويحدثنا عنه حتى فرغ من خطبته، فكان فيما قال لنا يومئذ: إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا حذره أمته، وإنى آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج فيكم بعدى فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتى على كل مسلم، إنه يخرج من خلة بين العراق والشام عاث يميناً وعاث شمالاً، يا عباد الله: اثبتوا وإنه يبدأ فيقول: أنا نبى ولا نبى بعدى، ثم يثنى فيقول: أنا ربكم ولن تروا ربكم حتى تموتوا، وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن، فمن لقيه منكم فليتفل فى وجهه وليقرأ بفواتح سورة أصحاب الكهف، وإنه يسلط على نفس من بنى آدم فيقتلها ثم يحييها، وإنه لا يعدو ذلك ولا يسلط على نفس غيرها، وإن من فتنته أن معه جنة وناراً، فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلى بناره فليغمض عينيه وليستغث بالله تكن برداً وسلاماً، كما كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وإن أيامه أربعون يوماً: يوماً كسنة، ويوماً كشهر، ويوماً كجمعة، ويوماً كالأيام وآخر أيامه كالسراب، يصبح الرجل عند باب المدينة فيمس قبل أن يبلغ بابها الآخر.

قالوا: فكيف نصلى يا رسول الله فى تلك الأيام القصار؟ قال: **تقدرون فيها كما تقدرون فى الأيام الطوال**»[1] ورواه الدارقطنى عن ابن صاعد عن أحمد بن الفرج عن ضمرة بن ربيعة عن يحيى بن أبى عمرويه مختصراً.

فصل

وأما حديث زيد بن ثابت، فقال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة قال: حدثنى أبو بكر قال: حدثنى ضمرة بن حبيب عن زيد بن ثابت «أن رسول الله ﷺ علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم قال: قل حين تصبح: **لبيك اللهم لبيك، لبيك وسعديك والخير فى يديك ومنك وإليك، اللهم وما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فمشيئتك بين يديك، ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله إنك على كل شىء قدير. اللهم وما صليت من صلاة فعلى من صليت، وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت، أنت ولىّ فى الدنيا والآخرة، توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين، أسألك اللهم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، أعوذ بك اللهم أن أظلم أو أظلم، أو أعتدى أو يعتدى علىَّ، أو أكتسب خطيئة محبطة أو ذنباً لا يغفر، اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام. فإنى أعهد إليك فى هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيداً، إنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك. لك الملك ولك الحمد، وأنت على كل شىء قدير، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق، والجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها، وأنت تبعث من فى القبور، وأشهد أنك إن تكلنى إلى نفسى تكلنى إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة، وإنى لا أثق إلا برحمتك فاغفر لى ذنبى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وتُب علىّ إنك أنت التواب الرحيم**»[2] رواه الحاكم فى صحيحه.

---

(1) ضعيف: أخرجه الطبرانى فى «المعجم الكبير» (7644)، (8/ 146)، والحاكم فى «المستدرك» (8620)، (4/ 580)، وفى مسند الشاميين (861) (2/ 28)، وأخرجه ابن ماجه (4077)، وابن أبى عاصم فى «السنة» (391)، والآجرى فى الشريعة من طرق أخرى عن الشيبانى، وضعفه الألبانى فى «ظلال الجنة» وقال: لبعض فقراته شواهد تقويها.

(2) ضعيف: أخرجه أحمد (21560)، وانظر ضعيف الترغيب والترهيب (397) للألبانى.

فصل

وأما حديث عمار بن ياسر: فقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق الأزرق عن شريك عن أبى هاشم عن أبى مجلز قال: «صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها، فأنكروا ذلك فقال: ألم أتم الركوع والسجود ؟ قالوا: بلى، قال: أما إنى قد دعوت فيها بدعاء كان رسول الله ﷺ يدعو به: **اللهم بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق أحينى ما علمت الحياة خيراً لى، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة، وكلمة الحق فى الغضب والرضا، والقصد فى الفقر والغنى، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة. اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين**»[1] وأخرجه ابن حبان والحاكم فى صحيحيهما.

فصل

وأما حديث عائشة: ففى صحيح الحاكم من حديث الزهرى عن عروة عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لجابر: «**يا جابر ألا أبشرك** ؟ قال: بلى بشرك الله بخير، قال: **شعرت أن الله أحيا أباك فأقعده بين يديه** فقال: تمن علىَّ عبدى ما شئت أعطكه قال: يا رب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك، فأقتل فيك مرة أخرى ! قال: إنه قد سلف منى أنك إليها لا ترجع»[2] وهو فى المسند من حديث جابر وفى مسنده أدخله. وللترمذى[3] فيه سياق أتم من هذا عن جابر قال: «لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام يوم أحد قال رسول الله ﷺ : يا جابر ألا أخبرك ما قال الله عز وجل لأبيك ؟ قال: بلى. قال: **ما كلم الله عز وجل أحداً إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحاً. فقال: يا عبدى تمن علىَّ أعطك**. قال: يا رب تحيينى، فأقتل فيك ثانية، قال: إنه سبق منى أنهم إليها لا يرجعون، قال: يارب فأبلغ من ورائى. فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا** ﴾ الآية (آل عمران: 169).

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. قلت: وإسناده صحيح ورواه الحاكم فى صحيحه.

---

(1) **صحيح** : أخرجه النسائى (1306)، وأحمد (18241)، والحاكم (1/ 705)، وقال: «صحيح الإسناد» وابن حبان (5/ 304)، وصححه الألبانى وانظر «تخريج الكلم الطيب» (105).

(2) أخرجه الحاكم (3/ 203)، وصححه.

(3) **حسن** : أخرجه الترمذى (3010)، وابن ماجه (190)، وحسنه الألبانى. وانظر «ظلال الجنة» (602).

فصل

وأما حديث عبد الله بن عمر، فقال الترمذي: حدثنا عبد بن حميد عن شبابة عن إسرائيل عن ثوير بن أبي فاختة، وقال الطبراني: حدثنا أسد بن موسى، حدثنا أبو معاوية محمد بن حازم عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه، وإن أفضلهم منزلة من ينظر في وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين**» .[1]

قال الترمذي: وروى هذا الحديث من غير وجه عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعاً، ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر موقوفاً. وروى الأشجعي عبيد الله عن الثوري عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر قوله ولم يرفعه حدثنا بذلك أبو كريب. أنبأنا الأشجعي عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر نحوه ولم يرفعه، قلت: ورواه الحسن بن عرفة عن شبابة عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعاً وزاد فيه: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ (القيامة:22،23).

وقال سعيد بن هشيم بن بشير عن أبيه عن كوثر بن حكيم عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى الله تبارك وتعالى**»[2] ورواه الدارقطني عن جماعة عن أحمد بن يحيى بن حبان الرقي عن إبراهيم بن خرزاذ عنه.

وقال الدارقطني: حدثنا أحمد بن سلمان أخبرنا محمد بن يونس، حدثنا عبد الحميد بن صالح، حدثنا أبو شهاب الحناط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأسفل أهل الجنة**، قالوا: بلى يا رسول الله، فذكر الحديث ـ إلى أن قال ـ **حتى إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه أشرف الرب تبارك وتعالى عليهم، فينظرون إلى وجه الله عز وجل، فيقول: يا أهل الجنة هللوني وكبروني وسبحوني بما كنتم تهللوني وتكبروني وتسبحوني في دار الدنيا فيتجاوبون بتهليل الرحمن فيقول تبارك وتعالى لداود: يا داود قم فمجدني. فيقوم داود فيمجد ربه عز وجل**».[3]

(1) **ضعيف**: أخرجه أحمد (4623)، والترمذي (3330)، وأبو يعلى (5729) (10/ 96)، والحاكم (2/ 553)، (3880)، وابن أبي شيبة (7/ 34)، وضعفه الألباني مرفوعاً وموقوفاً، وانظر الضعيفة (1985).

(2) «الرؤية» للدارقطني (175).

(3) انظر ضعيف الترغيب والترهيب (2184).

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في رده على بشر المريسي: حدثنا أحمد بن يونس عن أبي شهاب الحناط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن ابن عمر يرفعه إلى النبي ﷺ : «**إن أهل الجنة إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه تجلى لهم الرب تبارك وتعالى فنظروا إلى وجه الرحمن، فنسوا كل نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن**».

فصل

وأما حديث عمارة بن رويبة: فقال ابن بطة في «الإبانة»: حدثنا عبد الغافر بن سلامة الحمصي، حدثنا محمد بن عوف بن سفيان الطائي، حدثنا أبو اليمان، حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن عبد الله عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر ابن عمارة بن رويبة عن أبيه قال: «نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: **إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضارون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها فافعلوا**». (1)

قال ابن بطة: وأخبرني أبو القاسم عمر بن أحمد عن أبي بكر أحمد بن هارون: حدثنا عبد الرزاق بن منصور، حدثنا المغيرة، حدثنا المسعودي عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن عمارة بن رويبة عن أبيه قال: «نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: **إنكم سترون الله ربكم تبارك وتعالى، كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين بعد غروبها، فافعلوا**». (2)

فصل

وأما حديث سلمان الفارسي فقال أبو معاوية: حدثنا عاصم الأحول عن أبي عثمان عن سلمان الفارسي قال: «يأتون النبي ﷺ ، فيقولون: يا نبي الله إن الله فتح بك وختم بك وغفر لك، قم فاشفع لنا إلى ربك، فيقول: **نعم أنا صاحبكم فيخرج يحوش الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة، فيأخذ بحلقة الباب فيقرع فيقال: من هذا ؟ فيقال: محمد. قال: فيفتح له فيجيء حتى يقوم بين يدي الله فيستأذن في السجود فيؤذن له**»(3) الحديث.

(1، 2) صحيح: وبغير هذا الإسناد عند أبي داود (4729)، وسنن الترمذي (2551)، وسنن ابن ماجه (177)، وصححه الألباني فيهما، ومداره على إسماعيل بن أبي خالد. وانظر صحيح الجامع (2306).

(3) إسناده صحيح: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (813)، وقال الألباني «إسناده صحيح على شرط الشيخين، ولكنه موقوف على سلمان وهو الفارسي إلا أنه في حكم المرفوع، لأنه أمر غيبي».

فصل

وأما حديث حذيفة بن اليمان[1] فقال ابن بطة: أخبرنى أبو القاسم عمر بن أحمد عن أبى بكر أحمد بن هارون، حدثنا يزيد بن جمهور، حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير العنبرى، حدثنى أبى عن إبراهيم بن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبى وائل عن حذيفة بن اليمان. وقال البزار: حدثنا محمد بن معمر وأحمد بن عمرو بن عبيدة العصفرى قالا: حدثنا يحيى بن كثير، حدثنا إبراهيم بن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبى وائل عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتانى جبريل فإذا فى كفه مرآة كأصفى ما يكون المرايا وأحسنها، وإذا فى وسطها نكتة سوداء، قال: قلت: يا جبريل ما هذه ؟ قال: هذه الدنيا صفاؤها وحسنها، قال، قلت: وما هذه اللمعة فى وسطها ؟ قال: هذه الجمعة قال: قلت: وما الجمعة ؟ قال: يوم من أيام ربك عظيم وسأخبرك عن شرفه وفضله واسمه فى الآخرة. أما شرفه وفضله فى الدنيا فإن الله تبارك وتعالى جمع فيه أمر الخلق، وأما ما يرجى فيه فإن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة يسألان الله فيها خيراً إلا أعطاهما إياه. وأما شرفه وفضله واسمه فى الآخرة فإن الله تبارك وتعالى إذا صير أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، وجرت عليهم أيامها وساعاتها ليس بها ليل ولا نهار إلا قد علم الله مقدار ذلك وساعاته، فإذا كان يوم الجمعة فى الحين الذى يبرز أو يخرج فيه أهل الجنة إلى جمعتهم نادى مناد: يا أهل الجنة اخرجوا إلى دار المزيد، لا يعلم سعته وعرضه وطوله إلا الله عز وجل، فى كثبان من المسك. قال: فتخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور، ويخرج غلمان المؤمنين بكراسى من ياقوت، قال: فإذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم بعث الله تبارك وتعالى عليهم ريحاً تدعى المثيرة، تثير عليهم آثايير المسك الأبيض تدخله من تحت ثيابهم وتخرجه من وجوههم وأشعارهم، فتلك الريح، أعلم كيف تصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم، لو دفع إليها كل طيب على وجه الأرض، لكانت تلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من تلك المرأة، لو دفع إليها ذلك الطيب بإذن الله تعالى، قال: ثم يوحى الله سبحانه إلى حملة العرش فيوضع بين ظهرانى الجنة وبينه وبينهم الحجب، فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول: أين عبادى الذين أطاعونى بالغيب ولم يرونى وصدقوا رسلى واتبعوا أمرى فسلونى فهذا يوم المزيد، قال: فيجتمعون على كلمة واحدة: رب رضينا عنك فارض عنا، قال: فيرجع الله تعالى فى قولهم أن يا**

---

(1) ضعيف جداً: انظر ضعيف «الترغيب والترهيب» (2245) للألبانى.

أهل الجنة إنى لو لم أرضَ عنكم لما أسكنتكم جنتى فسلونى فهذا يوم المزيد، قال: فيجتمعون على كلمة واحدة رضينا عنك فارض عنا، قال: فيرجع الله عز وجل فى قولهم: أن يا أهل الجنة، إنى لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتى فهذا يوم المزيد فسلونى، قال: فيجتمعون على كلمة واحدة: رب وجهك أرنا ننظر إليه. قال: فيكشف الله تبارك وتعالى تلك الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره شىء لولا أنه قضى عليهم أن لا يحترقوا لاحترقوا مما غشيهم من نوره، قال: ثم يقال: ارجعوا إلى منازلكم، قال: فيرجعون إلى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم وخفين عليهم مما غشيهم من نوره تبارك وتعالى، فإذا صاروا إلى منازلهم ترادّ النور وأمكن وترادّ وأمكن حتى يرجعوا إلى صورهم التى كانوا عليها. قال: فيقول لهم أزواجهم: لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها؟ قال فيقولون: ذلك بأن الله تبارك وتعالى تجلى لنا فنظرنا منه إلى ما خفينا به عليكم، قال: فهم في كل سبعة أيام يتقلبون في مسك الجنة ونعيمها. قال: وذلك قوله عز وجل: ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة:17).

وقال عبد الرحمن بن مهدى: حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن مسلم بن نذير السعدى عن حذيفة فى قوله عز وجل: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس:26). قال: النظر إلى وجه الله عز وجل، قال الحاكم: وتفسير الصحابى عندنا فى حكم المرفوع.

فصل

وأما حديث ابن عباس، فروى ابن خزيمة من حديث حماد بن سلمة عن ابن جدعان عن أبى نضرة قال: خطبنا ابن عباس فقال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من نبى إلا له دعوة تعجلها فى الدنيا، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة، فآتى باب الجنة فآخذ بحلقة الباب، فأقرع الباب فيقال: من أنت ؟ فأقول: أنا محمد فآتى ربى وهو على كرسيه -أو قال: على سريره- فيتجلى لى ربى فأخر ساجداً**»[1] ورواه ابن عيينة عن ابن جدعان فقال: عن أبى سعيد بدل ابن عباس. وقال أبو بكر ابن أبى داود: حدثنا عمى محمد بن الأشعث: حدثنا ابن جبير قال: حدثنى أبى جبير عن الحسن عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «**إن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى فى كل جمعة فى رمال الكافور، وأقربهم منه مجلساً أسرعهم إليه يوم الجمعة وأبكرهم غدواً**».

---

(1) **ضعيف**: إسناد ضعيف، رجاله ثقات، غير على بن زيد -وهو ابن جدعان- فإنه ضعيف، كما قال الحافظ فى «التقريب» قال الألبانى فى الضعيفة (1579).

فصل

وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال الصغاني: حدثنا صدقة أبو عمرو المقعد قال: قرأت على محمد بن إسحاق، حدثنى أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن أبيه عبد الله بن عمرو قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث مروان بن الحكم وهو أمير المدينة قال: «خلق الله الملائكة لعبادته أصنافاً فإن منهم الملائكة قياماً صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة ركوعاً خشوعاً من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة. فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم تعالى ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك».

فصل

وأما حديث أبى بن كعب فقال الدارقطنى: حدثنا عبد الصمد بن على، حدثنا محمد بن زكريا بن دينار قال: حدثنى قحطبة بن عبدانة، حدثنا أبو خلدة عن أبى العالية عن أبى بن كعب عن النبى ﷺ فى قوله تبارك وتعالى: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾(يونس:26) قال: النظر إلى وجه الله عز وجل.

فصل

وأما حديث كعب بن عجرة، فقال محمد بن حميد: حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن كعب بن عجرة عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾قال: «**الزيادة النظر إلى وجه ربهم تبارك وتعالى**».

فصل

وأما حديث فضالة بن عبيد: فقال عثمان بن سعيد الدارمى: حدثنا محمد بن المهاجر عن ابن حلبس عن أبى الدرداء أن فضالة ـ يعنى ابن عبيد ـ كان يقول: «اللهم إنى أسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، فى غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة». (1)

---

(1) انظر صحيح الجامع (2497).

فصل

وأما حديث عبادة بن الصامت، ففي مسند أحمد من حديث بقية: حدثنا بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن عمرو بن الأسود عن جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: «**قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا إن مسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا جحراء. فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**». (1)

فصل

وأما حديث الرجل من أصحاب النبي ﷺ، فقال الصغاني: حدثنا روح بن عبادة، حدثنا عباد بن منصور قال: سمعت عدي بن أرطأة يخطب على المنبر بالمدائن، فجعل يعظ حتى بكى وأبكانا ثم قال: كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه: «يا بني أوصيك أن لا تصلي صلاة إلا ظننت أنك لا تصلي بعدها وغيرها حتى تموت، وتعال بني نعمل عمل رجلين كانا قد وقفا على النار ثم سألا الكرة ولقد سمعت فلاناً - نسي عباد اسمه - ما بيني وبين رسول الله ﷺ غيره فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته، ما منهم ملك تقطر دمعته من عينه إلا وقعت ملكاً يسبح الله تعالى، قال: وملائكة يسجدون منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وصفوف لم ينصرفوا عن مصافهم، ولا ينصرفون إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم ربهم فنظروا إليه قالوا: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك**».

فصل

وهاك بعض ما قاله بعض أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وأئمة الإسلام.

قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: قال أبو إسحاق عن عامر بن سعد: قرأ أبو بكر الصديق: ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** ﴾ (يونس: 26).

فقالوا: ما الزيادة يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: النظر إلى وجه الرب تبارك وتعالى.

قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا ميسرة الهمداني، حدثنا صالح بن أبي خالد العنبري عن أبي الأحوص عن أبي علي ابن إسحاق

(1) صحيح: أخرجه أحمد (22663)، وأبو داود (4320).

الهمدانى عن عمارة بن عبيد قال سمعت علياً يقول: «من تمام النعمة دخول الجنة، والنظر إلى وجه اللّه تبارك وتعالى فى جنته». (1)

قول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن مسلم بن يزيد عن حذيفة. قال: الزيادة النظر إلى وجه اللّه تبارك وتعالى.

قول عبد اللّه بن مسعود وعبد اللّه بن عباس رضي الله عنهما: ذكر أبو عوانة بن هلال عن عبد اللّه ابن عكيم قال سمعت عبد اللّه بن مسعود يقول فى هذا المسجد ـ مسجد الكوفة ـ يبدأ باليمين قبل أن يحدثنا فقال: «واللّه ما منكم من إنسان إلا أن ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، قال فيقول: ما غرك بى يا ابن آدم ثلاث مرات، ماذا أجبت المرسلين ثلاثاً، كيف عملت فيما علمت».

وقال ابن أبى داود: أخبرنا أحمد بن الأزهر، حدثنا إبراهيم بن الحكم حدثنا أبى عن عكرمة قال: قيل لابن عباس: كل من دخل الجنة يرى اللّه عز وجل ؟ قال: نعم.

وقال أسباط بن نصر عن إسماعيل السدى عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود: «الزيادة» النظر إلى وجه اللّه عز وجل.

قول معاذ بن جبل: قال عبد الرحمن بن أبى حاتم: أخبرنى إسحاق بن أحمد الخراز، حدثنا إسحاق بن سليمان الرازى عن المغيرة بن مسلم عن ميمون بن أبى حمزة قال: «كنت جالساً عند أبى وائل فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيف فقال له شقيق بن سلمة: يا أبا عفيف ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل ؟ قال: بلى، سمعته يقول: يحشر الناس يوم القيامة فى صعيد واحد فينادى أين المتقون ؟ فيقومون فى كنف من الرحمن لا يحتجب اللّه عنهم، ولا يستتر، قلت: من المتقون؟ قال: قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله بالعبادة فيمرون إلى الجنة».

قول أبى هريرة رضي الله عنه: قال حدثنا ابن وهب أخبرنى ابن لهيعة عن أبى النضر أن أبا هريرة كان يقول: «لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت».

قول عبد اللّه بن عمر: قال حسين الجعفى عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى ملكه ألفى عام، يرى أدناه كما يرى أقصاه، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى وجه اللّه فى كل يوم مرتين».

---

(1) انظر الضعيفة (4520)، للألبانى، وكتاب «الرؤية» للدارقطنى.

قول فضالة بن عبيد: ذكر الدارمى عن محمد بن مهاجر عن ابن حلبس عن أبى الدرداء أن فضالة بن عبيد كان يقول: «اللهم إنى أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك» وقد تقدم.

قول أبى موسى الأشعرى: قال وكيع عن أبى بكر الهذلى عن أبى تميمة عن أبى موسى قال: الزيادة النظر إلى وجه الله. وروى يزيد بن هارون وابن أبى عدى عن التيمى عن أسلم العجلى عن أبى مراية عن أبى موسى الأشعرى أنه كان يحدث الناس فشخصوا بأبصارهم، فقال: ما صرف أبصاركم عنى؟ قالوا: الهلال، قال: فكيف بكم إذا رأيتم الله جهرة ؟

قول أنس بن مالك: قال ابن أبى شيبة: حدثنا يحيى بن يمان، حدثنا شريك عن أبى اليقظان عن أنس بن مالك فى قوله عز وجل: ﴿**وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾(ق: 35) قال: يظهر لهم الرب تبارك وتعالى يوم القيامة.

قول جابر بن عبد الله، قال مروان بن معاوية عن الحكم بن أبى خالد عن الحسن عن جابر قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأديم عليهم بالكرامة، جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لا تبول ولا تروث لها أجنحة فيقعدون عليها، ثم يأتون الجبار عز وجل فإذا تجلى لهم خروا سجداً فيقول: يا أهل الجنة ارفعوا رءوسكم فقد رضيت عنكم لا سخط بعده».

قال الطبرى: فيحصل فى الباب ممن روى عن رسول الله ﷺ من الصحابة حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفساً منهم: على، وأبو هريرة، وأبو سعيد، وجرير، وأبو موسى، وصهيب، وجابر، وابن عباس، وأنس، وعمار بن ياسر، وأبى بن كعب، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وحذيفة بن اليمان، وعبادة بن الصامت، وعدى بن حاتم وأبو رزين العقيلى، وكعب بن عجرة، وفضالة بن عبيد، وبريدة بن الحصيب، وزجل من أصحاب النبى ﷺ.

وقال الدارقطنى: أخبرنا محمد بن عبد الله، حدثنا جعفر بن محمد بن الأزهر، حدثنا مفضل ابن غسان قال: سمعت يحيى بن معين يقول: عندى سبعة عشر حديثاً فى الرؤية كلها صحاح.

وقال البيهقى: روينا فى إثبات الرؤية عن أبى بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبى موسى وغيرهم، ولم يرووا عن أحد منهم نفيها، ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم إلينا، كما أنهم لما اختلفوا في الحلال والحرام والشرائع والأحكام

نقل اختلافهم فى ذلك إلينا، وكما أنهم لما اختلفوا فى رؤية اللّه بالأبصار فى الدنيا نقل اختلافهم فى ذلك إلينا، فلما نقلت رؤية اللّه سبحانه وتعالى بالأبصار فى الآخرة عنهم، ولم يُنقل عنهم فى ذلك اختلاف، كما نقل عنهم فيها اختلاف فى الدنيا، علمنا أنهم كانوا على القول برؤية اللّه بالأبصار فى الآخرة متفقين ومجتمعين.

فصل

وأما التابعون ويزك الإسلام وعصابة الإيمان، من أئمة الحديث والفقه والتفسير وأئمة التصوف، فأقوالهم أكثر من أن يحيط بها إلا اللّه عز وجل. قال سعيد بن المسيب: الزيادة، النظر إلى وجه اللّه، ورواه مالك عن يحيى عنه. وقال الحسن: الزيادة، النظر إلى وجه اللّه، رواه ابن أبى حاتم عنه. وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى: الزيادة النظر إلى وجه اللّه تعالى، وقال عبد الرحمن بن سابط: رواه جرير عن ليث عنه. وقاله عكرمة ومجاهد، وقتادة والسدى والضحاك وكعب.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: أما بعد، فإنى أوصيك بتقوى اللّه ولزوم طاعته والتمسك بأمره، والمعاهدة على ما حمّلك اللّه من دينه، واستحفظك من كتابه، فإن بتقوى اللّه نجا أولياء اللّه من سخطه، وبها رافقوا أنبياءه، وبها نضرت وجوههم، ونظروا إلى خالقهم، وهى عصمة فى الدنيا من الفتن ومن كبت يوم القيامة.

وقال الحسن: لو علم العابدون فى الدنيا أنهم لا يرون ربهم فى الآخرة لذابت أنفسهم فى الدنيا.

وقال الأعمش وسعيد بن جبير: إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى اللّه تبارك وتعالى غدوة وعشية، وقال كعب: ما نظر اللّه سبحانه إلى الجنة قط إلا قال: طيبى لأهلك. فزادت ضعفاً على ما كانت حتى يأتيها أهلها وما من قوم كان لهم عيد فى الدنيا إلا يخرجون فى مقداره فى رياض الجنة فيبرز لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه وتسفى عليهم الريح المسك، ولا يسألون الرب تبارك وتعالى شيئاً إلا أعطاهم حتى يرجعوا، وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفاً، ثم يرجعون إلى أزواجهم وقد ازددن مثل ذلك. وقال هشام بن حسان: إن اللّه سبحانه وتعالى يتجلى لأهل الجنة فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة. وقال طاووس: أصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا أهل السنة.

وقال شريك عن أبى إسحاق السبيعى: الزيادة، النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى. وقال

حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن عن ابن أبى ليلى أنه تلى هذه الآية: ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** ﴾ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة أعطوا فيها وما شاءوا فيقول الله عز وجل لهم: إنه قد بقى من حقكم شئ لم تعطوه فيتجلى لهم ربهم فيصغر ما أعطوا عند ذلك فالحسنى: الجنة والزيادة: النظر إلى وجه ربهم عز وجل: ﴿ **وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ** ﴾ (يونس: 26) بعد نظرهم إلى ربهم تبارك وتعالى، وقال عليّ بن المدينى سألت عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا** ﴾ (الكهف:110) قال عبد الله: من أراد النظر إلى وجه خالقه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك به أحداً. وقال نعيم بن حماد: سمعت ابن المبارك يقول: ما حجب الله عز وجل أحداً عنه إلا عذبه ثم قرأ: ﴿ **كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ⦗15⦘ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ⦗16⦘ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ** ﴾ (المطففين: 15 ـ 17) قال: بالرؤية. ذكره ابن أبى الدنيا عن يعقوب بن إسحاق عن نعيم.

وقال عباد بن العوام: قدم علينا شريك بن عبد الله منذ خمسين سنة فقلت له: يا أبا عبد الله إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا» و «إن أهل الجنة يرون ربهم» فحدثنى بنحو عشرة أحاديث فى هذا، وقال: أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ فهم عمن أخذوا. وقال قبيصة بن عقبة: أتينا أبا نعيم يوماً فنزل إلينا من الدرجة التى فى داره فجلس فى وسطها كأنه مغضب، فقال: حدثنا سفيان بن سعيد ومنذر الثورى وزهير بن معاوية، وحدثنا حسن بن صالح بن حى، وحدثنا شريك بن عبد الله النخعى ـ هؤلاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله ﷺ: أن الله تبارك وتعالى يرى فى الآخرة حتى جاء ابن يهودى صباغ يزعم أن الله تعالى لا يرى ـ يعنى بشر المريسى.

فصل

فى المنقول عن الأئمة الأربعة ونظرائهم وشيوخهم وأتباعهم على طريقتهم ومنهاجهم:

ذكر قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس: قال أحمد بن صالح المصرى: حدثنا عبد الله بن وهب قال: قال مالك بن أنس: «الناس ينظرون إلى الله عز وجل يوم القيامة بأعينهم». (1)

وقال الحارث بن مسكين: حدثنا أشهب قال: سئل مالك عن قوله عز وجل: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ**

(1) انظر «مشكاة المصابيح» للألبانى (5663).

نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة: 23) أتنظر إلى الله عز وجل ؟ قال: نعم، فقلت إن أقواماً يقولون تنظر ما عنده، قال بل ننظر إليه نظراً، وقد قال موسى: ﴿ **رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي** ﴾ (الأعراف: 143) وقال الله عز وجل: ﴿ **كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾ (المطففين: 15).

وذكر الطبرى وغيره أنه قيل لمالك: إنهم يزعمون أن الله لا يُرى، فقال مالك: السيف السيف.

وذكر قول ابن الماجشون: قال أبو حاتم الرازى: قال أبو صالح كاتب الليث: أملى عليَّ عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون وسألته عما جحدت الجهمية فقال: لم يزل يملى لهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ فقالوا: لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا، والله أفضل كرامة الله التى أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونضرته إياهم ﴿ **فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ** ﴾. فورب السماء والأرض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثواباً لينضر بها وجوههم دون المجرمين، وتفلج بها حجتهم على الجاحدين ﴿ **إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾، لا يرونه كما زعموا أنه لا يرى ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم.

ذكر قول الأوزاعى، ذكر ابن أبى حاتم عنه قال: إنى لأرجو أن يحجب الله عز وجل جهماً وأصحابه عن أفضل ثوابه الذى وعده أولياءه حين يقول: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذى وعد أولياءه.

ذكر قول الليث بن سعد: قال ابن أبى حاتم: حدثنا إسماعيل بن أبى الحارث، حدثنا الهيثم ابن خارجة قال: سمعت الوليد بن مسلم يقول: سألت الأوزاعى وسفيان الثورى ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التى فيها الرؤية. فقالوا: تُمُرُّ بلا كيف.

قول سفيان بن عيينة: ذكر الطبرى وغيره عنه أنه قال: من لم يقل إن القرآن كلام الله وإن الله يرى فى الجنة فهو جهمى، وذكر عنه ابن أبى حاتم أنه قال: لا يصلى خلف الجهمى، والجهمى الذى يقول: لا يرى ربه يوم القيامة.

قول جرير بن عبد الحميد: ذكر ابن أبى حاتم عنه أنه ذُكر له حديث ابن سابط فى الزيادة: أنها النظر إلى وجه الله، فأنكره رجل فصاح به فأخرجه من مجلسه.

قول عبد الله بن المبارك: ذكر عبد الرحمن بن أبى حاتم عنه أن رجلاً من الجهمية قال له: يا أبا عبد الرحمن: «خدار نار جهمان ببنيد» ومعناه كيف يرى الله يوم القيامة ؟ فقال: بالعين.

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنى يعقوب بن إسحاق قال: سمعت نعيم بن حماد يقول: سمعت ابن المبارك يقول: ما حجب الله عز وجل أحداً إلا عذبه ثم قرأ: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ (المطففين: 15 _ 17) قال ابن المبارك: بالرؤية.

قول وكيع بن الجراح: ذكر ابن أبى حاتم عنه أنه قال: يراه تبارك وتعالى المؤمنون فى الجنة ولا يراه إلا المؤمنون.

قول قتيبة بن سعيد: ذكر ابن أبى حاتم عنه قال: قول الأئمة المأخوذ به فى الإسلام والسنة: الإيمان بالرؤية والتصديق بالأحاديث التى جاءت عن رسول الله ﷺ فى الرؤية.

قول أبى عبيد القاسم بن سلام: ذكر ابن بطة وغيره عنه أنه ذكرت عنده هذه الأحاديث التى فى الرؤية فقال: هى عندنا حق رواها الثقات عن الثقات إلى أن صارت إلينا، إلا أنا إذا قيل لنا فسروها لنا قلنا: لا نفسر منها شيئاً ولكن نمضيها كما جاءت.

قول أسود بن سالم شيخ الإمام أحمد: قال المروزى: حدثنا عبد الوهاب الوراق قال: سألت أسود بن سالم عن أحاديث الرؤية فقال: أحلف عليها بالطلاق وبالمشى أنها حق.

قول محمد بن إدريس الشافعى: قد تقدم رواية الربيع عنه أنه قال فى قوله تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ لما حجب هؤلاء فى السخط، كان فى هذا دليل على أن أوليائه يرونه فى الرضا، قال الربيع فقلت: يا أبا عبد الله وتقول به ؟ قال: نعم، وبه أدين الله، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله عز وجل لما عبده.

وقال ابن بطة: حدثنا ابن الأنبارى حدثنا أبو القاسم الأنماطى صاحب المزنى قال: قال الشافعى رحمه الله: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ دلالة على أن أولياءه يرونه يوم القيامة بأبصارهم ووجوههم.

قول إمام السنة أحمد بن حنبل: قال إسحاق بن منصور قلت لأحمد: أليس ربنا تبارك وتعالى يراه أهل الجنة؟ أليس قول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد: صحيح. قال ابن منصور وقال إسحاق بن راهوية: صحيح ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأى.

وقال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله وقيل له: تقول بالرؤية؟ فقال: من لم يقل بالرؤية

فهو جهمي، قال وسمعت أبا عبد الله وبلغه عن رجل أنه قال: إن الله لا يرى في الآخرة، فغضب غضباً شديداً، ثم قال: من قال إن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه، كائناً من كان من الناس، أليس يقول الله عز وجل: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة: 22 ـ 23) وقال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ وقال أبو داود: وسمعت أحمد وذكر له عن رجل شيء في الرؤية فغضب وقال: من قال إن الله لا يرى فهو كافر.

قال أبو داود: وسمعت أحمد وقيل له في رجل يحدث بحديث عن رجل عن أبي العطوف إن الله لا يرى في الآخرة، فقال: لعن الله من يحدث بهذا الحديث اليوم، ثم قال: أخزى الله هذا. وقال أبو بكر المروزي: قيل لأبي عبد الله: تعرف عن يزيد بن هارون عن أبي العطوف عن أبي الزبير عن جابر: إن استقر الجبل فسوف تراني، وإن لم يستقر فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة، فغضب أبو عبد الله غضباً شديداً حتى تبين في وجهه وكان قاعداً والناس حوله فأخذ نعله وانتقل، وقال: أخزى الله هذا. لا ينبغي أن يكتب ودفع أن يكون يزيد بن هارون رواه أو حدث به، وقال: هذا جهمي كافر خالف، ما قال الله عز وجل: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ وقال: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ أخزى الله هذا الخبيث، قال أبو عبد الله: ومن زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر.

وقال أبو طالب: قال أبو عبد الله: قول الله عز وجل: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ (البقرة:210)، ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (الفجر: 22) فمن قال: إن الله لا يرى فقد كفر. وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ: سمعت أبا عبد الله يقول: من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمي، والجهمي كافر.

وقال يوسف بن موسى القطان: قيل لأبي عبد الله: أهل الجنة ينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى ويكلمونه ويكلمهم؟ قال: نعم، ينظر إليهم وينظرون إليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاءوا إذا شاءوا.

وقال حنبل بن إسحق: سمعت أبا عبد الله يقول: القوم يرجعون إلى التعطيل في أقوالهم ينكرون الرؤية والآثار كلها وما ظننتهم على هذا حتى سمعت مقالاتهم. قال حنبل: وسمعت أبا عبد الله يقول: من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد رد على الله وعلى الرسول، ومن زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً فقد كفر ورد على الله قوله، قال أبو عبد الله: فنحن نؤمن بهذه الأحاديث ونقر بها ونُمِرُّها كما جاءت.

وقال الأثرم: سمعت أبا عبد الله يقول: فأما من قال: إنه لا يرى فى الآخرة فهو جهمى، قال أبو عبد الله: وإنما تكلم من تكلم فى رؤية الدنيا. وقال إبراهيم بن زياد الصائغ سمعت أحمد بن حنبل يقول: «الرؤية من كذب بها فهو زنديق» وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: «أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئاً ـ أحاديث الرؤية ـ وكانوا يحدثون بها على الجملة يُمرونها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين». وقال أبو عبد الله: قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً** ﴾ (الشورى: 51) فكلم الله موسى من وراء حجاب فقال: ﴿ **رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي** ﴾ (الأعراف: 143) فأخبر الله عز وجل أن موسى يراه فى الآخرة، وقال: ﴿ **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾ ولا يكون حجاب إلا لرؤية أخبر الله سبحانه وتعالى أن من شاء الله ومن أراد يراه والكفار لا يرونه، قال حنبل: وسمعت أبا عبد الله يقول: قال الله تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾.

والأحاديث التى تروى فى النظر إلى الله تعالى حديث جرير بن عبد الله وغيره «وتنظرون إلى ربكم» أحاديث صحاح وقال: ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** ﴾ النظر إلى الله تعالى. قال أبو عبد الله: نؤمن بها ونعلم أنها حق أحاديث الرؤية ونؤمن بأن الله يرى، نرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيه ولا نرتاب. قال وسمعت أبا عبد الله يقول: من زعم أن الله لا يرى فى الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن، ورد على الله أمره، يستتاب فإن تاب وإلا قتل، قال حنبل: قلت لأبى عبد الله فى أحاديث الرؤية فقال: هذه صحاح نؤمن بها ونقر بها وكل ما روى عن النبى ﷺ إسناده جيد أقررنا به قال أبو عبد الله: إذا لم نقر بما جاء عن النبى ﷺ ودفعناه رددنا على الله أمره قال الله عز وجل: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ (الحشر: 7).

قول إسحاق بن راهوية: ذكر الحاكم وشيخ الإسلام وغيرهما عنه أن عبد الله بن طاهر أمير خراسان سأله فقال: يا أبا يعقوب هذه الأحاديث التى يروونها فى النزول والرؤية ما هن ؟ فقال: رواها من روى الطهارة والغسل والصلاة والأحكام وذكر أشياء، فإن يكونوا فى هؤلاء عدولاً، وإلا فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع فقال: شفاك الله كما شفيتنى أو كما قال.

قـول جميع أهل الإيمـان: قال إمـام الأئمة مـحمد بن إسـحاق بن خـزيمـة فى كـتـابه: إن المؤمنين لـم يختلفوا أن جـميع المؤمنين يرون خـالقهم يوم المعـاد، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين.

قـول المزنى: ذكـر الطبرى فى السنة عن إبراهيـم عن أبى داود المصرى قـال: كنا عند نعيـم بن حماد جلوساً فقال نعيم للمـزنى: ما تقـول فى القرآن ؟ فقـال: أقول إنه كلام اللّه. فقـال: غيـر مخلوق؟ فقال: غير مخلوق. قال: وتقول إن اللّه يرى يوم القيامة ؟ قال: نعم. فلما افترق الناس قام إليه المزنى فقال: يا أبا عبد اللّه شهرتنى على رءوس الناس، فقال: إن الناس قد أكثروا فيك فأردت أن أبرئك.

قـول جميع أهل اللغـة: قـال: أبو عبـد اللّه ابن بطة سـمعت أبا عمـر محـمد بن عبد الواحـد صـاحب اللغة يـقول: سـمعت أبـا العبـاس أحمد بن يحيى ثعلباً يقول فى قوله تعـالى: ﴿ **وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ** ﴾ (الأحزاب: 43 ـ 44) أجـمع أهل اللغـة على أن اللقاء ههنا لا يكون إلا معاينة ونظراً بالأبصار، وحسبك بهذا الإسناد صحة، واللقاء ثابت بنص القرآن كما تقدم، وبالتواتر على النبى ﷺ وكل أحاديث اللقاء صحيحة كحديث أنس فى قصة بئر معـونة: «**إنا قـد لقينا ربنـا فرضى عنا وأرضـانا**»[1] وحـديث عبـادة وعائشـة وأبى هريرة وابن مسـعـود: «**من أحب لقـاء اللّه أحب الله لقـاءه**»[2] وحـديث أنس: «**إنكم سـتلـقـون بعـدى أثرة فـاصبروا حتى تلقـوا اللّه ورسـوله**»[3] وحـديث أبى ذر: «**لو لقـيتنى بقـراب الأرض خطايا، ثـم لقيتنى لا تشـرك بى شيئاً لقـيتك بقرابها مغفرة**»[4] وحديث أبى موسى: «**من لقى اللّه لا يشـرك به شيئاً دخل الجنة**»[5] وغير ذلك من أحاديث اللقاء التى اطردت كلها بلفظ واحد.

---

(1) **صحيح**: انظر صحيح الترغيب والترهيب للألبانى (1385).

(2) **صحيح**: أخرجه النسائى (1834)، وصححه الألبانى.

(3) **صحيح**: انظر صحيح الجامع للألبانى (2309).

(4) **صحيح**: أخرجه أحمد (20808)، والحاكم (4/ 241)، عن أبى ذر، والترمذى (3540) فى الدعوات عن أنس، وصححه الألبانى وانظر الصحيحة (127،128).

(5) **صحيح**: فى الباب حديث أنس بهذا اللفظ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (6531)، ولم أصل إلى حديث أبى موسى.

فصل

فى وعيد منكرى الرؤية

قد تقدم قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ وقول عبد اللّه بن المبارك: ما حجب اللّه عنه أحداً إلا عذبه ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾(المطففين: 16، 17) قال: بالرؤية. وروى مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة قال: «قالوا يا رسول اللّه هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال: **هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست في سحابة** ؟ قالوا: لا، قال: هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة؟ قالوا: لا، قال: فوالذى نفسى بيده لا تضارون فى رؤية ربكم إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما فيلقى العبد فيقول: أى فُل؟ ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول: بلى أى ربى. فيقول: أفظننت أنك ملاقىّ ! فيقول: لا، فيقول: فإنى أنساك كما نسيتنى، ثم يلقى الثانى فيقول أى فُل؟ ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ! فيقول: بلي، أى رب، فيقول أفظننت أنك ملاقىّ؟ فيقول: لا. فيقول: فإنى أنساك كما نسيتنى، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب، آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع. فيقول: ههنا إذاً، ثم يقال: الآن نبعث شاهدنا عليك فيتفكر فى نفسه من الذى يشهد علىَّ فيختم على فيه، ويقال لفخذه: وحمله وعظامه: انطقى، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق، وذلك الذى يسخط اللّه عليه».(1)

فاجمع بين قوله: «إنكم سترون ربكم»، وقوله لمن ظن أنه غير ملاقيه: «فإنى أنساك كما نسيتنى»، وإجماع أهل اللغة على أن اللقاء المعاينة بالأبصار ويحصل لك العلم بأن منكر الرؤية أحق بهذا الوعيد.

ومن تراجم أهل السنة على هذا الحديث: باب فى الوعيد لمنكر الرؤية، كما فعل شيخ الإسلام وغيره، وباللّه التوفيق.

(1) صحيح: أخرجه مسلم (2968)، الزهد والرقائق.

فصل

إنكار الرؤية كفر محض

قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام، وأهل الحديث عصابة الإسلام، ويزك الإيمان وخاصة رسول الله ﷺ على أن الله سبحانه وتعالى يُرى فى القيامة بالأبصار عياناً كما يُرى القمر ليلة البدر صحواً، وكما تُرى الشمس فى الظهيرة، فإن كان لما أخبر الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة وأن له والله حق الحقيقة، فلا يمكن أن يروه إلا من فوقهم لاستحالة أن يروه من أسفل منهم أو خلفهم أو أمامهم أو عن يمينهم أو عن شمالهم، وإن لم يكن لما أخبر به حقيقة كما يقوله أفراخ الصابئة والفلاسفة والمجوس والفرعونية بطل الشرع والقرآن. فإن الذى جاء بهذه الأحاديث هو الذى جاء بالقرآن والشريعة والذى بلغها هو الذى بلغ الدين.

فلا يجوز أن يجعل كلام الله ورسوله عضين، بحيث يؤمن ببعض معانيه ويكفر ببعضها، فلا يجتمع فى قلب العبد بعد الاطلاع على هذه الأحاديث وفهم معناها وإنكارها والشهادة بأن محمداً رسول الله أبداً. والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق.

والمنحرفون فى باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان:

أحدهما: من يزعم أنه يرى فى الدنيا ويحاضر ويسامر.

والثانى: من يزعم أنه لا يرى فى الآخرة ألبتة، ولا يكلم عباده وما أخبر الله به ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين. وبالله التوفيق.

الباب السادس والستون

فى تكليمه سبحانه وتعالى لأهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرته إياهم وسلامه عليهم

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَٰئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ** ﴾ (آل عمران: 77) وقال فى حق الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى: ﴿ **وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ (البقرة:174) فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا فى ذلك وأعداؤه سواء ولم يكن فى تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً، إذ تكليمه لعباده عند الفرعونية والمعطلة مثل أن يقال: يؤاكلهم ويشاربهم، ونحو ذلك. تعالى الله عما يقولون.

وقد أخبر الله سبحانه أنه يسلم على أهل الجنة. وأن ذلك السلام حقيقة، وهو قولٌ من رب رحيم، وتقدم تفسير النبى ﷺ لهذه الآية فى حديث جابر فى الرؤية، وأنه يشرف عليهم من فوقهم، ويقول: «**سلام عليكم يا أهل الجنة**» فيرونه عياناً، وفى هذا إثبات الرؤية والتكليم والعلو، والمعطلة تنكر هذه الأمور الثلاثة وتكفر القائل بها.

وتقدم حديث أبى هريرة فى سوق الجنة وقول النبى ﷺ : «**ولا يبقى أحد فى ذلك المجلس إلا حاضره الله محاضرة، فيقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا**» الحديث.

وتقدم حديث عدى بن حاتم «**ما منكم إلا من سيكلمه ربه يوم القيامة**» وحديث أبى هريرة فى الرؤية وفيه: «**فيقول تبارك وتعالى للعبد: ألم أكرمك وأسودك**» الحديث، وحديث بريدة : «**ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان**»(1) الحديث.

وحديث أنس فى يوم المزيد ومخاطبته فيه لأهل الجنة مراراً.

وبالجملة: فتأمل أحاديث الرؤية تجد فى أكثرها ذكر التكليم. قال البخارى فى صحيحه باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة، وساق فيه عدة أحاديث، فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها، وأفضله الذى ما طابت لأهلها إلا به، والله المستعان.

---

(1) صحيح : أخرجه البخارى (4730) تفسير القرآن، ومسلم (2849) الجنة وصفة نعيمها.

الباب السابع والستون

فى أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد

هذا مما يعلم بالاضطرار أن الرسول ﷺ أخبر به قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾(هود: 108) أى غير مقطوع. ولا تنافى بين هذا وبين قوله: ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾. واختلف السلف فى هذا الاستثناء فقال معمر عن الضحاك: هو فى الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة يقول سبحانه: إنهم خالدون فى الجنة ما دامت السموات والأرض إلا مدة مكثهم فى النار.

قلت: وهذا يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون الإخبار عن الذين سعدوا وقع عن قوم مخصوصين وهم هؤلاء.

والثانى: وهو الأظهر أن يكون وقع عن جملة السعداء، والتخصيص بالمذكورين هو فى الاستثناء وما دل عليه. وأحسن من هذين التقديرين أن ترد المشيئة إلى الجميع حيث لم يكونوا فى الجنة فى الموقف. وعلى هذا فلا يبقى فى الآية تخصيص. وقالت فرقة أخرى: هو استثناء استثناه الرب تعالى ولا يفعله، كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وأنت لا تراه. بل تجزم بضربه.

وقالت فرقة أخرى: العرب إذا استثنت شيئاً كثيراً مع مثله ومع ما هو أكثر منه، كان معنى «إلا» فى ذلك ومعنى «الواو» سواء، والمعنى على هذا: سوى ما شاء الله من الزيادة على مدة دوام السموات والأرض. هذا قول الفراء وسيبويه: يجعل (إلا) بمعنى (لكن). قالوا: ونظير ذلك أن تقول: لى عليك ألف إلا الألفين اللذين قبلها، أى: سوى الألفين. قال ابن جرير: وهذا أحب الوجهين إلىَّ، لأن الله تعالى لا خلف لوعده وقد وصل الاستثناء بقوله: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.

قالوا: ونظيره أن يقول: أسكنتك دارى حولاً إلا ما شئت. أى: سوى ما شئت أى: لكن ما شئت من الزيادة عليه.

وقالت فرقة أخرى: هذا الاستثناء إنما هو مدة احتباسهم عن الجنة ما بين الموت والبعث وهو البرزخ إلى أن يصيروا إلى الجنة، ثم هو خلود الأبد فلم يغيبوا عن الجنة إلا بقدر إقامتهم فى البرزخ.

وقالت فرقة أخرى: العزيمة قد وقعت لهم من اللّه بالخلود الدائم إلا أن يشاء اللّه خلاف ذلك إعلاماً لهم بأنهم مع خلودهم فى مشيئته، وهذا كما قال لنبيه: ﴿ **وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** ﴾ (الإسراء: 86) وقوله: ﴿ **فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ** ﴾ (الشورى: 24) وقوله: ﴿ **قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ** ﴾ (يونس: 16) ونظائره يخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وقالت فرقة أخرى: المراد بهذه دوام السموات والأرض فى هذا العالم، فأخبر سبحانه أنهم خالدون فى الجنة مدة دوام السموات والأرض إلا ما شاء اللّه أن يزيدهم عليه. ولعل هذا قول من قال إن (إلا) بمعنى (سوى) ولكن اختلفت عبارته وهذا اختيار ابن قتيبة قال: المعنى خالدين فيها مدة العالم سوى ما شاء أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم. وقالت فرقة أخرى: «ما» بمعنى «من» كقوله: ﴿ **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ** ﴾ (النساء: 3) والمعنى: إلا من شاء ربك أن يدخله النار بذنوبه من السعداء، والفرق بين هذا القول وبين أول الأقوال: أن الاستثناء على ذلك القول من المدة، وعلى هذا القول من الأعيان.

وقالت فرقة أخرى: المراد بالسموات والأرض سماء الجنة وأرضها، وهما باقيتان أبداً، وقوله: ﴿ **إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ** ﴾ إن كانت «ما» بمعنى «من» فهم الذين يدخلون النار ثم يخرجون منها، وإن كانت بمعنى الوقت فهو مدة احتباسهم فى البرزخ والموقف، قال الجعفى: سألت عبد اللّه بن وهب عن هذا الاستثناء، فقال: سمعت فيه أنه قدر وقوفهم فى الموقف يوم القيامة إلى أن يقضى بين الناس.

وقالت فرقة أخرى: الاستثناء راجع إلى مدة لبثهم فى الدنيا، وهذه الأقوال متقاربة، ويمكن الجمع بينها بأن يقال: أخبر سبحانه عن خلودهم فى الجنة كل وقت إلا وقتاً يشاء أن لا يكونوا فيها، وذلك يتناول وقت كونهم فى الدنيا وفى البرزخ وفى موقف القيامة وعلى الصراط، وكون بعضهم فى النار مدة. وعلى كل تقدير فهذه الآية من المتشابه وقوله فيها: ﴿ **عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ** ﴾ محكم، وكذلك قوله: ﴿ **إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ** ﴾ وقوله: ﴿ **أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا** ﴾ وقوله: ﴿ **وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ** ﴾

وقد أكد اللّه سبحانه خلود أهل الجنة بالتأبيد فى عدة مواضع من القرآن، وأخبر أنهم ﴿ **لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى** ﴾ . وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضممته إلى الاستثناء فى

قوله: ﴿**إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾ تبين لك المراد من الآيتين واستثناء الوقت الذى لم يكونوا فيه فى الجنة من مدة الخلود كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت. فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية، وذاك مفارقة للجنة تقدم على خلودهم فيها. وبالله التوفيق.

وقد تقدم قول النبى ﷺ : «**من يدخل الجنة ينعم لا يبؤس، يخلد ولا يموت**»(1) وقوله: «**ينادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وأن تحيوا فلا تموتوا أبداً**». (2)

وثبت فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه قال: «**يجاء بالموت فى صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال: يا أهل الجنة فيطلعون مشفقين ويقال: يا أهل النار فيطلعون فرحين، فيقال: هل تعرفون هذا فيقولون: نعم هذا الموت فيذبح بين الجنة والنار. ويقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**». (3)

فصل

أقوال فى الخلود والفناء

وهذا موضع اختلف فيه المتأخرون على ثلاثة أقوال:

أحدهما: أن الجنة والنار فانيتان غير أبديتين، بل كما هما حادثتان فهما فانيتان.

والقول الثانى: أنهما باقيتان دائمتان لا يفنيان أبداً.

والقول الثالث: إن الجنة باقية أبدية والنار فانية.

ونحن نذكر هذه الأقوال ومن قالها وما احتج به أرباب كل قول، ونرد ما خالف كتاب الله وسنة رسوله.

فأما القول بفنائهما فهو قول قاله جهم بن صفوان إمام المعطلة الجهمية، وليس له فيه سلف قط من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الإسلام ولا قال به أحد من أهل السنة. وهذا

(1) صحيح : أخرجه مسلم (2836)، والترمذى (3246).
(2) صحيح : أخرجه مسلم (2837)، والترمذى (3246).
(3) صحيح : أخرجه البخارى (4730)، ومسلم (2849).

القول مما أنكره عليه وعلى أتباعه أئمة الإسلام، وكفروهم به وصاحوا بهم من أقطار الأرض، كما ذكر عبد الله ابن الإمام أحمد فى كتاب السنة عن خارجة بن مصعب أنه قال: كفرت الجهمية بثلاث آيات من كتاب الله عز وجل، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا** ﴾ (الرعد:35) وهم يقولون لا يدوم، ويقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ** ﴾ (ص: 54) وهم يقولون ينفد، ويقول الله عز وجل: ﴿ **مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ** ﴾ (النحل: 96).

قال شيخ الإسلام: وهذا قاله جهم لأصله الذى اعتقده وهو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث، وهو عمدة أهل الكلام التى استدلوا بها على حدوث الأجسام وحدوث ما لم يحل من الحوادث، وجعلوا ذلك عمدتهم فى حدوث العالم، فرأى الجهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها فى الماضى يمنعه فى المستقبل، فدوام الفعل ممتنع عنده على الرب تبارك وتعالى فى المستقبل، كما هو ممتنع عليه فى الماضى.

وأبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة وافقه على هذا الأصل، لكن قال: إن هذا يقتضى فناء الحركات لكونها متعاقبة شيئاً بعد شىء. فقال بفناء حركات أهل الجنة والنار حتى يصيروا فى سكون دائم لا يقدر أحد منهم على حركة. وزعمت فرقة ـ ممن وافقتهم على امتناع حوادث لا نهاية لها ـ أن هذا القول مقتضى العقل، لكن لما جاء السمع ببقاء الجنة والنار قلنا بذلك، وكأن هؤلاء لم يعلموا أن ما كان ممتنعاً فى العقل لا يجىء الشرع بوقوعه إذ يستحيل عليه أن يخبر بوجود ما هو ممتنع فى العقل، وكأنهم لم يفرقوا بين محالات العقول وجائزاتها، فالسمع يجىء بالثانى لا بالأول فالسمع يجىء بما يعجز العقل عن إدراكه ولا يستقل به ولا يجىء بما يعلم العقل إحالته.

والأكثرون الذين وافقوا جهماً وأبا الهذيل على هذا الأصل فرقوا بين الماضى والمستقبل، وقالوا: الماضى قد دخل فى الوجود بخلاف المستقبل، والممتنع إنما هو دخول على ما لا يتناهى فى الوجود لا تقدير دخوله شيئاً بعد شىء. قالوا: وهذا نظير أن يقول القائل: لا أعطيك درهماً إلا وأعطيك بعده درهماً آخر فهذا ممكن. والأول نظير أن يقول: لا أعطيك درهماً إلا وأعطيك قبله درهماً فهذا محال. وهؤلاء عندهم وجود ما لا يتناهى فى الماضى محال ووجوده فى المستقبل واجب، ونازعهم فى ذلك آخرون وقالوا: بل الأمر فى الماضى كهو فى المستقبل ولا فرق بينهما، بل المضى والاستقبال أمر نسبى فكل ما يكون مستقبلاً يصير ماضياً، وكل ماض فقد كان مستقبلاً فلا يعقل إمكان الدوام فى أحد الطرفين وإحالته فى الطرف الآخر.

وقالوا: هذه مسألة دوام فاعلية الرب تبارك وتعالى وهو لم يزل رباً قادراً فعالاً فإنه لم يزل حياً عليماً قديراً، ومن المحال أن يكون الفعل ممتنعاً عليه لذاته، ثم ينقلب فيصير ممكناً لذاته من غير تجدد شيء وليس للأول حد محدود حتى يصير الفعل ممكناً له عند ذلك الحد، ويكون قبله ممتنعاً عليه. فهذا القول تصوره كاف فى الجزم بفساده، ويكفى فى فساده أن الوقت الذى انقلب فيه الفعل من الإحالة الذاتية إلى الإمكان الذاتى إما أن يصح أن يفرض قبله وقت يمكن فيه الفعل أو لا يصح.

فإن قلتم: لا يصح كان هذا تحكماً غير معقول وهو من جنس الهوس، وإن قلتم: يصح، قيل: وكذلك ما يفرض قبله لا إلى غاية، فما من زمن محقق أو مقدر إلا والفعل ممكن فيه وهو صفة كمال وإحسان ومتعلق حمد الرب تعالى وربوبيته وملكه وهو لم يزل رباً حميداً ملكاً قادراً لم تتجدد له هذه الأوصاف، كما أنه لم يزل حياً مريداً عليماً. والحياة والعلم والإرادة والقدرة تقتضى آثارها ومتعلقاتها، فكيف يعقل حى قدير عليم مريد ليس له مانع ولا قاهر يقهره يستحيل عليه أن يفعل شيئاً ألبتة ؟

فكيف يجعل هذا أصلاً من أصول الدين ويجعل معياراً على ما أخبر الله سبحانه به رسوله، ويفرق به بين جائزات العقول ومحالاتها؟ فإذا كان هذا شأن الميزان فكيف يستقيم الموزون به؟ وأما قول من فرق بأن الماضى قد دخل فى الوجود دون المستقبل فكلام لا تحقيق وراءه. فإن الذى يحصره الوجود من الحركات هو المتناهى ثم يعدم فيصير ماضياً، كما كان معدوماً لما كان مستقبلاً، فوجوده بين عدمين، وكلما انقضت جملة حدثت بعدها جملة أخرى، فالذى صار ماضياً هو بعينه الذى كان مستقبلاً، فإن دل الدليل على امتناع ما لا يتناهى شيئاً قبل شيء فهو بعينه، دال على امتناعه شيئاً بعد شيء.

وأما تفريقكم بقولكم المستقبل نظير قوله: ما أعطيك درهماً إلا وأعطيك بعده درهماً، فهذا ممكن. والماضى نظير قوله: ما أعطيك درهماً إلا وأعطيك قبله درهماً، فهذا الفرق فيه تلبيس لا يخفى، وليس بنظير ما نحن فيه، بل نظيره أن يقول: ما أعطيك درهماً إلا وقد تقدم منى إعطاء درهم قبله. فهذا ممكن الدوام فى الماضى على حد إمكانه فى المستقبل، ولا فرق فى العقل الصحيح بينهما البتة، ولما لم يجد الجهم وأبو الهذيل وأتباعهما بين الأمرين فرقاً قالوا بوجوب تناهى الحركات فى المستقبل كما يجب ابتداؤها عندهم فى الماضى.

وقال أهل الحديث: بل هما سواء فى الإمكان والوقوع ولم يزل الرب سبحانه وتعالى فعالاً لما يريد، ولم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال منعوتاً بنعوت الجلال. وليس المتمكن من الفعل كل وقت كالذى لا يمكنه الفعل إلا فى وقت معين، وليس من يخلق كمن لا يخلق، ومن يحسن كمن لا يحسن، ومن يدبر الأمر كمن لا يدبر، وأى كمال فى أن يكون رب العالمين معطَّلاً عن الفعل فى مدد مقدرة أو محققة لا تتناهى يستحيل منه الفعل، وحقيقة ذلك أنه لا يقدر عليه ؟

وإن أبيتم هذا الإطلاق وقلتم: إن المحال لا يوصف بكونه غير مقدور عليه، فجمعتم بين محالين: الحكم بإحالة الفعل من غير موجب لإحالته وانقلابه من الإحالة الذاتية إلى الإمكان الذاتى من غير تجدد سبب، وزعمتم أن هذا هو الأصل الذى يثبتون به وجود الصانع وحدوث العالم وقيامه بالأبدان فجنيتم على العقل والشرع، والرب تعالى لم يزل قادراً على الفعل والكلام بمشيئته، ولم يزل فعالاً لما يريد ولم يزل رباً محسناً.

والمقصود: أن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين. والذين قالوه إنما تلقوه عن قياس فاسد اشتبه أصله على كثير من الناس فاعتقدوه حقاً، وبنوا عليه القول بخلق القرآن ونفى الصفات. وقد دل القرآن والسنة والعقل الصريح على أن كلمات الله وأفعاله لا تتناهى ولا تنقطع بآخر ولا تُحدَّ بأول. قال الله تعالى: ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** ﴾ (الكهف: 109) .

وقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِى الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (لقمان: 27) فأخبر عن عدم نفاد كلماته لعزته وحكمته. وهذان وصفان ذاتيان له سبحانه وتعالى لا يكون إلا كذلك.

وذكر ابن أبى حاتم فى تفسيره عن سليمان بن عامر قال: سمعت الربيع بن أنس يقول: إن مثل علم العباد كلهم فى علم الله عز وجل كقطرة من هذه البحور كلها. وقد أنزل الله سبحانه وتعالى فى ذلك: ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِى الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ** ﴾ ـ الآية ـ .

وقوله: ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ** ﴾ ـ الآية. يقول سبحانه وتعالى: لو كان البحر مداداً لكلمات الله والشجر كلها أقلام لانكسرت الأقلام وفنى

ماء البحر وكلمات الله تعالى باقية لا يفنيها شيء، لأن أحداً لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثنى عليه كما ينبغى؛ بل هو كما أثنى على نفسه إن ربنا كما يقول وفوق ما يقول، ثم إن مثل نعيم الدنيا أوله وآخره فى نعيم الآخرة كحبة من خردل فى خلال الأرض كلها.

فصل

أبدية النار ودوامها

وأما أبدية النار ودوامها فقال فيها شيخ الإسلام: فيها قولان معروفان عن السلف والخلف. والنزاع فى ذلك معروف عند التابعين.

قلت: ههنا أقوال سبعة:

أحدها: أن من دخلها لا يخرج منها أبداً بل من دخلها خلد فيها أبد الآباد بإذن الله، وهذا قول الخوارج والمعتزلة.

والثانى: أن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نارية لهم يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم، وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربى الطائى.

قال فى فصوصه: الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد والحضرة الإلهية تطلب الثناء المحمود بالذات، فيثنى عليها بصدق الوعد لا بصدق الوعيد، بل بالتجاوز ﴿**فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ**﴾ (إبراهيم: 47) لم يقل وعيده، بل قال: ﴿**وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ**﴾ (الأحقاف: 16) مع أنه توعد على ذلك، وأثنى على إسماعيل بأنه كان صادق الوعد، وقد زال الإمكان فى حق الحق لما فيه من طلب المرجح:

فلم يَبْقَ إلا صادق الوعد وحده ... وما لِوَعيد الحقِّ عينٌ تُعَاين
وإنْ دخلوا دار الشَّقاء فإنَّهم ... على لذة فيها نعيمٌ مُبَاين
نعيمُ جنانِ الخُلد والأمرُ واحدٌ ... وبينهما عند التجلِّى تَبَاين
يسمَّى عذاباً من عُذُوبة طَعْمه ... وذاك له كالقِشْر والقِشْرُ صَاين

وهذا فى طرف والمعتزلة الذين يقولون: لا يجوز على الله أن يخلف وعيده، بل يجب عليه تعذيب من توعده بالعذاب فى طرف، فأولئك عندهم لا ينجو من النار من دخلها أصلاً، وهذا

عنده لا يعذب بها أحد أصلاً. والفريقان مخالفان لما علم بالاضطرار أن الرسول جاء به وأخبر به عن الله عز وجل.

الثالث: قول من يقول إن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون، وهذا القول حكاه اليهود للنبى ﷺ فأكذبهم فيه، وقد أكذبهم الله تعالى فى القرآن فيه. فقال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ (البقرة: 80 ـ 81).

وقال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ** ﴾ (آل عمران: 23 ـ 24).

فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود فيهم شيوخ أربابه والقائلين به، وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام على فساده.

قال تعالى: ﴿ **وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** ﴾ وقال: ﴿ **وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ** ﴾ وقال: ﴿ **كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا** ﴾.

وقال تعالى: ﴿ **لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا** ﴾ (فاطر: 36)، وقال تعالى: ﴿ **وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ** ﴾ (الأعراف: 40).

وهذا أبلغ ما يكون فى الإخبار عن استحالة دخولهم الجنة.

الرابع: قول من يقول: يخرجون منها وتبقى ناراً على حالها ليس فيها أحد يعذب. حكاه شيخ الإسلام. والقرآن والسنة أيضاً يردان هذا القول كما تقدم.

الخامس: قول من يقول: بل تفنى بنفسها لأنها حادثة بعد أن لم تكن: وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديته. وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته، ولا فرق عنده فى ذلك بين الجنة والنار.

السادس: قول من يقول تفنى حياتهم وحركاتهم، ويصيرون جماداً لا يتحركون ولا يحسون بألم. وهذا قول أبى الهذيل العلاف إمام المعتزلة طرداً لامتناع حوادث لا نهاية لها. والجنة والنار عنده سواء فى هذا الحكم.

السابع: قول من يقول: بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى، فإنه جعل لها أمداً تنتهى إليه ثم تفنى ويزول عذابها.

قال شيخ الإسلام: وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد وغيرهم. وقد روى عبد بن حميد ـ وهو من أجل علماء الحديث ـ فى تفسيره المشهور حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال: قال عمر: «لو لبث أهل النار فى النار كقدر رمل عالج، لكان لهم يوم يخرجون فيه». (1)

وقال: حدثنا حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال: «لو لبث أهل النار فى النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه»(2) ذكر ذلك فى تفسير قوله تعالى: ﴿ **لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا** ﴾ (النبأ: 23) فقد رواه عبد -وهو من الأئمة الحفاظ وعلماء السنة- عن هذين الجليلين سليمان بن حرب وحجاج بن منهال كلاهما عن حماد بن سلمة، وحسبك به، وحماد يرويه عن ثابت وحميد، وكلاهما يرويه عن الحسن، وحسبك بهذا الإسناد جلالة.

والحسن وإن لم يسمع من عمر، فإنما رواه عن بعض التابعين ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما رواه وجزم به. وقال: قال عمر بن الخطاب، ولو قدر أنه لم يحفظ عن عمر فتداول هؤلاء الأئمة له غير مقابلين له بالإنكار والرد مع أنهم ينكرون على من خالف السنة بدون هذا، فلو كان هذا القول عند هؤلاء الأئمة من البدع المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأئمة، لكانوا أول منكر له.

قال: ولا ريب أن من قال هذا القول عن عمر ونقله عنه إنما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها، فأما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علم هؤلاء وغيرهم أنهم يخرجون منها، وأنهم لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريباً منه.

ولفظ أهل النار لا يختص بالموحدين، بل هو مختص بمن عداهم، كما قال النبى ﷺ ، أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولا يناقض هذا قوله تعالى: ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا** ﴾ وقوله: ﴿ **وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ** ﴾ (الحجر: 48).

(1) ضعيف : ضعيف من قول عمر، وانظر تخريج الطحاوية للألبانى (ص 484).

(2) ضعيف : وانظر ما قبله.

بل ما أخبر الله به هو الحق والصدق الذى لا يقع خلافه، لكن إذا انقضى أجلها وفنيت كما تفنى الدنيا لم تبق ناراً ولم يبق فيها عذاب قال أرباب هذا القول:

فى تفسير على بن أبى طلحة الوالبى عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿ **قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾ قال: لا ينبغى لأحد أن يحكم على الله فى خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً.

قالوا: وهذا الوعيد فى هذه الآية ليس مختصاً بأهل القبلة فإنه سبحانه قال: ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِى أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) وَكَذَلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ (الأنعام: 128، 129).

وأولياء الجن من الإنس يدخل فيهم الكفار قطعاً فإنهم أحق بموالاتهم من عصاة المسلمين، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ (الأعراف:27).

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ** ﴾ (النحل: 99، 100).

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ** ﴾ (الأعراف: 201،202) .

وقال تعالى: ﴿ **أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِى** ﴾ (الكهف: 50).

وقال تعالى: ﴿ **فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ** ﴾ (النساء:76).

وقال تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ (المجادلة: 19).

وقال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ** ﴾ (الأنعام: 121) فالاستثناء وقع فى الآية التى أخبرت عن دخول أولياء الشياطين النار.

فمن ههنا قال ابن عباس: إنه لا ينبغى لأحد أن يحكم على الله في خلقه. قالوا: وقول من قال إن «إلا» بمعنى «سوى» أى سوى ما شاء الله أن يزيدهم من أنواع العذاب وزمنه لا تخفى منافرته للمستثنى والمستثنى منه، وإن الذى يفهمه المخاطب مخالفة ما بعد «إلا» لما قبلها.

قالوا: وقول من قال إنه لإخراج ما قبل دخولهم إليها من الزمان كزمان البرزخ والموقف ومدة الدنيا أيضاً، لا يساعد عليه وجه الكلام، فإنه استثناء من جملة خبرية، مضمونها أنهم إذا دخلوا النار لبثوا فيها مدة دوام السموات والأرض إلا ما شاء اللّه.

وليس المراد الاستثناء قبل الدخول هذا ما لا يفهمه المخاطب. ألا ترى أنه سبحانه يخاطبهم بهذا في النار حين يقولون: ﴿ **رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا** ﴾ (الأنعام: 128) فيقول لهم حينئذ: ﴿ **النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله** ﴾.

وفي قولهم: ﴿ **رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا** ﴾ نوع اعتراف واستسلام وتحسر: أي استمتع الجن بنا واستمتعنا بهم، فاشتركنا في الشرك ودواعيه وأسبابه، وآثرنا الاستمتاع على طاعتك وطاعة رسلك، وانقضت آجالنا، وذهبت أعمارنا في ذلك ولم نكسب فيها رضاك. وإنما كان غاية أمرنا في مدة آجالنا استمتاع بعضنا ببعض.

فتأمل ما في هذا من الاعتراف بحقيقة ما هم عليه، وكيف بدت لهم تلك الحقيقة ذلك اليوم، وعلموا أن الذي كانوا فيه في مدة آجالهم هو حظهم من استمتاع بعضهم ببعض، ولم يستمتعوا بعبادة ربهم ومعرفته وتوحيده ومحبته وإيثار مرضاته.

وهذا من نمط قولهم: ﴿ **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ** ﴾ (الملك: 10، 11) وقوله: ﴿ **فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ** ﴾ (القصص: 75) ونظائره، والمقصود أن قوله ﴿ **إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ** ﴾ (الأنعام: 128) عائد إلى هؤلاء المذكورين مختصاً بهم أو شاملاً لهم ولعصاة الموحدين، وأما اختصاصه بعصاة المسلمين دون هؤلاء فلا وجه له.

ولما رأت طائفة ضعف هذا القول قالوا: الاستثناء يرجع إلى مدة البرزخ والموقف. وقد تبين ضعف هذا القول، ورأت طائفة أخرى أن الاستثناء يرجع إلى نوع آخر من العذاب غير النار.

قالوا: والمعنى أنكم في النار أبداً إلا ما شاء اللّه أن يعذبكم بغيرها وهو الزمهرير، وقد قال تعالى: ﴿ **إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا** ﴾ (النبأ: 21 ـ 23).

وقالوا: والأبد لا يقدر بالأحقاب.

وقد قال ابن مسعود في هذه الآية: ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً، وعن أبي هريرة مثله حكاه البغوي عنهما. ثم قال: ومعناه عند أهل السنة إن ثبت أنه لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان.

قالوا: قد ثبت ذلك عن أبى هريرة وابن مسعود وعبد الله بن عمرو، وقد سأل حرب إسحق ابن راهويه عن هذه الآية فقال: سألت إسحق قلت قول الله تعالى: ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾ فقال: أتت هذه الآية على كل وعيد فى القرآن.

حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا معتمر بن سليمان قال: قال أبى حدثنا أبو نضرة عن جابر أو أبى سعيد أو بعض أصحاب النبى ﷺ قال: أتت هذه الآية على كل وعيد فى القرآن كله: ﴿**إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾ (هود: 107).

قال المعتمر: قال: أتى على كل وعيد فى القرآن، حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبى حدثنا شعبة عن أبى بلخ سمع عمرو بن ميمون يحدث عن عبد الله بن عمرو قال: ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً. (1)

حدثنا عبيد الله، حدثنا أبى، حدثنا شعبة عن يحيى بن أيوب عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال: ما أنا بالذى لا أقول إنه سيأتى على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد، وقرأ قوله: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ**﴾ (هود: 106).

قال عبيد الله: كان أصحابنا يقولون ـ يعنى به الموحدين ـ حدثنا أبو معن، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا شعبة عن سليمان التيمى عن أبى نضرة عن جابر بن عبد الله أو بعض أصحابه فى قوله: ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾ (هود: 107) قال: هذه الآية تأتى على القرآن كله.

وقد حكى ابن جرير هذا القول فى تفسيره عن جماعة من السلف فقال: وقال آخرون: عَنَى بذلك أهل النار وكل من دخلها، ذكر من قال ذلك ثم ذكر الآثار التى نذكرها.

وقال عبد الرزاق: حدثنا ابن التيمى عن أبيه عن أبى نضرة عن جابر أو أبى سعيد أو عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فى قوله: ﴿**إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾ قال: هذه الآية تأتى على القرآن كله يقول: حيث كان فى القرآن خالدين فيها تأتى عليه قال: وسمعت أبا مجلز يقول: جزاؤه جهنم فإن شاء الله عز وجل تجاوز عن عذابه.

---

(1) قال الألبانى فى «رفع الأستار» (ص 66): «رواه الفسوى وزاد: (قال ثابت البنانى: سألت الحسن عن هذا؟ فأنكره) وأما مرسلات الحسن التى لا يأخذ بها ابن القيم وغيره من المحققين فحدّث عنها ولا حرج».

وقال ابن جرير: حدثنا الحسن بن يحيى أخبرنا عبد الرزاق فذكره، قال: وحدثت عن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس: ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ** ﴾ قال: لا يموتون وما هم منها بمخرجين، ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك. قال: استثناء الله قال: أمر الله النار أن تأكلهم. قال: وقال ابن مسعود: ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد بعد ما يلبثون فيها أحقاباً، حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن بيان عن الشعبى قال: جهنم أسرع الدارين عمراناً، وأسرعهما خراباً. وحكى ابن جرير فى ذلك قولاً آخر فقال: وقال آخرون أخبرنا الله سبحانه بمشيئته لأهل الجنة فعرفنا معنى ثنياه بقوله: ﴿ **عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ** ﴾ أنها فى الزيادة على مقدار مدة السموات والأرض قالوا: ولم يخبرنا بمشيئته فى أهل النار، وجائز أن تكون مشيئته فى الزيادة، وجائز أن تكون فى النقصان، حدثنى يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد فى قوله تعالى: ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ** ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿ **عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ** ﴾ فقال: أخبرنا بالذى يشاء لأهل الجنة فقال: ﴿ **عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ** ﴾، ولم يخبرنا بالذى يشاء لأهل النار.

وقال ابن مردويه فى تفسيره: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا خير بن عرفة، حدثنا يزيد بن مروان الخلال، حدثنا أبو خليد، حدثنا سفيان ـ يعنى الثورى ـ عن عمرو بن دينار عن جابر قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ** ﴾ (هود: 106، 107) قال رسول الله ﷺ: «**إن شاء الله أن يخرج أناساً من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة فعل**»(1)، وهذا الحديث يدل على أن الاستثناء إنما هو للخروج من النار بعد دخولها خلافاً لمن زعم أنه لما قبل الدخول، ولكن إنما يدل على إخراج بعضهم من النار، وهذا حق بلا ريب وهو لا ينفى انقطاعها وفناء عذابها وأكلها لمن فيها فإنهم يعذبون فيها دائماً مادامت كذلك وما هم منها بمخرجين، فالحديث دل على أمرين:

أحدهما: أن بعض الأشقياء إن شاء الله أن يخرجهم من النار، -وهى نار- فَعَلَ، وأن الاستثناء إنما هو فيما بعد دخولها لا فيما قبله. وعلى هذا فيكون معنى الاستثناء: إلا ما شاء ربك من الأشقياء فإنهم لا يخلدون فيها، ويكون الأشقياء نوعين: نوعاً يخرجون منها ونوعاً يخلدون

---

(1) **صحيح**: أخرجه مسلم من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو سمع جابراً عن النبى ﷺ يقول: «إن الله يخرج ناساً من النار فيدخلهم الجنة».

فيها، فيكونون من الذين شقوا أولاً ثم يصيرون من الذين سعدوا، فتجتمع لهم الشقاوة والسعادة فى وقتين. قالوا: وقد قال تعالى: ﴿ **إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا** ﴾ (النبأ: 21 ـ 28) فهذا صريح فى وعيد الكفار المكذبين بآياته، ولا يقدر الأبدى بمدة لا أحقاب ولا غيرها كما لا يقدر به القديم. ولهذا قال عبد الله بن عمرو فيما رواه شعبة عن أبى بلخ سمع عمرو بن ميمون يحدث عنه: «ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً»[1].

فصل

أدلة أبدية النـار

والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق:

أحدها: اعتقاد الإجماع. فكثير من الناس يعتقد أن هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين لا يختلفون فيه، وأن الاختلاف فيه حادث. وهو من أقوال أهل البدع.

الطريق الثانى: أن القرآن دل على ذلك دلالة قطعية. فإنه سبحانه وتعالى أخبر أنه عذاب مقيم، وأنه لا يفتر عنهم وأنه لن يزيدهم إلا عذاباً، وأنهم خالدين فيها أبداً وما هم بخارجين من النار، وما هم منها بمخرجين. وأن الله حرم الجنة على الكافرين، وأنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط، وأنهم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها، وأن عذابها كان غراماً، أى: مقيماً لازماً. قالوا: وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره.

الطريق الثالث: أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان دون الكفار. وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة بخروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

---

(1) **ضعيف الإسناد** : أثر رواه الفسوى، وانظر «رفع الأستار» (ص 81) للألبانى حيث يقول: «وهذا الأثر ينادى بخلودها -أى النار- وهى باقية على حالها، والقول بأنه سماها جهنم باعتبار ما كانت عليه رجوع إلى المجاز هى أكثر من الدنيا بأضعاف مضاعفة. فكلام ابن عمرو هذا محمول على ما حمل عليه كلام عمر بن الخطاب وغيره من الآثار فى أن مراده خروج الموحدين».

الطريق الرابع: أن الرسول وقّفنا على ذلك، وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلى نقل معين، كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها.

الطريق الخامس: أن عقائد السلف وأهل السنة مصرِّحة بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما لا تفنيان بل هما دائمتان، وإنما يذكرون فناءهما عن أهل البدع.

الطريق السادس: أن العقل يقضى بخلود الكفار فى النار. وهذا مبنى على قاعدة، وهى أن المعاد وثواب النفوس المطيعة وعقوبة النفوس الفاجرة هل هو مما يعلم بالعقل أو لا يعلم إلا بالسمع؟

فيه طريقان لنظار المسلمين، وكثير منهم يذهب إلى أن ذلك يعلم بالعقل مع السمع، كما دل عليه القرآن فى غير موضع، كإنكاره سبحانه على من زعم أنه يسوى بين الأبرار والفجار فى المحيا والممات، وعلى من زعم أنه خلق خلقه عبثاً، وأنهم إليه لا يرجعون، وأنه يتركهم سدىً أى لا يثيبهم ولا يعاقبهم، وأن ذلك يقدح فى حكمته وكماله، وأنه نسبه إلى ما لا يليق به، وربما قرروه بأن النفوس البشرية باقية واعتقاداتها وإرادتها صفة لازمة لها لا تفارقها وإن ندمت عليها، لما رأت العذاب فلم تندم عليها لقبحها وكراهة ربها لها، بل لو فارقها العذاب رجعت كما كانت أولاً قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾ (الأنعام: 27، 28).

فهؤلاء قد ذاقوا العذاب وباشروه ولم يزل سببه ومقتضيه من نفوسهم، بل خبثها وكفرها قائم بها لم يفارقها بحيث لو ردوا لعادوا كفاراً كما كانوا. وهذا يدل على أن دوام تعذيبهم يقضى به العقل كما جاء به السمع.

قال أصحاب الفناء: بالكلام على هذه الطرق نبين الصواب فى هذه المسألة.

فأما الطريق الأول: فالإجماع الذى ادعيتموه غير معلوم، وإنما يظن الإجماع فى هذه المسألة من لم يعرف النزاع، وقد عرف النزاع فيها قديماً وحديثاً؛ بل لو كلف مدعى الإجماع أن ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم إلى الواحد أنه قال: إن النار لا تفنى أبداً، لم يجد إلى ذلك سبيلاً.

ونحن قد نقلنا عنهم التصريح بخلاف ذلك فأوجدوا لنا عن واحد منهم خلاف ذلك، بل التابعون حكى عنهم هذا وهذا، قالوا: والإجماع المعتد به نوعان متفق عليهما، ونوع ثالث مختلف فيه، ولم يوجد واحد منها فى هذه المسألة.

النوع الأول: ما يكون معلوماً من ضرورة الدين كوجوب أركان الإسلام وتحريم المحرمات الظاهرة.

الثانى: ما ينقل عن أهل الاجتهاد التصريح بحكمه.

الثالث: أن يقول بعضهم القول وينتشر فى الأمة ولا ينكره أحد، فأين معكم واحد من هذه الأنواع ؟ ولو أن قائلاً ادعى الإجماع من هذه الطرق واحتج بأن الصحابة صح عنهم ذلك ولم ينكر أحد منهم عليه لكان أسعد بالإجماع منكم.

قالوا: **وأما الطريق الثانى:** وهو دلالة القرآن على بقاء النار وعدم فنائها، فأين فى القرآن دليل واحد يدل على ذلك ؟ نعم، الذى دل عليه القرآن أن الكفار خالدون فى النار أبداً، وأنهم غير خارجين منها، وأنهم لا يفتر عنهم عذابها، وأنهم لا يموتون فيها، وأن عذابها فيها مقيم، وأنه غرام لازم لهم. وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، وليس هذا مورد النزاع وإنما النزاع فى أمر آخر وهو أنه: هل النار أبدية أو مما كتب عليها الفناء ؟

وأما كون الكفار لا يخرجون منها ولا يفتر عنهم من عذابها ولا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط: فلم يختلف فى ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة، وإنما خالف فى ذلك من قد حكينا أقوالهم من اليهود والاتحادية وبعض أهل البدع. وهذه النصوص وأمثالها تقتضى خلودهم فى دار العذاب ما دامت باقية ولا يخرجون منها مع بقائها ألبتة، كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها. فالفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه.

قالوا: **وأما الطريق الثالث:** وهو مجىء السنة المستفيضة بخروج أهل الكبائر من النار دون أهل الشرك: فهى حق لا شك فيه، وهى إنما تدل على ما قلناه من خروج الموحدين منها وهى دار عذاب لم تفن ويبقى المشركون فيها ما دامت باقية، والنصوص دلت على هذا وعلى هذا.

قالوا: **وأما الطريق الرابع:** وهو أن رسول الله ﷺ وقفنا على ذلك ضرورة: فلا ريب أنه من المعلوم من دينه بالضرورة أن الكفار باقون فيها ما دامت باقية. هذا معلوم من دينه بالضرورة. وأما كونها أبدية لا انتهاء لها ولا تفنى كالجنة، فأين فى القرآن والسنة دليل واحد يدل على ذلك ؟

قالوا: **وأما الطريق الخامس -** وهو أن فى عقائد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً: فلا ريب أن القول بفنائهما قول أهل البدع من الجهمية والمعتزلة. وهذا القول لم

يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين. وأما فناء النار وحدها فقد أوجدنا لكم مَنْ قال به من الصحابة وتفريقهم بين الجنة والنار، فكيف يكون القول به من أقوال أهل البدع، مع أنه لا يعرف عن أحد من أهل البدع التفريق بين الدارين، فقولكم إنه من أقوال أهل البدع كلام من لا خبرة له بمقالات بني آدم وآرائهم واختلافهم.

قالوا: والقول الذي يعد من أقوال أهل البدع ما خالف كتاب الله أو سنة رسوله وإجماع الأمة: إما الصحابة أو مَنْ بعدهم، وأما قول يوافق الكتاب والسنة وأقوال الصحابة فلا يعد من أقوال أهل البدع وإن دانوا به واعتقدوه فالحق يجب قبوله ممن قاله، والباطل يجب رده على من قاله، وكان معاذ بن جبل يقول: «الله حَكَم قسط، هلك المرتابون، إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن حتى يقرؤه المؤمن والمنافق والمرأة والصبي والأسود والأحمر، فيوشك أحدكم أن يقول: قرأت القرآن فما أظن أن يتبعوني حتى أبتدع لهم غيره فإن كل بدعة ضلالة وإياكم وزيغة الحكيم. فإن الشيطان قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة، وإن المنافق قد يقول كلمة الحق فتلقوا الحق عمن جاء به، فإن على الحق نوراً، قالوا: وكيف زيغة الحكيم؟ قال: هي الكلمة تروعكم وتنكرونها، وتقولون ما هذه ؟ فاحذروا زيغته ولا يصدنكم عنه فإنه يوشك أن يفيء وأن يراجع الحق، وإن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة».

فالذي أخبر به أهل السنة في عقائدهم هو الذي دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن أهل النار لا يخرجون منها ولا يخفف عنهم عذابها، ولا يفتر عنهم، وأنهم خالدون فيها، ومن ذكر منهم أن النار لا تفنى أبداً فإنما قاله لظنه أن بعض أهل البدع قال بفنائها، ولم يبلغه تلك الآثار التي تقدم ذكرها. قالوا: وأما حكم العقل بتخليد أهل النار فيها، فإخبارٌ عن العقل بما ليس عنده، فإن المسألة من المسائل التي لا تعلم إلا بخبر الصادق.

وأما أصل الثواب والعقاب: فهل يعلم بالعقل مع السمع أو لا يعلم إلا بالسمع وحده ؟ ففيه قولان لنظار المسلمين من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم. والصحيح أن العقل دل على المعاد والثواب والعقاب إجمالاً. وأما تفصيلاً فلا يعلم إلا بالسمع ودوام الثواب والعقاب مما لا يدل عليه العقل بمجرده، وإنما علم بالسمع، وقد دل السمع دلالة قطعية على دوام ثواب المطيعين. وأما عقاب العصاة فقد دل السمع أيضاً دلالة قاطعة على انقطاعه في حق الموحدين. وأما دوامه وانقطاعه في حق الكفار فهذا معترك النزال، فمن كان السمع من جانبه فهو أسعد بالصواب. وبالله التوفيق.

فصل

الفرق بين دوام الجنة والنار

ونحن نذكر الفرق بين دوام الجنة والنار شرعاً وعقلاً، وذلك يظهر من وجوه:

أحدها: أن اللّه سبحانه وتعالى أخبر ببقاء نعيم أهل الجنة ودوامه وأنه لانفاد له ولا انقطاع وأنه غير مجذوذ. وأما النار فلم يخبر عنها بأكثر من خلود أهلها فيها وعدم خروجهم منها وأنهم لا يموتون فيها ولا يحيون وأنها مؤصدة عليهم، وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وأن عذابها لازم لهم، وأنه مقيم عليهم لا يفتر عنهم والفرق بين الخبرين ظاهر.

الوجه الثانى: أن النار قد أخبر سبحانه وتعالى فى ثلاث آيات عنها مما يدل على عدم أبديتها.

الأولى: قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾ (الأنعام: 128).

الثانية: قوله: ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ﴾ (هود: 107).

الثالثة: قوله: ﴿ **لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا** ﴾ (النبأ: 23).

ولولا الأدلة القطعية الدالة على أبدية الجنة ودوامها لكان حكم الاستثناءين فى الموضعين واحداً، كيف وفى الآيتين من السياق ما يفرق بين الاستثنائين فإنه قال فى أهل النار: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ﴾ (هود: 107)، فعلمنا أنه سبحانه وتعالى يريد أن يفعل فعلاً لم يخبرنا به، وقال فى أهل الجنة: ﴿ **عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ** ﴾ (هود: 108). فعلمنا أن هذا العطاء والنعيم غير مقطوع عنهم أبداً. فالعذاب مؤقت معلق والنعيم ليس بمؤقت ولا معلق.

الوجه الثالث: أنه قد ثبت أن الجنة يدخلها من لم يعمل خيراً قط من المعذبين الذين يخرجهم اللّه من النار، وأما النار فلا يدخلها من لم يعمل سوءاً قط، ولا يعذب بها إلا من عصاه.

الوجه الرابع: أنه قد ثبت أن اللّه سبحانه وتعالى ينشئ للجنة خلقاً آخر يوم القيامة يسكنهم إياها ولا يفعل ذلك بالنار، وأما الحديث الذى ورد فى صحيح البخارى فى قوله: «**وأما النار فينشئ اللّه لها خلقاً آخرين**» فغلط وقع من بعض الرواة انقلب عليه الحديث، وإنما هو ما ساقه

البخاري في الباب نفسه: «**وأما الجنة فينشئ الله لها خلقاً آخرين**»[1] وذكره البخاري رحمه الله مبيناً أن الحديث انقلب لفظه على من رواه بخلاف هذا فذكر هذا وهذا، والمقصود أنه لا تقاس النار بالجنة في التأبيد مع هذه الفروق.

يوضحه الوجه الخامس: أن الجنة من موجب رحمته ورضاه، والنار من غضبه وسخطه، ورحمته سبحانه تغلب غضبه وتسبقه، كما جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عنه ﷺ أنه قال: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده موضوع على العرش أن رحمتي تغلب غضبي**»[2] وإذا كان رضاه قد سبق غضبه وهو يغلبه كانت التسوية بين ما هو من موجب رضاه وما هو من موجب غضبه ممتنعاً.

يوضحه الوجه السادس: أن ما كان بالرحمة وللرحمة فهو مقصود لذاته قصد الغايات، وما كان من موجب الغضب والسخط فهو مقصود لغيره قصد الوسائل فهو مسبوق ومغلوب مراد لغيره، وما كان بالرحمة فغالب سابق مراد لنفسه.

يوضحه الوجه السابع: وهو أنه سبحانه قال للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، وقال للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء. وعذابه مفعول منفصل، وهو ناشئ عن غضبه، ورحمته ههنا هي الجنة وهي رحمة مخلوقة ناشئة عن الرحمة التي هي صفة الرحمن فههنا أربعة أمور: رحمة هي وصفه سبحانه، وثواب منفصل هو ناشئ عن رحمته، وغضب يقوم به سبحانه، وعقاب منفصل ينشأ عنه. فإذا غلبت صفة الرحمة صفة الغضب فلأن يغلب ما كان بالرحمة لما كان بالغضب أولى وأحرى، فلا تقاوم النار التي نشأت عن الغضب الجنة التي نشأت عن الرحمة.

يوضحه الوجه الثامن: أن النار خلقت تخويفاً للمؤمنين وتطهيراً للخاطئين والمجرمين، فهي طهرة من الخبث الذي اكتسبته النفس في هذا العالم، فإن تطهرت ههنا بالتوبة النصوح والحسنات الماحية والمصائب المكفرة لم تحتج إلى تطهير هناك وقيل لها مع جملة الطيبين: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾. وإن لم تتطهر في هذه الدار ووافت الدار الأخرى بدرنها ونجاستها وخبثها أدخلت النار طهرة لها ويكون مكثها في النار بحسب زوال ذلك الدرن والخبث والنجاسة التي لا يغسلها الماء، فإذا تطهرت الطهر التام أخرجت من النار والله سبحانه

(1) صحيح : أخرجه البخاري (4850)، ومسلم (2847).

(2) صحيح : أخرجه البخاري (3194) بدء الخلق، ومسلم (2751) عن أبي هريرة.

خلق عباده حنفاء وهى فطرة اللّه التى فطر الناس عليها، فلو خلوا وفطرهم لما نشأوا إلا على التوحيد، ولكن عرض لأكثر الفطر ما غيَّرها. ولهذا كان نصيب النار أكثر من نصيب الجنة، وكان هذا التغيير مراتب لا يحصيها إلا اللّه فأرسل اللّه رسوله، وأنزل كتبه يذكِّر عباده بفطرته التى فطرهم عليها، فعرف الموفَّقون الذين سبقت لهم من اللّه الحسنى صحة ما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب بالفطرة الأولى فتوافق عندهم شرع اللّه ودينه الذى أرسل به رسله وفطرته التى فطرهم عليها فمنعتهم الشريعة المنزلة والفطرة المكملة أن تكتسب نفوسهم خبثاً ونجاسة ودرناً يَعْلَق بها ولا يفارقها، بل كلما ألم بهم شىء من ذلك ومسهم طائف من الشيطان أغاروا عليه بالشرعة والفطرة فأزالوا موجبه وأثره، وكمل لهم الرب تعالى ذلك بأقضية يقضيها لهم مما يحبون أو يكرهون، تمحص عنهم تلك الآثار التى شوشت الفطرة، فجاء مقتضى الرحمة فصادف مكاناً قابلاً مستعداً لها ليس فيه شىء يدافعه فقال ههنا أمرت وليس لله سبحانه غرض فى تعذيب عباده بغير موجب كما قال تعالى: ﴿ **مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا** ﴾(النساء: 147).

واستمر الأشقياء مع تغيير الفطرة ونقلها مما خلقت عليه إلى ضده حتى استحكم الفساد وتم التغيير، فاحتاجوا إلى إزالة ذلك إلى تغيير آخر وتطهير ينقلهم إلى الصحة حيث لم تنقلهم آيات اللّه المتلوة والمخلوقة وأقداره المحبوبة والمكروهة فى هذه الدار، فأتاح لهم آيات أخر وأقضية، وعقوبات فوق التى كانت فى الدنيا تستخرج ذلك الخبث والنجاسة التى لا تزول بغير النار، فإذا زال موجب العذاب وسببه زال العذاب وبقى مقتضى الرحمة لا معارض له.

فإن قيل: هذا حق ولكن سبب التعذيب لا يزول إلا إذا كان السبب عارضاً كمعاصى الموحدين، أما إذا كان لازماً كالكفر والشرك فإن أثره لا يزول كما لا يزول السبب. وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى بعينه فى مواضع من كتابه، منها قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ** ﴾فهذا إخبار بأن نفوسهم وطبائعهم لا تقتضى غير الكفر والشرك، وأنها غير قابلة للإيمان أصلاً. ومنها قوله تعالى: ﴿ **وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا** ﴾(الإسراء:72).

فأخبر سبحانه أن ضلالهم وعماهم عن الهدى دائم لا يزول حتى مع معاينة الحقائق التى أخبرت بها الرسل، وإذا كان العمى والضلال لا يفارقهم فإن موجبه وأثره ومقتضاه لا يفارقهم. ومنها قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ** ﴾(الأنفال:23).

وهذا يدلك على أنه ليس فيهم خير يقتضى الرحمة ولو كان فيهم خير لما ضيع عليهم أثره، ويدل على أنهم لا خير فيهم هناك أيضاً قوله: «**أخرجوا من النار من كان فى قلبه أدنى مثقال ذرة من خير**» ولو كان عند هؤلاء أدنى مثقال ذرة من خير لخرجوا منها مع الخارجين.

قيل: لعمر الله إن هذا لمن أقوى ما يتمسك به فى المسألة، وإن الأمر لكما قلتم، وإن العذاب يدوم بدوام موجبه وسببه، ولا ريب أنهم فى الآخرة فى عمى وضلال كما كانوا فى الدنيا وبواطنهم خبيثة كما كانت فى الدنيا، والعذاب مستمر عليهم دائم ما داموا كذلك ؛ ولكن هل هذا الكفر والتكذيب والخبث أمر ذاتى لهم، زواله مستحيل أم هو أمر عارض طارئ على الفطرة قابل للزوال؟ هذا حرف المسألة وليس بأيديكم ما يدل على استحالة زواله وأنه أمر ذاتى، وقد أخبر سبحانه أنه فطر عباده على الحنيفية، وأن الشياطين اجتالتهم عنها فلم يفطرهم سبحانه على الكفر والتكذيب، كما فطر الحيوان البهيم على طبيعته، وإنما فطرهم على الإقرار بخالقهم ومحبته وتوحيده.

فإذا كان هذا الحق الذى قد فطروا عليه وخلقوا عليه قد أمكن زواله بالكفر والشرك الباطل، فإمكان زوال الكفر والشرك الباطل بضده من الحق أولى وأحرى، لا ريب أنهم لو ردوا على تلك الحال التى هم عليها لعادوا لما نهوا عنه ولكن من أين لكم أن تلك الحال لا تزول ولا تتبدل بنشأة أخرى ينشئهم فيها تبارك وتعالى إذا أخذت النار مأخذها منهم، وحصلت الحكمة المطلوبة من عذابهم، فإن العذاب لم يكن سدًى وإنما كان لحكمة مطلوبة. فإذا حصلت تلك الحكمة لم يبق فى التعذيب أمر يطلب ولا غرض يقصد، والله سبحانه ليس يشتفى بعذاب عباده كما يشتفى المظلوم من ظالمه، وهو لا يعذب عبده لهذا الغرض، وإنما يعذبه طهرة له ورحمة به فعذابه مصلحة له، وإن تألم به غاية الألم، كما أن عذابه بالحدود فى الدنيا مصلحة لأربابها.

وقد سمى الله سبحانه الحد عذاباً، وقد اقتضت حكمته سبحانه أن جعل لكل داء دواء يناسبه، ودواء الداء العضال يكون من أشق الأدوية، والطبيب الشفيق يكوى المريض بالنار كياً بعد كى ليخرج منه المادة الرديئة الطارئة على الطبيعة المستقيمة، وإن رأى قطع العضو أصلح للعليل قطعه وأذاقه أشد الألم، فهذا قضاء الرب وقدره فى إزالة مادة غريبة طرأت على الطبيعة المستقيمة بغير اختيار العبد، فكيف إذا طرأ على الفطرة السليمة مواد فاسدة باختيار العبد وإرادته؟

وإذا تأمل اللبيب شرع الرب تبارك وتعالى وقدره فى الدنيا وثوابه وعقابه فى الآخرة، وجد ذلك فى غاية التناسب والتوافق وارتباط ذلك بعضه ببعض، فإن مصدر الجميع عن علم تام وحكمة بالغة ورحمة سابغة، وهو سبحانه الملك الحق المبين، وملكه ملك رحمة وإحسان وعدل.

الوجه التاسع: أن عقوبته للعبد ليست لحاجته إلى عقوبته ولا لمنفعة تعود إليه ولا لدفع مضرة وألم يزول عنه بالعقوبة ؛ بل يتعالى عن ذلك ويتنزه كما يتعالى عن سائر العيوب والنقائص، ولا هى عبث محض خال عن الحكمة والغاية الحميدة، فإنه أيضاً يتنزه عن ذلك ويتعالى عنه، فإما أن يكون من تمام نعيّم أوليائه وأحبائه، وإما أن يكون من مصلحة الأشقياء ومداواتهم، أو لهذا ولهذا.

وعلى **التقادير الثلاث:** فالتعذيب أمر مقصود لغيره قصد الوسائل لا قصد الغايات، والمراد من الوسيلة إذا حصل على الوجه المطلوب زال حكمها، ونعيم أوليائه ليس متوقفاً فى أصله ولا فى كماله على استمرار عذاب أعدائه ودوامه، ومصلحة الأشقياء ليست فى الدوام والاستمرار، وإن كان فى أصل التعذيب مصلحة لهم.

الوجه العاشر: أن رضا الرب تبارك وتعالى ورحمته صفتان ذاتيتان له، فلا منتهى لرضاه ؛ بل كما قال أعلم الخلق به: «**سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**» إذا كانت رحمته غلبت غضبه فإن رضا نفسه أعلى وأعظم، فإن رضوانه أكثر من الجنات ونعيمها وكل ما فيها. وقد أخبر أهل الجنة أنه يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً. وأما غضبه تبارك وتعالى وسخطه فليس من صفاته الذاتية التى يستحيل انفكاكه عنها بحيث لم يزل ولا يزال غضبان، والناس لهم فى صفة الغضب قولان:

أحدهما: أنه من صفاته الفعلية القائمة به كسائر أفعاله.

والثانى: أنه صفة فعل منفصل عنه غير قائم به. وعلى القولين فليس كالحياة والعلم والقدرة التى تستحيل مفارقتها له ؛ والعذاب إنما ينشأ من صفة غضبه، وما سعرت النار إلا بغضبه، وقد جاء فى أثر مرفوع «**إن الله خلق خلقاً من غضبه وأسكنهم بالمشرق ينتقم بهم ممن عصاه**» فمخلوقاته سبحانه نوعان: نوع مخلوق من الرحمة وبالرحمة، ونوع مخلوق من الغضب وبالغضب. فإنه سبحانه له الكمال المطلق من جميع الوجوه الذى يتنزه عن تقدير خلافه، ومنه

أنه يرضى ويغضب ويثيب ويعاقب ويعطى ويمنع ويعز ويذل وينتقم ويعفو ؛ بل هذا موجب ملكه الحق وهو حقيقة الملك المقرون بالحكمة والرحمة والحمد. فإذا زال غضبه سبحانه وتبدل برضاه زالت عقوبته وتبدلت برحمته وانقلبت العقوبة رحمة بل لم تزل رحمة وإن تنوعت صفتها وصورتها كما كان عقوبة العصاة رحمة وإخراجهم من النار رحمة، فتقلبوا فى رحمته فى الدنيا وتقلبوا فيها فى الآخرة، لكن تلك رحمة يحبونها وتوافق طبائعهم، وهذه رحمة يكرهونها وتشق عليهم، كرحمة الطبيب الذى يبضع لحم المريض، ويلقى عليه المكاوى، ليستخرج منه المواد الردية الفاسدة.

فإن قيل: هذا اعتبار غير صحيح فإن الطبيب يفعل ذلك بالعليل وهو يحبه وهو راض عنه ولم ينشأ فعله به عن غضبه عليه، ولهذا لا يسمى عقوبة، وأما عذاب هؤلاء فإنه إنما حصل بغضبه سبحانه عليهم وهو عقوبة محضة.

قيل: هذا حق ولكن لا ينافى كونه رحمة بهم، وإن كان عقوبة لهم وهذا كإقامة الحدود عليهم فى الدنيا فإنه عقوبة ورحمة وتخفيف وطهرة، فالحدود طهرة لأهلها وعقوبة، وهم لما أغضبوا الرب تعالى وقابلوه بما لا يليق أن يقابل به وعاملوه أقبح المعاملة، وكذبوه وكذبوا رسله، وجعلوا أقل خلقه وأخبثهم وأمقتهم له نداً له وآلهة معه، وآثروا رضاهم على رضاه وطاعتهم على طاعته، وهو ولى الإنعام عليهم وهو خالقهم ورازقهم ومولاهم الحق اشتد مقته لهم وغضبه عليهم، وذلك يوجب كمال أسمائه وصفاته التى يستحيل عليه تقدير خلافها ويستحيل تخلف آثارها ومقتضاها عنها، بل كل ذلك تعطيل لأحكامها، كما أن نفيها عنه تعطيل لحقائقها، وكلا التعطيلين محال عليه سبحانه.

فالمعطلون نوعان: أحدهما: عطَّل صفاته، والثانى: عطَّل أحكامه وموجباتها، وكان هذا العذاب عقوبة لهم من هذا الوجه، ودواء لهم من جهة الرحمة السابقة للغضب، فاجتمع فيه الأمران، فإذا زال الغضب بزوال سببه، وزالت المادة الفاسدة بتغير الطبيعة المقتضية لها فى الجحيم بمرور الأحقاب عليها، وحصلت الحكمة التى أوجبت العقوبة عملت الرحمة عملها وطلبت أثرها من غير معارض.

يوضحه: الوجه الحادى عشر: وهو أن العفو أحب إليه سبحانه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة، والرضا أحب إليه من الغضب، والفضل أحب إليه من العذاب. ولهذا ظهرت

آثار هذه المحبة فى شرعه وقدره وتظهر كل الظهور لعباده فى ثوابه وعقابه، وإذا كان ذلك أحب الأمرين إليه، وله خلق الخلق وأنزل الكتب وشرع الشرائع، وقدرته سبحانه صالحة لكل شيء لا قصور فيها بوجه ما، وتلك المواد الرديئة الفاسدة مرض من الأمراض، وبيده سبحانه الشفاء التام والأدوية الموافقة لكل داء، وله القدرة التامة والرحمة السابغة والغنى المطلق، وبالعبد أعظم حاجة إلى من يداوى علته التى بلغت به غاية الضرر والمشقة، وقد عرف العبد أنه عليل وأن دواءه بيد الغنى الحميد، فتضرع إليه ودخل به عليه واستكان له وانكسر قلبه بين يديه وذل لعزته وعرف أن الحمد كله له، وأن الخلق كله له، وأنه هو الظلوم الجهول وأن ربه تبارك وتعالى عَامَله ببعض عدله لا بكل عدله، وأن له غاية الحمد فيما فعل به، وأن حمده هو الذى أقامه فى هذا المقام وأوصله إليه، وأنه لا خير عنده من نفسه بوجه من الوجوه، بل ذلك محض فضل الله وصدقته عليه، وأنه لا نجاة له مما هو فيه إلا بمجرد العفو والتجاوز عن حقه فنفسه أولى بكل ذم وعيب ونقص، وربه تعالى أولى بكل حمد وكمال ومدح. فلو أن أهل الجحيم شهدوا نعمته سبحانه ورحمته وكماله وحمده الذى أوجب لهم ذلك فطلبوا مرضاته ولو بدوامهم فى تلك الحال. وقالوا: إن كان ما نحن فيه رضاك فرضاك الذى نريد، وما أوصلنا إلى هذه الحال إلا طلب ما لا يرضيك، فأما إذا أرضاك هذا منا فرضاك غاية ما نقصده «وما لجرح إذا أرضاك من ألم» وأنت أرحم بنا من أنفسنا وأعلم بمصالحنا، ولك الحمد كله، عاقبت أو عفوت، لانقلبت النار عليهم برداً وسلاماً.

وقد روى الإمام أحمد فى مسنده من حديث الأسود بن سريع أن النبى ﷺ قال: **«يأتى أربعة يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هَرِم، ورجل مات فى فترة. فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً. وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونى بالبعر. وأما الهَرِم فيقول: ربى لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذى مات فى الفترة فيقول: رب ما أتانى لك من رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، قال: فوالذى نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً».** (1)

---

(1) صحيح : أخرجه أحمد (16253)، وابن حبان (1827) موارد، وصححه الألبانى، وانظر الصحيحة (1434).

وفى المسند أيضاً: من حديث قتادة عن الحسن عن أبى رافع عن أبى هريرة مثله وقال: «**فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها يسحب إليها**»[1] فهؤلاء لما رضوا بتعذيبهم وبادروا إليه لما علموا أن فيه رضا ربهم وموافقة أمره ومحبته انقلب فى حقهم نعيماً.

ومثل هذا، ما رواه عبد الله بن المبارك حدثنى رشدين قال: حدثنى ابن أنعم عن أبى عثمان أنه حدثه عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إن رجلين ممن دخلا النار يشتد صياحهما. فقال الرب جل جلاله: أخرجوهما فأخرجا فقال لهما: لأى شىء اشتد صياحكما؟ قالا: فعلنا ذلك لترحمنا، قال: رحمتى لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما فى النار. قال: فينطلقان فيلقى أحدهما نفسه فيجعلها الله سبحانه عليه برداً وسلاماً، ويقوم الآخر فلا يلقى فيقول له الرب: ما منعك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك؟ فيقول: رب أرجوك أن لا تعيدنى فيها بعد ما أخرجتنى منها، فيقول الرب تعالى: لك رجاؤك، فيدخلان جميعاً الجنة برحمة الله**».[2]

وذكر الأوزاعى عن بلال بن سعد قال: «يأمر الله تعالى بإخراج رجلين من النار فإذا أخرجا ووقفا قال الله لهما: كيف وجدتما مقيلكما وسوء مصيركما؟ فيقولان: شر مقيل، وأسوأ مصير صار إليه العباد، فيقول لهما: ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد، قال: فيؤمر بصرفهما إلى النار. فأما أحدهما فيغدو فى أغلاله وسلاسله حتى يقتحمها، وأما الآخر فيتلكأ فيأمر بردهما فيقول للذى غدا فى أغلاله وسلاسله حتى اقتحمها: ما حملك على ما صنعت وقد خرجت منها؟ فيقول: إنى خبرت من وبال معصيتك ما لم أكن أتعرض لسخطك ثانياً. ويقول للذى تلكأ: ما حملك على ما صنعت؟ فيقول: حسن ظنى بك حين أخرجتنى منها أن لا تردنى إليها فيرحمهما جميعاً ويأمر بهما إلى الجنة».

---

(1) **صحيح** : أخرجه أحمد (16253)، عن الحسن البصرى عن أبى رافع، وابن أبى عاصم فى «السنة» (404)، وأخرجه الطبرانى (79/ 2) عن قتادة عن الأحنف بن قيس عن الأسود بن سريع، وانظر الصحيحة للألبانى (1434)، وفى مسند إسحاق بن راهويه (1/ 123)، عن قتادة عن الحسن عن أبى رافع عن أبى هريرة.

(2) **ضعيف** : أخرجه الترمذى (2599)، وقال: «إسناد هذا الحديث ضعيف، لأنه عن رشدين بن سعد، ورشدين بن سعد هو ضعيف عند أهل الحديث عن ابن أنعم وهو: الإفريقى، والإفريقى ضعيف»، وضعفه الألبانى، وانظر الضعيفة (1977).

الوجه الثاني عشر: أن النعيم والثواب من مقتضى رحمته ومغفرته وبره وكرمه، ولذلك يضيف ذلك إلى نفسه. وأما العذاب والعقوبة فإنما هو من مخلوقاته، ولذلك لا يتسمى بالمعاقب والمعذِّب بل يفرق بينهما فيجعل ذلك من أوصافه وهذا من مفعولاته حتى في الآية الواحدة كقوله تعالى: ﴿ **نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ** ﴾ (الحجر: 49، 50) وقال تعالى: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (المائدة: 98)، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (الأعراف: 167) ومثلها في آخر الأنعام، فما كان من مقتضى أسمائه وصفاته فإنه يدوم بدوامها، ولاسيما إذا كان محبوباً له وهو غايةٌ مطلوبةٌ في نفسها. وأما الشر الذي هو العذاب فلا يدخل في أسمائه وصفاته، وإن دخل في مفعولاته لحكمة إذا حصلت زال وفني بخلاف الخير، فإنه سبحانه دائم المعروف لا ينقطع معروفه أبداً وهو قديم الإحسان أبدي الإحسان، فلم يزل ولا يزال محسناً على الدوام. وليس من موجب أسمائه وصفاته أنه لا يزال معاقباً على الدوام غضبان على الدوام منتقماً على الدوام، فتأمل هذا الوجه تأمل فقيه في باب أسماء الله وصفاته، يفتح لك باباً من أبواب معرفته ومحبته.

يوضحه: الوجه الثالث عشر: وهو قول أعلم خلقه به، وأعرفهم بأسمائه وصفاته: «والشر ليس إليك» ولم يقف على المعنى المقصود من قال الشر لا يتقرب به إليك، بل الشر لا يضاف إليه سبحانه بوجه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه، فإن ذاته لها الكمال المطلق من جميع الوجوه، وصفاته كلها صفات كمال يحمد عليها ويثنى عليه بها، وأفعاله كلها خير ورحمة وعدل، وحكمه لا شر فيها بوجه ما، وأسماؤه كلها حسنى، فكيف يضاف الشر إليه، بل الشر في مفعولاته ومخلوقاته وهو منفَصل عنه، إذ فعله غير مفعوله ففعله خير كله، وأما المخلوق المفعول ففيه الخير والشر.

وإذ كان الشر مخلوقاً منفصلاً غير قائم بالرب سبحانه فهو لا يضاف إليه، وهو ﷺ لم يقل: أنت لا تخلق الشر حتى يطلب تأويل قوله، وإنما نفى إضافته إليه وصفاً وفعلاً واسماً، وإذا عرف هذا فالشر ليس إلا الذنوب وموجباتها.

وأما الخير: فهو الإيمان والطاعات وموجباتها، والإيمان والطاعات متعلقة به سبحانه، ولأجلها خلق خلقه وأرسل رسله وأنزل كتبه، وهي ثناء على الرب وإجلاله وتعظيمه وعبوديته، وهذه لها آثار يطلبها ويقتضيها فتدوم آثارها بدوام متعلقها.

وأما الشرور: فليست مقصودة لذاتها، ولا هي الغاية التي خلق لها الخلق، فهي مفعولات قدرت لأمر محبوب، وجعلت وسيلة إليه، فإذا حصل ما قُدِّرت له اضمحلت وتلاشت وعاد الأمر إلى الخير المحض.

الوجه الرابع عشر: أنه سبحانه قد أخبر أن رحمته وسعت كل شيء. فليس شيء من الأشياء إلا وفيه رحمته، ولا ينافي هذا أن يرحم العبد بما يشق عليه ويؤلمه وتشتد كراهته له، فإن ذلك من رحمته أيضا كما تقدم.

وقد ذكرنا حديث أبي هريرة آنفاً وقوله تعالى لذينك الرجلين: «**رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما في النار**»، وقد جاء في بعض الآثار أن العبد إذا دعا لمبتلى قد اشتد بلاؤه وقال: اللهم ارحمه، يقول الرب تبارك عز وجل: كيف أرحمه من شيء به أرحمه. فالابتلاء رحمة منه لعباده. وفي أثر إلهي يقول الله تعالى: «أهل ذكرى أهل مجالستي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل شكري أهل زيادتي، وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب»: فالبلاء والعقوبة أدوية قدرت لإزالة أدواء لا تزول إلا بها، والنار هي الدواء الأكبر، فمَنْ تداوى في الدنيا أشفاه ذلك عن الدواء في الآخرة، وإلا فلابد له من الدواء بحسب دائه، ومن عرف الرب تبارك وتعالى بصفات جلاله ونعوت كماله: من حكمته ورحمته وبره وإحسانه وغناه وجوده، ومحبته إلى عباده وإرادة الإنعام عليهم، وسبق رحمته لهم، لم يبادر إلى إنكار ذلك إن لم يبادر إلى قبوله.

يوضحه الوجه الخامس عشر: أن أفعاله سبحانه لا تخرج عن الحكمة والرحمة والمصلحة والعدل، فلا يفعل عبثاً ولا جوراً ولا باطلاً بل هو المنزه عن ذلك كما تنزه عن سائر العيوب والنقائص. وإذا ثبت ذلك فتعذيبهم إن كان رحمة بهم حتى يزول ذلك الخبث وتكمل الطهارة فظاهر، وإن كان لحكمة فإذا حصلت تلك الحكمة المطلوبة زال العذاب وليس في الحكمة دوام العذاب أبد الآباد، بحيث يكون دائماً بدوام الرب تبارك وتعالى، وإن كان لمصلحة فإن كان يرجع إليهم، فليست مصلحتهم في بقائهم في العذاب كذلك. وإن كانت المصلحة تعود إلى أوليائه، فإن ذلك أكمل في نعيمهم، فهذا لا يقتضي تأبيد العذاب. وليس نعيم أوليائه وكماله موقوفاً على بقاء آبائهم وأبنائهم وأزواجهم في العذاب السرمد.

فإن قلتم: إن ذلك هو موجب الرحمة والحكمة والخلد والمصلحة قلتم ما لا يعقل، وإن قلتم إن ذلك عائد إلى محض المشيئة ولا يطلب له حكمة ولا غاية فجوابه من وجهين:

أحدهما: أن ذلك محال على أحكم الحاكمين وأعلم العالمين أن تكون أفعاله معطلة عن الحكم والمصالح والغايات المحمودة، والقرآن والسنة وأدلة العقول والفطر والآيات المشهودة شاهدة ببطلان ذلك.

والثاني: أنه لو كان الأمر كذلك لكان إبقاؤهم فى العذاب وانقطاعه عنهم بالنسبة إلى مشيئته سواء، ولم يكن فى انقضائه ما ينافى كماله، وهو سبحانه لم يخبر بأبدية العذاب وأنه لا نهاية له. وغاية الأمر على هذا التقدير: أن يكون من الجائزات الممكنات الموقوف حكمها على خبر الصادق.

فإن سلكت طريق التعليل بالحكمة والرحمة والمصلحة لم يقتض الدوام، وإن سلكت طريق المشيئة المحضة التى لا تعلل لم تقتضه أيضاً.

وإن وقف الأمر على مجرد السمع فليس فيه ما يقتضيه.

الوجه السادس عشر: أن رحمته سبحانه سبقت غضبه فى المعذبين فإنه أنشأهم برحمته، وغذاهم برحمته ورزقهم وعافاهم برحمته، وأرسل إليهم الرسل برحمته ـ وأسباب النقمة والعذاب متأخرة عن أسباب الرحمة طارئة عليها ـ فرحمته سبقت غضبه فيهم وخلقهم على خلقة، تكون رحمته إليهم أقرب من غضبه وعقوبته.

ولهذا ترى أطفال الكفار قد ألقى عليهم رحمته، فمن رآهم رحمهم، ولهذا نهى عن قتلهم فرحمته سبقت غضبه فيهم، فكانت هى السابقة إليهم ففى كل حال هم فى رحمته فى حال معافاتهم وابتلائهم.

وإذا كانت الرحمة هى السابقة فيهم لم يبطل أثرها بالكلية، وإن عارضها أثر الغضب والسخط فذلك لسبب منهم،وأما أثر الرحمة فسببه منه سبحانه فما منه يقتضى رحمتهم، وما منهم يقتضى عقوبتهم، والذى منه سابق وغالب، وإذا كانت رحمته تغلب غضبه فلأن يغلب أثر الرحمة أثر الغضب أولى وأحرى.

الوجه السابع عشر: أنه سبحانه يخبر عن العذاب أنه عذاب يوم مقيم، وعذاب يوم عظيم، وعذاب يوم أليم، ولا يخبر عن النعيم أنه نعيم يوم ولا فى موضع واحد.

وقد ثبت فى الصحيح: تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة، والمعذبون متفاوتون فى مدة لبثهم فى العذاب بحسب جرائمهم. والله سبحانه جعل العذاب على ما كان من الدنيا وأسبابها، ما أريد به الدنيا ولم يرد به وجه الله فالعذاب على ذلك.

وأما ما كان للآخرة وأريد به وجه الله فلا عذاب عليه، والدنيا قد جعل لها أجل تنتهى إليه فما انتقل منها إلى تلك الدار مما ليس لله فهو المعذب به.

وأما ما أريد به وجه الله والدار الآخرة فقد أريد به ما لا يفنى ولا يزول فيدوم بدوام المراد به، فإن الغاية المطلوبة إذا كانت دائمة لا تزول لم يزل ما تعلق بها بخلاف الغاية المضمحلة الفانية، فما أريد به غير الله يضمحل ويزول بزوال مراده ومطلوبه، وما أريد به وجه الله يبقى ببقاء المطلوب المراد، فإذا اضمحلت الدنيا وانقطعت أسبابها وانتقل ما كان فيها لغير الله من الأعمال والذوات وانقلب عذاباً وآلاماً لم يكن له متعلق يدوم بدوامه بخلاف النعيم.

الوجه الثامن عشر: أنه ليس فى حكمة أحكم الحاكمين أن يخلق خلقاً يعذبهم أبد الآباد عذاباً سرمداً لا نهاية له ولا انقطاع أبداً، وقد دلت الأدلة السمعية والعقلية والفطرية على أنه سبحانه حكيم، وأنه أحكم الحاكمين فإذا عذَّب خلقه عذبهم بحكمة كما يوجب التعذيب والعقوبة فى الدنيا فى شرعه وقدره، فإن فيه من الحكم والمصالح وتطهير العبد ومداواته وإخراج المواد الردية عنه بتلك الآلام ما تشهده العقول الصحيحة، وفى ذلك من تزكية النفوس وصلاحها وزجرها وردع نظائرها وتوقيفها على فقرها وضرورتها إلى ربها وغير ذلك من الحكم والغايات الحميدة ما لا يعلمه إلا الله.

ولا ريب أن الجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب، ولهذا يحبسون إذا قطعوا الصراط على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة.

ومعلوم أن النفوس الشريرة الخبيثة المظلمة -التى لو ردت إلى الدنيا قبل العذاب لعادت لما نهيت عنه- لا تصلح أن تسكن دار السلام فى جوار رب العالمين، فإذا عذبوا بالنار عذاباً يخلص

نفوسهم من ذلك الخبث والوسخ والدرن، كان ذلك من حكمة أحكم الحاكمين ورحمته، ولا ينافى الحكمة خلق النفوس فيها شر يزول بالبلاء الطويل والنار، كما يزول بها خبث الذهب والفضة والحديد. فهذا معقول فى الحكمة، وهو من لوازم العالم المخلوق على هذه الصفة.

وأما خلق نفوس لا يزول شرها أبداً وعذابها لا انتهاء له، فلا يظهر فى الحكمة والرحمة. وفى وجود مثل هذا النوع نزاع بين العقلاء، أعنى ذواتاً، وهى شر من كل وجه ليس فيها شىء من خير أصلاً.

وعلى تقدير دخوله فى الوجود، فالرب تبارك وتعالى قادر على قلب الأعيان وإحالتها وإحالة صفاتها.

فإذا وُجدت الحكمة المطلوبة من خلق هذه النفوس والحكمة المطلوبة من تعذيبها، فالله سبحانه قادر أن ينشئها نشأة أخرى غير تلك النشأة، ويرحمها فى النشأة الثانية نوعاً آخر من الرحمة.

ويوضحه الوجه التاسع عشر: وهو أنه قد ثبت أن الله سبحانه ينشئ للجنة خلقاً آخر، يسكنهم إياها، ولم يعملوا خيراً تكون الجنة جزاء لهم عليه، فإذا أخذ العذاب من هذه النفوس مأخذه وبلغت العقوبة مبلغها فانكسرت تلك النفوس وخضعت وذلت واعترفت لربها وفاطرها بالحمد، وأنه عدل فيها كل العدل، وأنها فى هذه الحال كانت فى تخفيف منه ولو شاء أن يكون عذابها أشد من ذلك لفعل. وشاء كتب العقوبة طلباً لموافقة رضاه ومحبته، وعلم أن العذاب أولى بها، وأنه لا يليق بها سواه ولا تصلح إلا له فذابت منها تلك الخبائث كلها وتلاشت، وتبدلت بذلٍّ وانكسار وحمد وثناء على الرب تبارك وتعالى، ولم يكن فى حكمته أن يستمر بها فى العذاب بعد ذلك، إذ قد تبدل شرها بخيرها، وشركها بتوحيدها وكبرها بخضوعها وذلها.

ولا ينتقض هذا بقوله عز وجل: ﴿ **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه** ﴾ فإن هذا قبل مباشرة العذاب الذى يزيل تلك الخبائث، وإنما هو عند المعاينة قبل الدخول فإنه سبحانه وتعالى قال: ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾ (الأنعام: 27، 28) فهذا إنما قالوه قبل أن يستخرج العذاب منهم تلك الخبائث، فأما إذا لبثوا فى العذاب أحقاباً، والحقب كما رواه

الطبرانى فى معجمه من حديث أبى أمامة رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**الحقب خمسون ألف سنة**»(1) فإنه من الممتنع أن يبقى ذلك الكبر والشرك والخبث بعد هذه المدد المتطاولة فى العذاب.

الوجه العشرون: أنه قد ثبت فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى فى حديث الشفاعة: «فيقول الله عز وجل: **شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة، يقال له: نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل. فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه**».

فهؤلاء أحرقتهم النار جميعهم فلم يبق فى بدن أحدهم موضع لم تمسه النار، بحيث صاروا حمماً ـ وهو الفحم المحترق بالنار ـ فظاهر السياق أنه لم يكن فى قلوبهم مثقال ذرة من خير، فإن لفظ الحديث هكذا: «فيقول: ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيراً، فيقول الله عز وجل: **شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض الله قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط**». فهذا السياق يدل على أن هؤلاء لم يكن فى قلوبهم مثقال ذرة من خير، ومع هذا فأخرجتهم الرحمة. ومن هذا رحمته سبحانه للذى أوصى أهله أن يحرقوه بالنار ويذروه فى البر والبحر زعماً منه بأنه يفوت الله سبحانه، فهذا قد شك فى المعاد والقدرة ولم يعمل خيراً قط.

ومع هذا فقال له: ما حملك على ما صنعت ؟ قال: خشيتك وأنت أعلم، فما تلافاه أن رحمه الله، فلله سبحانه فى خلقه حكم لا تبلغها عقول البشر.

وقد ثبت فى حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل: أخرجوا من النار من ذكرنى يوماً أو خافنى فى مقام**»(2) قالوا: ومن ذا الذى فى مدة عمره كلها من أولها إلى آخرها لم يذكر ربه يوماً واحداً ولا خافه ساعة واحدة، ولا ريب أن رحمته سبحانه إذا

---

(1) أخرج الطبرانى فى «الكبير» (7957) (8/ 244) عن أبى أمامة: قال رسول الله ﷺ: «﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ الحقب الواحد ثلاثون ألف سنة».

(2) صحيح: أخرجه البخارى (6560)، ومسلم (183)، وأحمد (12060)، ومستدرك الحاكم (4/ 626)، (8736).

أخرجت من النار من ذكره وقتاً ما وخافه في مقام ما، فغير بدع أن تفنى النار، ولكن هؤلاء خرجوا منها وهي نار.

الوجه الحادي والعشرون: إن اعتراف العبد بذنبه حقيقة الاعتراف المتضمن لنسبة السوء والظلم واللوم إليه من كل وجه ونسبة العدل والحمد والرحمة والكمال المطلق إلى ربه من كل وجه، يستعطف ربه تبارك وتعالى عليه، ويستدعي رحمته له.

وإذا أراد أن يرحم عبده ألقى ذلك في قلبه، ولاسيما إذا اقترن بذلك جزم العبد على ترك المعاودة لما يُسخِط ربه عليه، وعلم الله أن ذلك داخل قلبه وسويدائه، فإنه لا تتخلف عنه الرحمة مع ذلك.

وفي معجم الطبراني من حديث يزيد بن سنان الرهاوي عن سليم بن عامر عن أبي أمامة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن آخر رجل يدخل الجنة رجل يتقلب على الصراط ظهراً لبطن، كالغلام يضربه أبوه وهو يفر منه، يعجز عنه عمله أن يسعى فيقول: يا رب بلغ بي الجنة ونجني من النار، فيوحي الله تبارك وتعالى إليه: عبدي إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لي بذنوبك وخطاياك ؟ فيقول العبد: نعم يا رب، وعزتك وجلالك إن نجيتني من النار لأعترفن لك بذنوبي وخطاياي فيجوز الجسر. ويقول العبد فيما بينه وبين نفسه: لئن اعترفت له بذنوبي وخطاياي ليردني إلى النار، فيوحي الله إليه: عبدي اعترف لي بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة. فيقول العبد: لا وعزتك وجلالك، ما أذنبت ذنباً قط ولا أخطأت خطيئة قط فيوحي الله إليه: عبدي إن لي عليك بينة، فيلتفت العبد يميناً وشمالاً فلا يرى أحداً، فيقول: يارب أرني بينتك. فيستنطق الله تعالى جلده بالمحقرات، فإذا رأى ذلك العبد يقول: يا رب عندي وعزتك العظائم، فيوحي الله إليه عبدي أنا أعرف بها منك اعترف لي بها أغفرها لك وأدخلك الجنة، فيعترف العبد بذنوبه فيدخل الجنة.** ثم ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه يقول: **هذا أدنى أهل الجنة منزلة فكيف بالذي فوقه ؟**». (1)

فالرب تعالى يريد من عبده الاعتراف والانكسار بين يديه والخضوع والذلة له والعزم على مرضاته. فما دام أهل النار فاقدين لهذا الروح فَهُمْ فاقدون لروح الرحمة، فإذا أراد عز وجل أن

---

(1) أخرجه الطبراني في «الكبير» (8/ 158) (7669).

يرحمهم أو من شاء منهم جعل فى قلبه ذلك فتدركه الرحمة، وقدرة الرب تبارك وتعالى غير قاصرة على ذلك، وليس فيه ما يناقض موجب أسمائه وصفاته، وقد أخبر أنه فعال لما يريد.

الوجه الثانى والعشرون: أنه سبحانه قد أوجب الخلود على معاص من الكبائر وقيده بالتأبيد ولم يناف ذلك انقطاعه وانتهاءه، فمنها: قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾(النساء: 93).

ومنها: قوله ﷺ: «**من قتل نفسه بحديدة، فحديدته فى يده يتوجأ بها فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً**»[1] وهو حديث صحيح.

وكذلك قوله فى الحديث الآخر فى قاتل نفسه: «**فيقول الله تبارك وتعالى بادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة**»[2] وأبلغ من هذا قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**﴾(الجن: 23) فهذا وعيد مقيد بالخلود والتأبيد، مع انقطاعه قطعاً بسبب من العبد وهو التوحيد، فكذلك الوعيد العام لأهل النار لا يمتنع انقطاعه، بسبب ممن كتب على نفسه الرحمة وغلبت رحمته غضبه. فلو يعلم الكافر بكل ما عنده من الرحمة لما يئس من رحمته، كما فى صحيح البخارى عنه ﷺ: «**خلق الله الرحمة يوم خلقها مائة رحمة**»، وقال فى آخره: «**فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لما أيس من الجنة، ولو يعلم المسلم بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار**». [3]

الوجه الثالث والعشرون: أنه لو جاء الخبر منه سبحانه صريحاً بأن عذاب النار لا انتهاء له، وأنه أبدىّ لا ينقطع، لكان ذلك وعيداً منه سبحانه، والله تعالى لا يخلف وعده. وأما الوعيد فمذهب أهل السنة كلهم أن إخلافه عفو وكرم وتجاوز يُمدح الرب تبارك وتعالى به ويُثنى عليه به، فإنه حق له إن شاء تركه وإن شاء استوفاه، والكريم لا يستوفى حقه فكيف بأكرم الأكرمين؟!

وقد صرح سبحانه فى كتابه فى غير موضع بأنه لا يخلف وعده، ولم يقل فى موضع واحد لا يخلف وعيده.

---

(1) صحيح : أخرجه البخارى (5778)، ومسلم (109).
(2) صحيح : أخرجه البخارى (3463).
(3) صحيح : أخرجه البخارى (6469) عن أبى هريرة.

وقد روى أبو يعلى الموصلي: ثنا هدبة بن خالد، ثنا سهيل بن أبي حزم، ثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه، ومن أوعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار**». (1)

وقال أبو الشيخ الأصبهاني: حدثنا محمد بن حمزة، حدثنا أحمد بن الخليل، حدثنا الأصمعي قال: جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو ابن العلاء فقال: يا أبا عمرو، أيخلف الله ما وعده؟ قال: لا، قال: أفرأيت من أوعده الله على عمله عقاباً أيخلف الله وعده فيه؟ فقال أبو عمرو ابن العلاء: من العجمة أُتيت يا أبا عثمان إن الوعد غير الوعيد، إن العرب لا تعد عاراً ولا خلفاً أن تَعد شراً، ثم لا تفعله، ترى ذلك كرماً وفضلاً، وإنما الخلف أن تَعد خيراً ثم لا تفعله، قال: فأَوجدني هذا في كلام العرب، قال: نعم، أما سمعت إلى قول الأول:

وَلا يَرْهَبُ ابنُ العَمِّ ما عِشْتُ سَطْوَتي ... ولا أختشي من سطوة المتَهَدِّدِ

وإني وإنْ أوعدتُه أو وَعَدتُه ... لمخلف إيعَادي ومنجز مَوعدي

قال أبو الشيخ وقال يحيى بن معاذ: الوعد والوعيد حق، فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا، ومن أولى بالوفاء من الله، والوعيد حقه على العباد قال: لا تفعلوا كذا فأعذبكم، ففعلوا فإن شاء عفا، وإن شاء أخذ، لأنه حقه، وأولاهما بربنا تبارك وتعالى العفو والكرم وأنه غفور رحيم. ومما يدل على ذلك ويؤيده خبر كعب بن زهير حين أوعده رسول الله ﷺ فقال:

نُبِّئْتُ أنَّ رسولَ الله أوعدَني ... والعَفوُ عند رسُول الله مأمُولُ

فإذا كان هذا في وعيد مطلق، فكيف بوعيد مقرون باستثناء معقب بقوله: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾ وهذا إخبار منه أن يفعل ما يريد عقيب قوله ﴿**إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾ فهو عائد إليه ولابد، ولا يجوز أن يرجع إلى المستثنى منه وحده، بل إما أن يختص بالمستثنى أو يعود إليهما، وغير خاف أن تعلقه بقوله: ﴿**إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾ أولى من تعلقه بقوله: ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا**﴾ وذلك ظاهر للمتأملَ وهو الذي فهمه الصحابة، فقالوا: أتت هذه الآية على كل وعيد في القرآن، ولم يريدوا بذلك الاستثناء وحده، فإن الاستثناء مذكور في الأنعام أيضاً، وإنما أرادوا أنه عقّب الاستثناء بقوله:

---

(1) أخرجه أبو يعلى (3316).

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾فأخبر أن عذابهم فى جميع الأوقات، ورَفْعه عنهم فى وقت يشاؤه صادر عن كمال علمه وحكمته، لا عن مشيئة مجردة عن الحكمة والمصلحة والرحمة والعدل، إذ يستحيل تجرد مشيئته عن ذلك.

الوجه الرابع والعشرون: أن جانب الرحمة أغلب فى هذه الدار الباطلة الفانية الزائلة عن قرب من جانب العقوبة والغضب، ولولا ذلك لما عمرت ولا قام لها وجود، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ﴾(النحل: 61)، وقال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾(فاطر: 45)، فلولا سعة رحمته ومغفرته وعفوه لما قام العالم، ومع هذا فالذى أظهره من الرحمة فى هذه الدار وأنزله بين الخلائق جزء من مائة جزء من الرحمة، فإذا كان جانب الرحمة قد غلب فى هذه الدار ونالت البَر والفاجر والمؤمن والكافر، مع قيام مقتضى العقوبة به ومباشرته له وتمكنه من إغضاب ربه والسعى فى مساخطته، فكيف لا يغلب جانب الرحمة فى دار تكون الرحمة فيها مضاعفة، على ما فى هذه الدار تسعاً وتسعين ضعفاً ؟ وقد أخذ العذاب من الكفار مأخذه، وانكسرت تلك النفوسُ وأنهكها العذاب، وأذاب منها خبثاً وشراً لم يكن يحول بينها وبين رحمته لها فى الدنيا، بل كان يرحمها مع قيام مقتضى العقوبة والغضب بها، فكيف إذا زال مقتضى الغضب والعقوبة، وقوى جانب الرحمة أضعاف أضعاف الرحمة فى هذه الدار، واضمحل الشر والخبث الذى فيها فأذابته النار وأكلته؟

وسر الأمر أن أسماء الرحمة والإحسان أغلب وأكثر وأظهر من أسماء الانتقام. وفعل الرحمة أكثر من فعل الانتقام، وظهور آثار الرحمة أعظم من ظهور آثار الانتقام، والرحمة أحب إليه من الانتقام. وبالرحمة خلق خلقه ولها خلقهم، وهى التى سبقت غضبه وغلبته، وكتبها على نفسه، ووسعت كل شىء، وما خلق بها فمطلوب لذاته، وما خلق بالغضب فمراد لغيره، كما تقدم تقرير ذلك. والعقوبة تأديب وتطهير، والرحمة إحسان وكرم وجود. والعقوبة مداواة، والرحمة عطاء وبذل.

الوجه الخامس والعشرون: أنه سبحانه لابد أن يظهر لخلقه جميعهم يوم القيامة صدقه وصدق رسله، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين المفترين، ويظهر لهم حكمه الذى هو أعدل حكم فى أعدائه، وأنه حكم فيهم حكماً يحمدونه عليه فضلاً عن أوليائه وملائكته ورسله بحيث ينطق الكون كله بالحمد لله رب العالمين، ولذلك قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الزمر:75) فحذف فاعل القول لإرادة الإطلاق وأن ذلك جار على لسان كل ناطق وقلبه. قال الحسن: لقد دخلوا النار، وإن قلوبهم لممتلئة من حمده ما وجدوا عليه سبيلاً. وهذا هو الذى حسن حذف الفاعل من قوله: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (الزمر: 72) حتى كان الكون كله قائل ذلك لهم، إذ هو حكمه العدل فيهم ومقتضى حكمته وحمده.

وأما أهل الجنة فقال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر:73) فهم لم يستحقوها بأعمالهم، وإنما استحقوها بعفوه ورحمته وفضله، فإذا أشهد سبحانه ملائكته وخلقه كلهم حكمه العدل وحكمته الباهرة، ووضعه العقوبة حيث تشهد العقول والفطر والخليقة أنه أولى المواضع وأحقها بها، وأن ذلك من كمال حمده الذى هو مقتضى أسمائه وصفاته، وأن هذه النفوس الخبيثة الظالمة الفاجرة لا يليق بها غير ذلك ولا يحسن بها سواه، بحيث تعترف هى من ذواتها بأنها أهل ذلك، وأنها أولى به، حصلت الحكمة التى لأجلها وجد الشر وموجباته فى هذه الدار وتلك الدار.

وليس فى الحكمة الإلهية أن الشرور تبقى دائماً لا نهاية لها ولا انقطاع أبداً، فتكون هى والخيرات فى ذلك على حد سواء، فهذه نهاية أقدام الفريقين فى هذه المسألة، ولعلك لا تظفر به فى غير هذا الكتاب.

فإن قيل: فإلى أين انتهى قدمكم فى هذه المسألة العظيمة الشأن، التى هى أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة ؟

قيل: إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (هود: 107) وإلى هذا انتهى قدم أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب ﷺ فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء، وقال: ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

بل وإلى ههنا انتهت أقدام الخلائق وما ذكرنا فى هذه المسألة، بل فى الكتاب كله من صواب فمن الله سبحانه، وهو المانُّ به، وما كان من خطأ فمنى ومن الشيطان، والله ورسوله برىء منه، وهو عند لسان كل قائل وقلبه وقصده. والله أعلم.

الباب الثامن والستون
فى ذكر آخر أهل الجنة دخولاً إليها

فى الصحيحين من حديث منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنى لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا، فيقول: أتسخر بى أو تضحك بى وأنت الملك؟** قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه قال: **فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة**». (1)

وفى صحيح مسلم من حديث الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنى لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها، رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيقول: نعم. لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه. فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا،** فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه». (2)

وقال الطبرانى: حدثنا عبد الله بن سعد بن يحيى الرقى، حدثنا أبو فروة يزيد بن محمد بن سنان الرهاوى قال: حدثنى أبى عن أبيه قال: حدثنى أبو يحيى الكلاعى عن أبى أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن آخر رجل يدخل الجنة رجل يتقلب على الصراط ظهراً لبطن كالغلام يضربه أبوه وهو يفر منه يعجز عنه عمله أن يسعى فيقول: يا رب بلغ بى الجنة ونجنى من النار، فيوحى الله تبارك وتعالى إليه: عبدى إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لى بذنوبك وخطاياك؟ فيقول العبد: نعم يا رب وعزتك وجلالك لئن نجيتنى من النار لأعترفن لك بذنوبى وخطاياى، فيجوز الجسر ويقول العبد فيما بينه وبين نفسه: لئن اعترفت له بذنوبى وخطاياى ليردنى إلى النار، فيوحى الله إليه عبدى: اعترف لى بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة.**

---

(1) صحيح: أخرجه البخاري (6571) الرقاق، ومسلم (186) الإيمان، عن عبد الله بن مسعود.
(2) صحيح: أخرجه مسلم (190) الإيمان.

فيقول العبد: لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنباً قط ولا أخطأت خطيئة قط فيوحى اللّه إليه: عبدى إن لى عليك بينة فيلتفت العبد يميناً وشمالاً فلا يرى أحداً، فيقول: يا رب أرنى بينتك فيستنطق اللّه جلده بالمحقرات، فإذا رأى ذلك العبد يقول: يا رب عندى وعزتك العظائم. فيوحى اللّه إليه: عبدى أنا أعرف بها منك اعترف لى بها أغفرها لك وأدخلك الجنة، فيعترف العبد بذنوبه فيدخل الجنة. ثم ضحك رسول اللّه ﷺ حتى بدت نواجذه يقول: **هذا أدنى أهل الجنة منزلة فكيف بالذى فوقه؟».**

ورواه ابن أبى شيبة عن هاشم بن القاسم: ثنا أبو عقيل عبد اللّه بن عقيل الثقفى عن يزيد بن سنان به.

وفى صحيح مسلم عن عبد اللّه بن مسعود رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال:

«آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذى نجانى منك، لقد أعطانى اللّه شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة فيقول: أى رب أدننى من هذه الشجرة أستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول اللّه تبارك وتعالى: يا ابن آدم لعلى إن أعطيتكها سألتنى غيرها، فيقول: لا يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم يرفع له شجرة هى أحسن من الأولى، فيقول: يا رب أدننى من هذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها؟ فيقول: لعلى إن أدنيتك منها أن تسألنى غيرها، فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هى أحسن من الأوليين، فيقول: أى رب أدننى من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها؟ قال: بلى يا رب، هذه لا أسألك غيرها وربه يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول: يا رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يرضيك منى، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب أتستهزىء منى وأنت رب العالمين؟ فضحك ابن مسعود. فقال: ألا تسألوننى مم أضحك؟ قالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول اللّه ﷺ فقالوا: مم تضحك يا رسول اللّه؟ **قال: من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ بى وأنت رب العالمين، فيقول: لا أستهزئ بك ولكنى على ما أشاء قادر».** (١)

(١) صحيح: أخرجه مسلم (187) الإيمان، وأحمد (3889).

وفى صحيح البرقانى من حديث أبى سعيد الخدرى نحو هذه القصة، ونحن نسوقه بتمامه من عنده ـ وهو بإسناد مسلم سواء ـ قال:

قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل النار عذاباً منتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه، وإن أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة، ومثل له شجرة ذات ظل، فقال: أى رب قدمنى إلى هذه الشجرة لأكون فى ظلها، فقال الله عز وجل: هل عسيتَ إن فعلتُ أن تسألنى غيرها، قال: لا وعزتك فقدمه الله إليها ومثّل له شجرة ذات ظلٍ وثمرٍ أخرى، فقال: أى رب قدمنى إلى هذه الشجرة أستظل بظلها وآكل من ثمرها، قال: فقال هل عسيتَ إن أعطيتُك ذلك أن تسألنى غيره، قال: لا وعزتك فيقدمه الله إليها فيمثّل له شجرة أخرى ذات ظلٍ وثمرٍ وماء، فيقول: أى رب قدمنى إلى هذه الشجرة فأكون فى ظلها وآكل من ثمرها وأشرب من مائها، فيقول: هل عسيتَ إن فعلتُ ذلك أن تسألنى غيره، فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره فيقدمه الله إليها فتبرز له الجنة، فيقول: أى رب قدمنى إلى باب الجنة فأكون نجاف الجنة ـ وفى رواية: تحت نجاف الجنة ـ أنظر إلى أهلها، فيقدمه الله إليها فيرى أهل الجنة وما فيها، فيقول: أى رب أدخلنى الجنة فيدخله الجنة، فإذا أدخل الجنة، قال: هذا لى، فيقول الله له: تمن، قال فيتمنى ويذكّره الله سل كذا وكذا، فإذا انقطعت به الأمانى، قال الله: هو لك وعشرة أمثاله، قال: ثم يدخل بيته فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين، فيقولان: الحمد لله الذى أحياك لنا وأحيانا لك. فيقول: ما أعطى أحد مثل ما أعطيت». (1)

وفى صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «سأل موسى ربه مَنْ أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: هو رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أى رب كيف، وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب. فيقال: ذلك لك ومثله ومثله ومثله ومثله، فيقول فى الخامسة: رضيت رب، فيقول: لك هذا وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب، قال: فأعلاهم منزلة؟ قال: ذلك الذى أردت غرست كرامتهم بيدى، وختمت عليها فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، ومصداقه فى كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (السجدة: 17). (2)

(1) صحيح : أخرجه مسلم (211) الإيمان، وأحمد (10832) وعند أحمد بهذا التمام دون مسلم.
(2) صحيح : أخرجه مسلم (189) الإيمان.

الباب التاسع والستون

وهو باب جامع فيه فصول منثورة لم تذكر فيما تقدم من الأبواب

فصل

في لسان أهل الجنة

قال ابن أبى الدنيا: حدثنا القاسم بن هاشم، حدثنا صفوان بن صالح، حدثنى رواد بن الجراح العسقلانى، حدثنا الأوزاعى عن هارون بن رئاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك، وعلى حسن يوسف، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة، وعلى لسان محمد جرد مرد مكحلون**».

وروى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: لسان أهل الجنة عربى.(1)

وقال عقيل قال الزهرى: لسان أهل الجنة عربى.

فصل

فى احتجاج الجنة والنار

فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**احتجت النار والجنة فقالت هذه: يدخلنى الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه: يدخلنى الضعفاء والمساكين، فقال الله عز وجل لهذه: أنت عذابى أعذب بك من أشاء، وقال لهذه: أنت رحمتى أرحم بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها**». (2)

وفى رواية أخرى: «**تحاجت النار والجنة، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فما لى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم، فقال الله سبحانه للجنة: أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى. وقال للنار: أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع قدمه عليها فتقول**

---

(1) انظر: «صفة الجنة» لابن أبى الدنيا (213).

(2) صحيح: أخرجه مسلم (2846)، (2847).

قط قط فهنالك تمتلئ وينزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً». (1)

فصل

فى أن الجنة يبقى فيها فضل فينشئ الله لها خلقاً دون النار

فى الصحيحين عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط بعزتك وكرمك، ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً مما يشاء».

وأما اللفظ الذى وقع فى صحيح البخارى فى حديث أبى هريرة: «وأنه ينشئ للنار من يشاء فيلقى فيها فتقول هل من مزيد» فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظه، والروايات الصحيحة ونص القرآن يرده. فإن الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه وأنه لا يعذب إلا من قامت عليه حجته وكذب رسله قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ⑧ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ (الملك: 8، 9) ولا يظلم الله أحداً من خلقه.

فصل

فى امتناع النوم على أهل الجنة

روى ابن مردويه من حديث سفيان الثورى عن محمد بن المنكدر عن جابر ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون».

وذكر الطبرانى من حديث يحيى بن سعيد الأنصارى عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: «سئل نبى الله ﷺ فقيل: أينام أهل الجنة؟ فقال: النبى ﷺ: النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون». (2)

---

(1) صحيح: أخرجه البخاري (4850) تفسير القرآن، ومسلم (2846) (2847)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(2) صحيح: أخرجه البخاري (6661) الإيمان والنذور، ومسلم (2848).

فصل

فى ارتقاء العبد وهو فى الجنة من درجة إلى درجة أعلى منها

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبى النجود عن أبى صالح عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول: يا رب أنى لى هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك**».

فصل

فى إلحاق ذرية المؤمن به فى الدرجة وإن لم يعملوا بعمله

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**﴾ (الطور: 21) وروى قيس عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه فى درجته، وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ قال ما نقصنا الآباء مما أعطينا النبيين**».

وذكر ابن مردويه فى تفسيره من حديث شريك عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال شريك: أظنه حكاه عن النبى ﷺ قال: «إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده، فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك أو عملك، فيقول: يا رب قد عملت لى ولهم فيؤمر بإلحاقهم به، ثم تلا ابن عباس: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ**﴾ إلى آخر الآية. وقد اختلف المفسرون فى الذرية فى هذه الآية هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان؟ على ثلاثة أقوال: واختلافهم مبنى على أن قوله ﴿**بِإِيمَانٍ**﴾ حال من الذرية التابعين أو المؤمنين المتبوعين.

فقالت طائفة: المعنى: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم فى إيمانهم فأتوا من الإيمان بمثل ما أتوا به ألحقناهم بهم فى الدرجات، قالوا: ويدل على هذا قراءة من قرأ: ﴿**وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم**﴾ فجعل الفعل فى الاتباع لهم، قالوا: وقد أطلق الله سبحانه الذرية على الكبار، كما قال: ﴿**وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ**﴾ (الأنعام: 84) وقال: ﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ**﴾ (الإسراء: 3) وقال: ﴿**وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ**﴾ (الأعراف: 173)، وهذا قول الكبار العقلاء.

قالوا: ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس يرفعه: «إن اللّه يرفع ذرية المؤمن إلى درجته، وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه» فهذا يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم، ولكن لم يكن لهم أعمال يبلغون بها درجة آبائهم فبلغهم إياها، وإن تقاصر عملهم عنها. قالوا: وأيضاً فالإيمان هو القول والعمل والنية، وهذا إنما يمكن من الكبار، وعلى هذا فيكون المعنى: أن الله سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه إذ هذا حقيقة التبعية، وإن كانوا دونه فى الإيمان رفعهم الله إلي درجته إقراراً لعينه، وتكميلاً لنعيمه، وهذا كما أن زوجات النبى ﷺ معه فى الدرجة تبعاً، وإن لم يبلغوا تلك الدرجة بأعمالهن.

وقالت طائفة أخرى: الذرية ههنا الصغار، والمعنى: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم فى إيمان الآباء والذرية تتبع الآباء وإن كانوا صغاراً فى الإيمان وأحكامه من الميراث والدية والصلاة عليهم والدفن فى قبور المسلمين وغير ذلك، إلا فيما كان من أحكام البالغين. ويكون قوله ﴿بِإِيمَانٍ﴾ على هذا فى موضع نصب على الحال من المفعولين، أى وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء.

قالوا: ويدل على صحة هذا القول أن التابعين لهم حكم أنفسهم فى الثواب والعقاب، فإنهم مستقلون بأنفسهم ليسوا تابعين الآباء فى شىء من أحكام الدنيا ولا أحكام الثواب والعقاب لاستقلالهم بأنفسهم، ولو كان المراد بالذرية البالغين، لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم فى درجة آبائهم، ويكون أولاد التابعين البالغون كلهم فى درجة آبائهم وهلم جراً إلى يوم القيامة، فيكون الآخرون فى درجة السابقين.

قالوا: ويدل عليه أيضاً أنه سبحانه جعلهم معهم تبعاً فى الدرجة كما جعلهم تبعاً معهم فى الإيمان، ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعاً بل إيمان استقلال، قالوا: ويدل عليه أن اللّه سبحانه جعل المنازل فى الجنة بحسب الأعمال فى حق المستقلين، وأما الأتباع فإن اللّه سبحانه يرفعهم إلى درجة أهليهم، وإن لم تكن لهم أعمالهم كما تقدم. وأيضاً فالحور العين والخدم فى درجة أهاليهم وإن لم يكن لهم عمل بخلاف المكلفين البالغين فإنهم يرفعون إلى حيث بلغتهم أعمالهم.

وقالت فرقة منهم الواحدى: الوجه أن تحمل الذرية على الصغار والكبار لأن الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه والصغير يتبع الأب بإيمان الأب. قالوا: والذرية تقع على الصغير والكبير

والواحد والكثير والابن والأب، كما قال تعالى: ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ (يس:41) أى آباءهم. والإيمان يقع على الإيمان التبعى وعلى الاختيارى الكسبى، فمن وقوعه على التبعى قوله: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ (النساء:92).

فلو أعتق صغيراً جاز. قالوا: وأقوال السلف تدل على هذا. قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: إن الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته، وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ هذه الآية، وقال ابن مسعود فى هذه الآية: الرجل يكون له القدم وتكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون إليه لتقر بهم عينه وإن لم يبلغوا ذلك. وقال أبو مجلز: يجمعهم الله له كما كان يحب أن يجتمعوا فى الدنيا، وقال الشعبى: أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة. وقال الكلبى عن ابن عباس: إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله الأبناء إلى الآباء، وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى الأبناء، وقال إبراهيم: أُعطوا مثل أجور آبائهم ولم يُنقص الآباء من أجورهم شيئاً، قال: ويدل على صحة هذا القول أن القراءتين كالآيتين فمن قرأ ﴿ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم ﴾ فهذا من حق البالغين الذين يصح نسبة الفعل إليهم، كما قال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ ﴾ (التوبة: 100) ومن قرأ: ﴿ وَاتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُم ﴾ فهذا فى حق الصغار الذين أتبعهم الله آباءهم فى الإيمان حكماً، فدلت القراءتان على النوعين.

قلت: واختصاص الذرية ههنا بالصغار أظهر لئلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات، ولا يلزم مثل هذا فى الصغار فإن أطفال كل رجل وذريته معه فى درجته. والله أعلم.

فصل

فى أن الجنة تتكلم

قد تقدم قوله ﷺ: «**احتجت الجنة والنار**»، وقوله: «**قالت الجنة: يا رب قد اطردت أنهارى، وطابت ثمارى فعجل علىَّ بأهلى**»، وقال إسماعيل بن أبى خالد عن سهل الطائى: «**أخبرت أن الله تعالى لما خلق الجنة قال لها: تزينى فتزينت، ثم قال لها: تكلمى فتكلمت فقالت: طوبى لمن رضيت عنه**» وقال قتادة: «**لما خلق الله الجنة قال لها: تكلمى، فقالت: طوبى للمتقين**».

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن علي، حدثنا هشام بن خالد، حدثنا بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم قال لها: تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون**».

فصل

في أن الجنة تزداد حسناً على الدوام

قال عبد الله بن أحمد: حدثنا خلف بن هشام، حدثنا خالد بن عبد الله عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن كعب قال: «**ما نظر الله إلى الجنة إلا قال: طيبي لأهلك فتزداد طيباً حتى يدخلها أهلها**».

فصل

في أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهن

كما تقدم حديث معاذ بن جبل في ذلك، وقول الحوراء لامرأته في الدنيا: «**لا تؤذيه فيوشك أن يفارقك إلينا**».

وحديث عكرمة عن النبي ﷺ في قول الحوراء «**اللهم أعنه على دينك وأقبل بقلبه على طاعتك**».

وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي سليمان الداراني قال: كان شاب بالعراق يتعبد فخرج مع رفيق له إلى مكة فكان إذا نزلوا فهو يصلي، وإن أكلوا فهو صائم، فصبر عليه رفيقه ذاهباً وجائياً، فلما أراد أن يفارقه قال له: يا أخي أخبرني ما الذي هيجك إلى ما رأيت؟ قال: رأيت في النوم قصراً من قصور الجنة، وإذا لبنة من فضة ولبنة ذهب، فلما تم البناء إذا شرفة من زبرجد وشرفة من ياقوت، وبينهما حوراء من حور العين مرخية شعرها، عليها ثوب من فضة يتثنى معها كلما تثنت، فقالت: جد إلى الله في طلبي، فقد والله جددت إليه في طلبها، فهذا الذي تراه في طلبها.

قال أبو سليمان: هذا في طلب حوراء، فكيف بمن قد طلب ما هو أكثر منها؟.

فصل

فى ذبح الموت بين الجنة والنار

قـال اللّه تعـالى:﴿ **وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ (مريم: 39) وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ : «**يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت قال: ثم يقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ رسول اللّه ﷺ ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾** » متفق عليه.

وفى الصحيحين أيضاً من حديث ابن عمر ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: «**يدخل الله أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت كلٌ خالد فيما هو فيه**».

وعنه قال: قال رسول اللّه ﷺ : «**إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وصار أهل النار إلى النار، أتى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادى مناد: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم**».

وعن أبى هريرة ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت ملبباً فيوقف على السور الذى بين أهل الجنة وأهل النار، ثم يقال: يا أهل الجنة فيطلعون خائفين، ثم يقال يا أهل النار فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة فيقال لأهل الجنة وأهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيقول هؤلاء وهؤلاء: قد عرفناه هو الموت، الذى وكل بنا، فيُضْجَع فيذبح ذبحاً على السور، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت**» رواه النسائى والترمذى، وقال حديث حسن صحيح. وهذا الكبش والإضجاع، والذبح، ومعاينة الفريقين ذلك حقيقةٌ لا

خيال ولا تمثيل، كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً، وقال: الموت عرض والعرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح، وهذا لا يصح فإن اللّه سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يذبح كما ينشئ من الأعمال صوراً معاينة يثاب بها ويعاقب، واللّه تعالى ينشئ من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها وينشئ من الأجسام أعراضاً، كما ينشئ سبحانه من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً. فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تعالى ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال ولا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح لملك الموت فهذا كله من الاستدراك الفاسد على اللّه ورسوله والتأويل الباطل الذى لا يوجبه عقل ولا نقل، وسببه قلة الفهم لمراد الرسول ﷺ من كلامه، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض يذبح. وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح، ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذى ذكرناه وأن اللّه سبحانه ينشئ من الأعراض أجساماً يجعلها مادة لها، كما فى الصحيح عنه ﷺ: «**تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان**» الحديث. فهذه هى القراءة ينشئها اللّه سبحانه غمامتين.

وكذلك قوله فى الحديث الآخر: «**إن ما تذكرون من جلال اللّه من تسبيحه وتحميده وتكبيره وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوى كدوى النحل يذكرن بصاحبهن**» ذكره أحمد.

وكذلك قوله فى حديث عذاب القبر ونعيمه للصورة التى يراها: «فيقول من أنت؟ **فيقول: أنا عملك الصالح وأنا عملك السيئ**» وهذا حقيقة لا خيال، ولكن اللّه سبحانه أنشأ له من عمله صورة حسنة وصورة قبيحة، وهل النور الذى يقسم بين المؤمنين يوم القيامة إلا نفس إيمانهم أنشأ اللّه سبحانه لهم منه نوراً يسعى بين أيديهم، فهذا أمر معقول لو لم يرد به النص، فورود النص به من باب تطابق السمع والعقل.

وقال سعيد عن قتادة: بلغنا أن نبى اللّه ﷺ قال: «**إن المؤمن إذا خرج من قبره صُوِّر له عمله فى صورة حسنة وبشارة حسنة فيقول له: من أنت؟ فواللّه إنى لأراك امرأ الصدق، فيقول له: أنا عملك، فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة. وأما الكافر إذا خرج من قبره صُوِّر له عمله فى**

صـورة سيئة وبشـارة سيئة فيقـول: ما أنـت فوالله إنى لأراك امرأ السـوء، فيقـول له: أنا عـملك فينطلق به حتى يدخله النار».

وقال مجاهد مثل ذلك.

وقال ابن جريـج: يمثل له عمله فى صورة حسنة وريح طيبة، فيعارض صاحبه ويبشره بكل خير، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك، فيجعل له نوراً بين يديه حتى يدخله الجنة، فذلك قوله: ﴿ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ (يونس: ٩). والكافر يُمثَّل له عمله فى صورة سيئة وريح منتنة فيلازم صاحبه ويلازّه حتى يقذفه فى النار.

وقال ابن المبارك: حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن أنه ذكر هذه الآية ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ (الصافات:58،59) قال: علموا أن كل نعيم بعده الموت أنه يقطعه، فقالوا: أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين؟ قيل: لا، قالوا: إن هذا لَهُـو الفوز العظيم. وكان يزيد الرقاشى يقول فى كـلامه: أمن أهل الجنة من الموت فطاب لهم العيش، وأمنوا من الأسقام فهناهم فى جوار الله طول المقام، ثم يبكى حتى تجرى دموعه على لحيته.

فصل

فى ارتفاع العبادات فى الجنة إلا عبادة الذكر فهى دائمة

روى مسلم فى صحيحه ـ من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ـ أن النبى ﷺ قال: «يأكل أهل الجنة فيها، ويشربون، ولا يتمخطون، ولا يتغوطون، ولا يبولون، ويكون طعامهم ذلك جشاء ورشحاً كرشح المسك، يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس».

وفى رواية «التسبيح والتكبير كما تلهمون» بالتاء المثناة من فوق، أى: تسبيحهم وتحميدهم يجرى مع الأنفاس كما تلهمون أنتم النفس.

فصل

فى تذاكر أهل الجنة ما كان بينهم فى دار الدنيا

قال الله تعالى: ﴿ **فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ** ﴾ (الصافات: 50، 51). وقد تقدم الكلام عليها، وقال تعالى: ﴿ **وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ** ﴾ (الطور: 25 ـ 28).

وذكر ابن أبى الدنيا من حديث الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس يرفعه: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة يشتاق بعضهم إلى بعض، فيسير سرير هذا إلى سرير هذا، وسرير هذا إلى سرير هذا، حتى يجتمعا جميعاً فيتكئ هذا ويتكئ هذا، فيقول أحدهما لصاحبه: تعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: نعم يوم كذا وكذا، فى موضع كذا وكذا، فدعونا الله فغفر لنا**».

وإذا تذكروا ما كان بينهم فتذاكُرُهم فيما كان يشكل عليهم فى الدنيا من مسائل العلم وفهم القرآن والسنة، وصحة الأحاديث أولى وأحرى، فإن المذاكرة فى الدنيا فى ذلك ألذ من الطعام والشراب والجماع، فتذاكر ذلك فى الجنة أعظم لذة، وهذه لذة يختص بها أهل العلم، ويتميزون بها على من عداهم، والله المستعان.

الباب السبعون

فى ذكر المستحق لهذه البشارة دون غيره

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ (البقرة: 25).

وقال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (يونس: 62 ـ 64).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: 30).

وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (الزمر: 17-18).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (التوبة: 20 ـ 22).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢) ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (الشورى: 22،23).

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ (يس: 11).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا﴾ (الأحزاب: 45 ـ 47).

وقال تعالى: ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: 169-171).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: 111).

وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: 155 ـ 157).

وقال تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الصف: 13).

وقال فى الجنة: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ، وقال: ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ (الحديد21)، وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾ (الكهف: 107).

وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (المؤمنون: 10-11).

وفى المسند وغيره أن النبى ﷺ قال: «قد أنزلت علىَّ عشرة آيات مَنْ أقامهن دخل الجنة ثم قرأ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ حتى ختم العشر آيات».

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: 35).

وقال تعالى: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة: 112).

وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ (مريم: 63).

وقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

(١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (آل عمران: 133 ـ 136).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الصف:10 ـ 13) إلى قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن:46) وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات:40،41).

وهذا فى القرآن كثير مداره على ثلاث قواعد: إيمان وتقوى وعمل خالص لله على موافقة السنة، وأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون مَنْ عداهم من سائر الخلق، وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها، وهى تجتمع فى أصلين: إخلاص فى طاعة الله وإحسان إلى خلقه. وضدها يجتمع فى الذين يراءون ويمنعون الماعون. ويرجع إلى خصلة واحدة وهى موافقة الرب سحبانه وتعالى فى محابه، ولا طريق إلى ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهراً وباطناً برسول الله ﷺ.

وأما الأعمال التى هى تفاصيل هذا الأصل فهى بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التى مرجعها إلى تصديق الرسول فى كل ما أخبر به وطاعته فى جميع ما أمر به إيجاباً واستحباباً، كالإيمان بأسماء الرب وصفاته وأفعاله من غير تحريف لها ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

كما قال الشافعى رحمه الله: الحمد لله الذى هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه، وكأنه أخذ هذا من قول النبى ﷺ: «**اللهم لك الحمد كالذى نقول وخيراً مما نقول**».

وقد ذكرنا فى أول الكتاب جملة مقالات أهل السنة والحديث التى أجمعوا عليها، كما حكاه الأشعرى عنهم، ونحن نحكى إجماعهم كما حكاه حرب صاحب الإمام أحمد عنهم بلفظه، فى مسائله المشهورة:

هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبى ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام

وغيرهم فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق.

قال: وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم بن مخلد وعبد اللّه بن الزبير الحميدى وسعيد ابن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم، فكان من قولهم: إن الإيمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة، والإيمان يزيد وينقص، ويستثنى منه فى الإيمان غير أن يكون الاستثناء شكاً، إنما هى سنة ماضية عند العلماء، فإذا سئل الرجل: أمؤمن أنت؟ فإنه يقول: أنا مؤمن إن شاء اللّه؟ أو مؤمن أرجو، أو يقول: آمنت باللّه وملائكته وكتبه ورسله.

ومن زعم أن الإيمان قول بلا عمل فهو مرجئ، ومن زعم أن الإيمان هو القول والأعمال شرائع فهو مرجئ. ومن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص فقد قال قول المرجئة، ومن لم ير الاستثناء فى الإيمان فهو مرجئ.

ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة فهو مرجئ. ومن زعم أن المعرفة تقع فى القلب وإن لم يتكلم بها فهو مرجئ، والقدر -خيره وشره، وقليله وكثيره، وظاهره وباطنه، وحلوه ومره، ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيئه، وأوله وآخره- من اللّه عز وجل قضاء قضاه على عباده، وقدر قدره عليهم لا يعدو أحد منهم مشيئة الله عز وجل ولا يجاوز قضاءه، بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له، واقعون فيما قدره عليهم، وهو عدل منه جل ربنا وعز.

والزنا والسرقة وشرب الخمر وقتل النفس وأكل المال الحرام والشرك والمعاصى، كلها بقضاء اللّه وقدر من الله من غير أن يكون لأحد من الخلق على اللّه حجة، بل لله الحجة البالغة على خلقه ﴿**لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾، وعلم اللّه عز وجل ماض فى خلقه بمشيئة منه، فهو سبحانه قد علم من إبليس المعصية ومن غيره ـ ممن عصاه من لدن عُصى اللّه تبارك وتَعالى إلى أن تقوم الساعة المعصية ـ وخلقهم لها.

وعَلم الطاعة من أهل الطاعة وخلقهم لها، فكلٌ يعمل لما خلق له، وصائر إلى ما قضى عليه، لَا يعدو أحد منهم قدر اللّه ومشيئته، واللّه الفعال لما يريد، ومن زعم أن اللّه سبحانه وتعالى شاء لعباده الذين عصوه وتكبروا الخير والطاعة، وأن العباد شاءوا لأنفسهم الشر والمعصية، فعملوا على مشيئتهم، فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة اللّه تبارك وتعالى، وأى افتراء على اللّهِ أكبرُ من هذا؟

ومن زعم أن الزنا ليس بقدر، قيل له: أرأيت هذه المرأة حملت من الزنا، وجاءت بولد هل شاء الله عز وجل أن يخلق هذا الولد، وهل مضى فى سابق علمه؟ فإن قال: لا، فقد زعم أن مع الله خالقاً، وهذا الشرك صراحاً.

ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام ليس بقضاء وقدر، فقد زعم أن هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره، وهذا صراح قول المجوسية بل أكل رزقه الذى قضى الله أن يأكله من الوجه الذى أكله.

ومن زعم أن قتل النفس ليس بقدر من الله عز وجل، فقد زعم أن المقتول مات بغير أجله، وأى كفر أوضح من هذا؟ بل ذلك بقضاء الله عز وجل، وذلك عدل منه فى خلقه وتدبيره فيهم، وما جرى من سابق علمه فيهم، وهو العدل الحق الذى يفعل ما يريد.

ومن أقرَّ بالعلم لزمه الإقرار بالقدر والمشيئة على الصغر والقماءة. ولا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه فى النار لذنب عمله ولا لكبيرة أتاها، إلا أن يكون ذلك فى حديث جاء ولا ننص الشهادة. ولا نشهد لأحد أنه فى الجنة بصالح عمله، ولا بخير أتاه إلا أن يكون فى ذلك حديث.

كما جاء على ما روى وننص الشهادة. والخلافة فى قريش ما بقى فى الناس اثنان. ليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا نخرج عليهم، ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة. والجهاد ماض قائم مع الأئمة بروا أو فجروا لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل. والجمعة والعيدان والحجّ مع السلطان، وإن لم يكونوا بررة عدولاً أتقياء، ودفع الصدقاتّ والخراج والأعشار والفىء والغنائم إليهم عدلوا فيها أو جاروا. والانقياد لمن ولاه الله عز وجل أمركم لا تنزع يداً من طاعته، ولا تخرج عليه بسيف حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً. ولا تخرج على السلطان وتسمع وتطيع، ولا تنكث بيعة فمَن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة. وإن أمرك السلطان بأمر هو لله معصية فليس لك أن تطيعه البتة، وليس لك أن تخرج عليه، ولا تمنعه حقه والإمساك فى الفتنة سنة ماضية واجب لزومها، فإن ابتليت فقدم نفسك دون دينك، ولا تعن على الفتنة بيد ولا بلسان ولكن اكفف يدك ولسانك وهواك، والله المعين.

والكف عن أهل القبلة فلا تكفر أحداً منهم بذنب، ولا تخرجه من الإسلام بعمل إلا أن يكون فى ذلك حديث كما جاء، وكما روى فتصدقه وتقبله وتعلم أنه كما روى نحو كفر من يستحل ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك، أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر والخروج من الإسلام، فاتبع ذلك ولا تجاوزه.

والأعور الدجال خارج لاشك فى ذلك ولا ارتياب، وهو أكذب الكاذبين.

وعذاب القبر حق يسأل العبد عن دينه وعن ربه وعن الجنة والنار، ومنكر ونكير حق، وهما فتانا القبر. نسأل الله الثبات.

وحوض محمد ﷺ حق، حوض ترده أمته وله آنية يشربون بها منه.

والصراط حق يوضع على سواء جهنم. ويمر الناس عليه والجنة من وراء ذلك. والميزان حق توزن به الحسنات والسيئات كما شاء الله أن توزن. والصور حق ينفخ فيه إسرافيل فيموت الخلق ثم ينفخ فيه الأخرى فيقومون لرب العالمين للحساب وفصل القضاء والثواب والعقاب، والجنة والنار.

واللوح المحفوظ يُستنسخ منه أعمال العباد لما سبق فيه من المقادير والقضاء. والقلم حق كتب الله به مقادير كل شيء وأحصاه في الذكر؛ والشفاعة يوم القيامة حق يشفع قوم في قوم فلا يصيرون إلى النار. ويخرج قوم من النار بعد ما دخلوها ولبثوا فيها ما شاء الله ثم يخرجهم من النار، وقوم يخلدون فيها أبداً، وهم أهل الشرك والتكذيب والجحود والكفر بالله عز وجل، ويذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار، وقد خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها، خلقهما الله عز وجل وخلق الخلق لهما ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً. فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ (القصص:88).

وبنحو هذا من متشابه القرآن، قيل له: كل شيء مما كتب عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقهما للبقاء لا للفناء ولا للهلاك، وهما من الآخرة لا من الدنيا، والحور العين لا يَمُتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبداً، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت.

فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع ضلَّ عن سواء السبيل، وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض. وبين الأرض العليا إلى السماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام، والماء فوق السماء العليا السابعة وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء، والله عز وجل على العرش، والكرسي موضع قدميه، وهو يعلم ما في السموات والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى وما في قعر البحر ومنبت كل شعرة وشجرة وكل زرع وكل نبات، ومسقط كل ورقة وعدد كل كلمة وعدد الرمل والحصى والتراب ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ويعلم كل شيء، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة، ودونه حجب من نار ونور وظلمة وما هو أعلم به.

فإن احتج مبتدع أو مخالف بقول الله عز وجل: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (ق:16). وبقوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ (المجادلة:7) ونحو هذا من متشابه القرآن.

فقل: إنما يعنى بذلك العلم لأن الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك كله، وهو بائن من خلقه، لا يخلو من علمه مكان.

ولله عز وجل عرش، وللعرش حملة يحملونه، والله عز وجل مستو على عرشه، وليس له حد. والله عز وجل سميع لا يشك، بصير لا يرتاب، عليم لا يجهل، جواد لا يبخل، حليم لا يعجل، حفيظ لا ينسى ولا يسهو، قريب لا يغفل، ويتكلم وينظر ويبسط، ويضحك ويفرح؛ ويحب ويكره ويبغض، ويرضى ويغضب، ويسخط ويرحم، ويعفو ويغفر، ويعطى ويمنع.

وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ويوعيها ما أراد، وخلق آدم بيده على صورته، والسموات والأرض يوم القيامة فى كفه، ويضع قدمه فى النار فتنزوى ويُخرج قوماً من النار بيده، وينظر إلى وجهه أهل الجنة ويرونه فيكرمهم ويتجلى لهم، وتعرض عليه العباد يوم القيامة، ويتولى حسابهم بنفسه، لا يلى ذلك غيره عز وجل.

والقرآن كلام الله تكلم به وليس بمخلوق. ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمى كافر، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف فلم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث من القول الأول؛ ومن زعم أن ألفاظنا وتلاوتنا له مخلوقة والقرآن كلام الله فهو جهمى، ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (النساء:164)، منه إليه، وناوله التوراة من يده إلى يده.

ولم يزل الله عز وجل متكلماً، والرؤيا من الله حق، إذا رأى صاحبها فى منامه ما ليس ضغثاً فقصها على عالم وصدق فيها، فأولها العالم على أصل تأويلها الصحيح، ولم يحرف فالرؤيا تأويلها حينئذ حق، وقد كانت الرؤيا من الأنبياء وحياً، فأى جاهل أجهل ممن يطعن فى الرؤيا ويزعم أنها ليست بشىء؟ وبلغنى أن من قال هذا القول لا يرى الاغتسال من الاحتلام، وقد روى عن النبى ﷺ : «**إن رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده**»، وقال: «**إن الرؤيا من الله**».

وذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم، والكف عن ذكر مساويهم التى شجرت بينهم. فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً منهم أو تنقصه أو طعن عليه أو عرّض بعيبهم أو عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافضى خبيث مخالف، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

بل حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة، وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان بعد عمر، وعليٌّ بعد عثمان، ووقف قوم على عثمان، وهم خلفاء راشدون مهديون، ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم، ولا أن يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص. فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قبل منه، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يراجع.

ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ونحبهم لحديث رسول الله ﷺ، فإن حبهم إيمان وبغضهم نفاق، ولا نقول بقول الشعوبية وأراذل الموالي الذين لا يحبون العرب، ولا يقرون لهم بفضل، فإن قولهم بدعة.

ومن حرم المكاسب والتجارات وطلب المال من وجهه فقد جهل وأخطأ وخالف، بل المكاسب من وجوهها حلال وقد أحلها الله عز وجل ورسوله، فالرجل ينبغي له أن يسعى على نفسه وعياله من فضل ربه، فإن ترك ذلك على أنه لا يرى الكسب فهو مخالف. والدين إنما هو كتاب الله عز وجل وآثار وسنن وروايات صحاح عن الثقات بالأخبار الصحيحة القوية المعروفة، يصدق بعضها بعضاً حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، والتابعين وتابعي التابعين، ومن بعدهم من الأئمة المعروفين المقتدى بهم المتمسكين بالسنة والمتعلقين بالآثار، لا يعرفون ببدعة ولا يطعن فيهم بكذب، ولا يُرمَون بخلاف، إلى أن قال: فهذه الأقاويل التي وصفت مذاهب أهل السنة والجماعة والأثر وأصحاب الروايات وحملة العلم، الذين أدركناهم وأخذنا عنهم الحديث وتعلمنا منهم السنن، وكانوا أئمة معروفين ثقات أهل صدق وأمانة يُقتَدى بهم ويؤخذ عنهم، ولم يكونوا أصحاب بدعة ولا خلاف ولا تخليط، وهو قول أئمتهم وعلمائهم الذين كانوا قبلهم فتمسكوا بذلك وتعلموه وعلموه.

قلت: حرب هذا هو صاحب أحمد وإسحاق، وله عنهما مسائل جليلة، وأخذ عن سعيد بن منصور وعبد الله بن الزبير الحميدي وهذه الطبقة، وقد حكى هذه المذاهب عنهم واتفاقهم عليها. ومن تأمل المنقول عن هؤلاء وأضعاف أضعافهم من أئمة السنة والحديث وجده مطابقاً لما نقله حرب ولو تتبعناه لكان بقدر هذا الكتاب مراراً، وقد جمعنا منه في مسألة علو الرب تعالى على خلقه واستوائه على عرشه وحدها سفراً متوسطاً، فهذا مذهب المستحقين لهذه البشرى قولاً وعملاً واعتقاداً. وبالله التوفيق.

فصل

ونختم هذا الكتاب بما ابتدأناه به أولاً وهو

خاتمة دعوى أهل الجنة

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ⑨ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (يونس: 9، 10).

قال حجاج عن ابن جريج أُخبرت أن قوله: ﴿**دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ**﴾. قال: إذا مر بهم الطير يشتهونه، قالوا: سبحانك اللهم، وذلك دعواهم، فيأتيهم الملك بما اشتهوا فيسلم عليهم فيردون عليه، فذلك قوله تعالى: ﴿**وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ**﴾، قال: فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله تعالى: ﴿**وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾.

وقال سعيد عن قتادة: قوله تعالى: ﴿**دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ**﴾ يقول: ذلك قولهم فيها، ﴿**وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ**﴾.

وقال الأشجعي: سمعت سفيان يقول: إذا أرادوا الشيء قالوا: سبحانك اللهم، فيأتيهم ما دعوا به. ومعنى هذه الكلمة تنزيه الرب تعالى وتعظيمه وإجلاله عما لا يليق به.

وذكر سفيان عن عثمان بن موهب قال: سمعت موسى بن طلحة قال: «سئل رسول الله ﷺ عن سبحان الله، فقال: **تنزيه الله عن السوء**».

وسأل ابنُ الكواء علياً عنها فقال: كلمة رضيها الله تعالى لنفسه.

وقال حفص بن سليمان حدثنا طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال: «سألت رسول الله ﷺ عن تفسير (سبحان الله) فقال: **هو تنزيه الله عز وجل عن كل سوء**» فأخبر تعالى عن أول دعواهم إذا استدعوا شيئاً قالوا: سبحان الله. وعن آخر دعواهم عندما يحصل لهم، وهو قولهم ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾.

ومعنى الآية أعم من ذلك والدعوى مثل الدعاء يراد به الثناء، ويراد به المسألة.

وفى الحديث: «**أفضل الدعاء الحمد لله**». فالدعاء ههنا دعاء ثناء وذكر يلهمه اللّه أهل الجنة، فأخبر سبحانه عن أوله وآخره فأوله تسبيح وآخره، حمد يلهمونهما كما يُلهَمون النفس.

وفى هذا إشارة إلى أن التكاليف فى الجنة تسقط عنهم ولا تبقى عبادتهم إلا هذه الدعوى التى يلهمونها، وفى لفظة «**اللهم**» إشارة إلى صريح الدعاء، فإنها متضمنة لمعنى يا الله فهى متضمنة للسؤال والثناء، وهذا هو الذى فهمه من قال إذا أرادوا الشىء قالوا: سبحانك اللهم فذكروا بعض المعنى ولم يستوفوه مع أنهم قصروا به، فإنهم أوهموا أنهم إنما يقولون ذلك عندما يريدون الشىء، وليس فى الآية ما يدل على ذلك، بل يدل على أن أول دعائهم التسبيح وآخره الحمد.

وقد دل الحديث الصحيح على أنهم يلهمون ذلك كإلهام النفس، فلا تختص الدعوى المذكورة بوقت إرادة الشىء، وهذا كما أنه الأليق بمعنى الآية، فهو الأليق بحالهم. واللّه سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.



الموضـوع	الصفحة


الشركة المصرية للطباعة
مدينة السادس من أكتوبر
ت / ٥٨٨٨٨٨٦